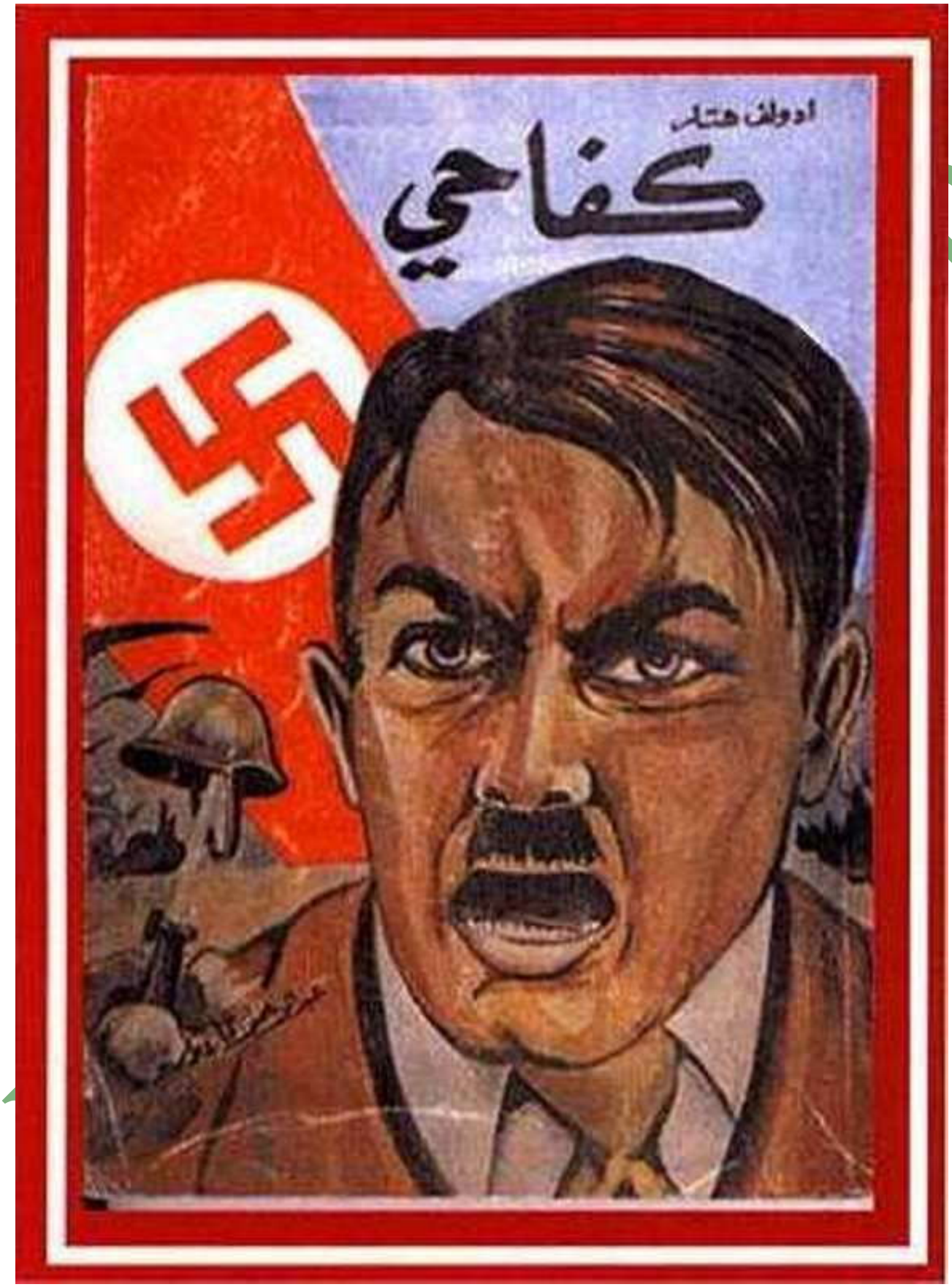
ادولف هتلر
كفاحي

اسم الكتاب بالعربية: كفاحي

اسم المؤلف: أدولف هتلر

نوع اللغة: النسخة العربية

اسم المترجم: لويس الحاج

الطبعة والعام: 1-1-1990 الطبعة الأولى

الناشر: دار الأنوار للطباعة والنشر والتوزيع

عدد الصفحات: 285 صفحة

طباعة وتنقيح: سناء أمين الراوي

ترتيب وتدوين وجمع: دارين طاطور

ملتقى ينبوع المنى الثقافي

www.ynbu3.com

اسم الكتاب بالألمانية لغة الأصل Mein Kampf :

اسم المؤلف Adolf Hitler :

عدد الصفحات : 246 صفحة

www.ynbu3.com

المقدمة

كتاب كفاحي لهتلر.. الذي تحدث عنه الملايين وانتشر في كل العالم وهنا في البلاد أيضاً يتم بيعه وأنا أقوم هذه الأيام بقراءته.. ولكن الشيء الذي لفت نظري أمرين مهمين وهو القدر الذي جعلني أرى ذلك بعيني ..

حصلت على نسخة قديمة من هذا الكتاب من عمي ومنذ أيام بدأت القراءة به، ولكن بسبب الورق القديم واصفراره كان من الصعب علي أن أتابع لذا قررت أن أتوجه لإحدى المكتبات للحصول عليه من جديد.. وبينما بدأت بالقراءة بالكتاب الجديد اكتشفت أنه مختلفاً عما قرأته في القديم... فانتابني الشك.. بحثت عن هذا الأمر وفتشت ورأيت أن هذا الكتاب قد تبدل وتحرف وتغير مضمونه..

فالكتاب القديم به تصريحات لهتلر عن أسباب إبادة اليهود وكرهه لهم ..أما الجديد فيصف الحدة في قسوة هتلر على اليهود ويظهر كم كانوا مظلومين.. وهنا وبعد البحث والتنقيب والسؤال والنقاش مع عمي وفتح الكتابين توصلنا أن هناك نوعين لهذا الكتاب:

الأول وهو الأصلي والنادر وجوده والذي سأقدم لكم منه بعض المقتطفات أو سأحاول إعادة نشره في النت والحصول على نسخته المأرشفة عبر النت، والذي تحدث به هتلر عن أسباب كرهه لليهود والذي تم حظره تماماً عن العالم. أما النوع الثاني فهو الذي انتشر في العالم ويتم ايصاله عبر دور النشر والذي تم تزويره بالكامل مع محاولات جذرية لإخفاء حقائق عداء اليهود والتعريف بهم.. وبهذا أتمنى أن ينفرد موقع ينبوع المنى بالنسخة الحقيقية.. وإن كان صعب علي الحصول عليه مأرشفاً مطبوعاً بالنسخة العربية سأقوم بطباعته فما دامت النسخة القديمة بحوزتي لن أقلق أبداً ...سأحاول قدر استطاعتي ايصاله لكم....

دارين طاطور

www.ynbu3.com

أقسام وفصول الكتاب

الفصل الأول – هتلر واليهود:

1- تمهيد

2- طفولتي

3- سنوات الإمتحان القاسي

4- الحزب الإشتراكي الديمقراطي

5- مفتاح الإشتراكية

6- ميونخ

الفصل الثاني – هتلر والشيوعية:

1- هتلر والشيوعية

2- الحرب والدعاية

3- الثورة

4- نشاطي السياسي

5- أسباب الإنهيار

الفصل الثالث – هتلر والأجناس:

1- الحزب يبدأ العمل

www.ybu3.com

2-في الدولة

الفصل الرابع – هتلر والنازية:

1-الدولة وتنشئة النخبة

2-رعايا الدولة والمواطنين

3-المفهوم الفلسفي والتنظيم

4-تأثير الكلمة

5-القوي قوي بنفسه

6-القناع الفيدرالي

الفصل الخامس – هتلر والحركة النقابية:

1-الدعاوة والتنظيم

2-الحركة النقابية

3-سياسة المحالفات

4-الإتجاة نحو الشرق

5-حق الدفاع المشروع

وفصل أخير تمت إضافته في الكتاب الحديث فقط وهو يتحدث عن نهاية هتلر المأساوية أما الكتاب القديم فلا وجود له.....

www.ybu3.com

أدولف هتلر

(1889 - 1945)

تمهيد :

قد يكون آدولف هتلر أهم الشخصيات السياسية في القرن العشرين.. ومن المعروف أن وجود صورته على ظهر كتاب يزيد مبيعاته بنسبة 20%. وقد وُلد كما يقص في مذكراته لأسرة متواضعة، وعاش جل أعوام طفولته وشبابه الأول خارج ألمانيا. ثم عاد لوطنه الأم وساهم في تأسيس الحزب النازي. وخلال عشرة أعوام، بات قائداً للأمة الألمانية.

في كفاحي، يقص هتلر حكاية صراعه في سبيل الوصول للفلسفة التي يؤمن بها أولاً، ثم الكفاح في سبيل تحقيق ما يعتبره طموحات الشعب الألماني .

نختار أولاً وصف هتلر لطفولته الباكرة وحياته الأسرية ثم معاناته من الفقر المدقع في فيينا، وصولاً الى آرائه التي لم يغيرها أبداً بشأن القضية اليهودية.

www.ynbr3.com

الفصل الأول – هتلر واليهود

طفولتي:

يبدو وكأن القدر تعمد اختيار براوناو موقعًا لأولد فيه: فتلك المدينة الصغيرة تقع على الحدود بين دولتين سعينا نحن الجيل الجديد لتوحيدهما بكل ما لدينا من قوة.

فلا بد من عودة ألمانيا النمساوية للوطن الأم، وليس بسبب أي دوافع اقتصادية. بل أنه ألحق الإتحاد أضرارًا اقتصادية، فلا بد منه. دمائنا تطلب وطنًا واحدًا، ولن تستطيع الأمة الألمانية امتلاك الحق الأخلاقي لتحقيق سياسة استعمارية حتى تجمع أطفالها في وطن واحد. وفقط حين تشمل حدودنا آخر ألماني، ولا نستطيع تأمين رزقه، سنمتلك الحق الأخلاقي في احتلال أراضي أخرى بسبب معاناة شعبنا. سيصير السيف أداة الحرث، ومن دموع الحرب سينبت الخبز للأجيال القادمة. وهكذا يبدو لي أن هذه القرية الصغيرة كانت رمزًا للمسئولية الغالية التي أنيطت بي .

ولكن هنالك صورة بائسة أخرى تذكرنا تلك المدينة بها. فقبل مائة عام، كانت مسرحًا لكارثة مأساوية ستخلد في صفحات التاريخ الألماني. فحين انحطت الأوضاع إلى أسوأ حال ممكن تحت وطأة الاحتلال الفرنسي، استشهد جوهانا، بائع الكتب، في سبيل الوطن الذي أحبه. وقد رفض التخلي عن شركائه وشجب الذين كانوا أفضل منه في قدراتهم. وقد أبلغ

www.vnbu3.com

أحد ضباط الشرطة الألمان عنه الفرنسيين، وبقي العار ملحقاً باسمه حتى الساعة .

في هذه المدينة الصغيرة، المضيئة ببريق الشهادة في سبيل الوطن، والتي حكمتها النمسا وإن كان دم شعبها ألمانيًا، عاش والدي في آواخر الثمانينات من القرن الماضي: وبينما كان والدي موظفاً حكومياً، رعت أمي أفراد الأسرة. ولم يبقَ حالياً في ذاكرتي سوى القليل عن هذا المكان لأننا سرعان ما رحلنا منه لبلدة باسو في ألمانيا .

وخلال تلك الأيام كان التنقل مصيرًا محتومًا على الموظف. وهكذا انتقل والدي مرة ثالثة إلى لينز، وهناك أخيرًا تمت إحالته على التعاقد. ولكن ذلك لم يعنِ له الراحة أبدًا. فمنذ طفولته كان لا يطيق البقاء في المنزل بلا عمل، وهرب في سن الثالثة عشر إلى فيينا وتعلم حرفة وحصل على التجربة والنجاح قبل سن السابعة عشر، ولكنه ما اقتنع بكل هذا، بل أن معاناة الأعوام الأولى دفعته للسعي وراء مستقبل أفضل. وهكذا بحث على وظيفة حكومية، وبعد عشرين عامًا من الصراع الدؤوب، عثر عليها. وهكذا حقق قسمه القديم، وهو ألا يعود لقريته الصغيرة إلا بعد أن يكون قد كوّن نفسه.

حقق الرجل حلمه، ولكن لا أحد في القرية تذكر الطفل الذي هاجر، بل وبدت له قريته غريبة تمامًا، وكأنه يراها لأول مرة. وأخيرًا، وفي سن السادسة والخمسين، بعد تقاعده، ما استطاع احتمال الفراغ، فاقتنى

www.ynbu3.com

مزرعة وعمل في زراعتها كما فعل أجداده من قبل.

وخلال تلك الفترة تكونت داخلي بوادر الشخصية الأولية. اللعب في الحقول، المشي إلى المدرسة، وخصوصًا الاختلاط مع أصدقائي العنيفين الذين أقلقت علاقاتي معهم والدتي، كل هذه الأمور جعلتني من النوع النشيط الذي لا يرتاح للبقاء في المنزل. وبالرغم من عدم تفكيري بالحرفة المستقبلية، ما كانت عواطفي أبدًا تتجه نحو المسير الذي اتخذه والدي لنفسه .أؤمن بأني حتى آنذاك تمتعت بقدرات بلاغية مميزة ظهرت في شكل حوارات عنيفة مع زملاء الدراسة. بل وبت زعيمًا لمجموعة. ونجحت في المدرسة بالفعل، ولكني كنت شديد المراس .اشتركت في النشاطات الكنائسية، وأسكرتني عظمة هذه المؤسسة العريقة. وبدا لي القس مثالاً لما ينبغي أن أكونه، كما بدا لوالدي من قبل. ولكن الأخير فشل في التعامل مع قدرات ابنه البلاغية وما استطاع تصور مستقبل ممكن له، بل وأقلقه هذا الوضع كثيرًا.

هذا الحلم الكنائسي تخلى عني سريعًا، بعد أن عثرت على بعض الكتب العسكرية التي وصفت المعارك بين فرنسا وألمانيا عام **1870 – 71**. عشقت هذه النصوص، وصارت الصراعات البطولية والنشاط الفكري والخيالي هو الأساسي لكياني. ومنذ ذلك الوقت صرت أعشق كل ما له علاقة بالجنود. ولكن الأسئلة الصعبة بدأت تفرض نفسها على فكري: هل هناك فوارق بين الألمان الذين خاضوا تلك المعارك والآخرين؟ ولماذا لم تشترك النمسا فيها؟ ولماذا لم يطلب من والدي الاشتراك؟ ألا ننتمي جميعاً

www.vnbus.com

لذات الوطن؟ ألا ننتمي سوية؟ بدأت هذه التساؤلات تشغل بالي لأول مرة. طرحت الأسئلة وأجابوني بحذر قائلين إن الألمان غير المحظوظين لا ينتمون لذات الدولة التي أسسها بسمارك.

وكان هذا الوضع عسيرًا على الفهم.
ثم قالوا لي أن الأوان قد حان للذهاب للمدرسة الثانوية.
أكد والدي أنه يرغب في أن أذهب لمدرسة خاصة لإعداد الموظفين. فهو -بسبب تجاربه الحياتية- ما رأى طائلاً وراء المدارس العادية. كانت رغبته هي أن أصير موظفًا حكوميًا مثله، بل أفضل لأنني كنت سأتعلم من أخطائه وأستفيد من تجاربه.

لأنه تصور استحالة أن أرفض السير على دربه، كان قراره واضحًا، مؤكدًا. معاناة عمر طويل ومشاق الحياة وهبته طبيعة متعسفة. وبدا له من المستحيل أن يترك الأمر لابنه غير المجرب، الغير قادر على احتمال المسئوليات. بل وتصور أنه سيكون مذنبًا إن لم يستخدم سلطته لتحديد مستقبله، ورأى أن هذه مسئولية تحتمها عليه الوظيفة الأبوية.

ومع ذلك سارت الأمور بطريقة مغايرة: فقد رفضت الفكرة بشكل قاطع، وما كان عمري أكثر من إحدى عشر سنة. ولم ينجح الترغيب أو الترهيب كليهما في تغيير رأيي. وكل مساعي والدي الذي قص علي قصصاً عن تجاربه في العمل، راجيًا أن أقنع به وأحبه، أدت لنتائج عكسية.

www.ynbu3.com

تثائبت واهنًا إذ تصورت أنني سأقضي العمر أمام مكتب، بدون أن يكون وقتي ملكًا لي، قاضيًا حياتي في تحويل الدنيا إلى فراغات يقوم أحدهم بملأها في صورة طلب أو وظيفة. وأي أفكار كان يمكن لمشهد كهذا أن يخلقه في نفس طفل طبيعي؟ الوظائف المدرسية كانت سهلة، وامتلكت الوقت الحر لدرجة أن الشمس عرفتني أكثر من حيطان حجرتي. وحين يبحث أعدائي السياسيين في الماضي البعيد، ويعثرون على ما يؤكد أن هتلر كان طفلاً شقيًا، أشكر الله على أنهم قد أعادوا لفكري ذكريات بعض تلك الأيام السعيدة. الغابات والحقول باتوا حلبات الصراع التي قضيت فيها حياتي.

والمدرسة الجديدة لم تغير هذا الوضع .
وطالما كانت معارضتي الأساسية لفكرة والدي نظرية، استطعنا التعايش سويًا. فقد احتفظت بآرائي الخاصة، وما خالفته بصوت مرتفع. ولكن – وفي سن الثانية عشر– بدأت أطمح في أن أصير رسامًا. ومع أن والدي كان يشجع هذه الهواية، إلا أنه لم يتصور أبدًا أن أسير في هذا الاتجاه.
"–رسام"؟

تشكك حتى في عقلي، وربما تصور أنه لم يفهم ما أعنيه .ولكن بعد أن فهم، عارض الفكرة بكل ما في طبيعته من عناد. "رسام! فقط بعد موتي ."
ولكنة اكتشف أن ابنه قد ورث منه نفس العناد. وهكذا بقي الحال زمنًا طويلاً. وما كانت النتائج طيبة. فقد أصابت المرارة نفس الرجل الكبير، وما كان باستطاعتي الرضوخ له. وهكذا حين أكد استحالة دراستي للفن،

www.vnbus.com

قررت إيقاف الدراسة بشكل عملي، متصورًا أنه حين سيرى فشلي الدراسي، سيسمح لي بالسير في الاتجاه الذي أختاره. كانت نتائجي المدرسية آنذاك غير طبيعية. فكل ما له علاقة بالرسم جلبت فيه أفضل النتائج، وفي الباقي أسوأها. ولكن انجازاتي كانت مميزة في حقلي الجغرافيا والتاريخ الألمانيين، لأنني عشقت هاتين المادتين وكنت أفضل التلاميذ فيهما.

وحين أتطلع لتلك المرحلة الآن، بعد مرور السنوات الكثيرة، ألاحظ حقيقتين هامتين: فأولاً، صرت قوميًا، وثانيًا، تعلمت معنى التاريخ. ففي دولة متعددة الأجناس كالنمسا، كان من الصعب جداً أن يعرف المرء معنى الانتماء لألمانيا. فبعد المعارك الفرنسية الألمانية، قل الاهتمام بالألمان في الخارج، ونَسَيَّهم البعض تمامًا. ومع ذلك، فلو لم يكن الدم الألماني طاهرًا قويًا، لما استطاع العشرة مليون ألماني ترك بصمته واضحة جلية في دولة تتكون من أكثر من خمسين مليون نسمة، لدرجة أن الناس تصورت أن النمسا كانت دولة ألمانية مستقلة.

القليلون أدركوا قسوة الصراع الوحشي الذي خضناه للحفاظ على اللغة الألمانية، المدارس الألمانية، والأسلوب الخاص للحياة .اليوم فقط، حين يحلم الملايين من الألمان بالعودة للوطن الأم، ساعين على الأقل للحفاظ على لغتهم القوية، يدرك جل الناس صعوبة هذا الصراع، وربما يقدر بعضهم أهمية هؤلاء الأفراد الذين حموا الوطن من الهجمات من الشرق، وحاربوا من أجل إبقاء اللغة المشتركة حين لم تهتم الحكومات الألمانية

www.vnbu3.com

بالمستعمرات البعيدة، متناسية معاناة الألمان في الجوار. وحتى الأطفال اشتركوا في الصراع القومي. اذ رفضنا ترديد الأغاني غير الألمانية، وارتدينا الثياب التقليدية، بالرغم من التهديد والعقوبات. فمنذ طفولتي لم يعنِ شعور "الوطنية" أي شيء لي، بينما عنت المشاعر القومية كل شيء.

وقد كانت دراسة التاريخ دافعًا قويًا لخلق الحس القومي، نظرًا لعدم وجود تاريخ نمساوي مستقل. بل إن مصير هذه الدولة مرتبط بألمانيا لدرجة أن ظهور تاريخ نمساوي خاص يبدو مستحيلاً. فتقسيم ألمانيا لموقعين هو في حد ذاته جزء من التاريخ الألماني .

ضرورة توحيد الألمان والنمساويين كانت نتيجة حلمًا بقي في قلوب الجماهير بسبب تذكرها للتاريخ الذي كان بئرًا لا ينضب. وخاصة في أوقات النسيان، سما التاريخ فوق الثراء المرحلي وهمس الماضي للشعب بأحلام المستقبل .

تعليم التاريخ في ما يسمى المدارس الثانوية لا يزال حتى اليوم في حال يرثى لها. والقلة من الأساتذة تفهم أن الهدف من دراسته ليس حفظ أرقام أو تواريخ، مثل يوم معركة، أو ساعة ميلاد زعيم، أو حتى حين وصول ملك للسلطة. فمعرفة التاريخ يعني معرفة القوى التي تسبب النتائج المسماة أحداثًا تاريخية .

والمعرفة هي: القدرة على تذكر الأساسي، ونسيان كل ما هو غير ضروري .

www.ynbus.com

وقد يكون أحد أهم أسباب تشكيل شخصيتي الحالية دراستي للتاريخ مع أحد القلة الذين عرفوا هذه القواعد وراعوها في التدريس، الأستاذ ليوبلد بوتش. فقد كان ذلك الرجل العجوز خيرًا متقنًا لمادته، وتمتع أيضًا بقدرة بلاغية مميزة سحرت اللب وجعلتنا، ونحن نستمع لبعض قصصه، ننسى الحاضر، وكأنه ساحر يأخذنا لعصور ماضية، عبر ضباب عشرات السنين، صانعاً من الأحداث التاريخية واقعًا معاشًا. وقد كنا من المحظوظين جدًا لأن هذا المدرس عرف كيف ينير الماضي بأمثلة من الحاضر، وكيف يجلب من الماضي وقائع تلقي الضوء على الحاضر. ونتيجة لهذه القدرة فهم أكثر من غيره المصاعب التي نعانيها، واستغل مشاعرنا القومية لتقويمنا، مستنشدًا بإحساسنا بالشرف للانتماء للوطن. وبهذه الطريقة نجح في تهذيبنا بشكل أفضل من أي أسلوب آخر .

هذا المدرس جعلني عاشقًا للتاريخ. وهكذا بت ثوريًا بدون أن يسعى هو متعمدًا لذلك. فمن يستطيع دراسة التاريخ الألماني مع أستاذ كهذا بدون أن يكره الدولة التي كادت تدمر مصير الأمة؟

ألم نعرف أن النمسا ما حملت للألمان سوى البغضاء؟ ألم نشاهد أفعالهم كل يوم؟ في الشمال والجنوب كان سم الدول الأخرى يدمر جسد وطننا، وحتى فيينا تم تحويلها لمدينة لا ألمانية. فقد حاولت الأسرة الحاكمة جلب سكان البلاد الأخرى، وخصوصاً التشيك، بقدر الاستطاعة، وكان مقتل السيد فرانسز فوردناد، عدو الألمان الأول، على أيديهم دلالة على عدالة

www.ybus.com

الرب الأزلي.

كانت الأثقال التي ناء بحملها الشعب الألماني هائلة، إذ دفعوا المال والدم، وبلا فائدة. ولكن ما أغضبني ادعاء أن كل هذا نتج عن علاقات متميزة بين ألمانيا والنمسا، نتج عنها أن الشعب الألماني تم تدميره بموافقة من الحكومة الألمانية ذاتها. وكانت نتيجة هذا النفاق هو ازدياد الكراهية للحكومة الألمانية لدرجة الازدراء. ولكن حكام ألمانيا ما فقهوا كل هذا، ومثل رجل أعمى، عاشوا بجوار الجثة متصورين في سكون الموت ساعة ميلاد حياة جديدة. وهذا التصور الخاطيء أدى للحرب العالمية الأولى والدمار الناتج عنها .

أدركت في هذه الفترة أن الأمة الألمانية ستبقى فقط لو تم تدمير النمسا، وما هو أهم، أن الحس القومي يتعارض كلية مع مشاعر التبجيل للملك. عرفت أن هذه الأسرة الحاكمة لا هدف لها سوى إخماد نار الأمة الألمانية. ومع ذلك أحببت النمسا كجزء من الوطن الأم .

طبع التفكير التاريخي الذي تعلمته خلال هذه الأيام ما هجرني أبدًا بعد ذلك. بات التاريخ العالمي موردًا لا ينضب عرفت عن طريقه مغزى الأحداث المعاصرة. وهكذا تحولت باكرًا إلى سياسي ثائر.

ما كان المسرح سيئًا في شمال النمسا. فقد شاهدت المسرحيات المختلفة في سن الثانية عشر، وبعض أعمال الأوبرا كذلك .

www.vnbus.com

كل هذه العوامل دفعتني لرفض العمل الذي أراد والدي إعدادي له. أيقنت أنني لن أستطيع الوصول للراحة النفسية في أي وظيفة حكومية. سأكون رسامًا، ولن تقدر أي قوة في العالم على جعلي موظفًا .

ومع ذلك، تحولت مع مرور الأعوام إلى حب المعمار أكثر من الرسم . وعلى كل حال، فقد تدخل القدر، وأصيب والدي بالجلطة، وانتهت رحلته الدنيوية، وتركنا جميعًا في حالة من الحزن العميق. لقد كان طموحه الأخير مساعدة ابنه حتى لا يعاني كما عانى ويكرر ذات الأخطاء. وإن لم ينجح إلا أن البذور التي زرعها لعبت دورها في خلق مستقبل لم يستطع هو –ولا أنا– إدراكه آنذاك.

وقد رغبت أمي في أن استمر في الدراسة كما أراد والدي. ثم أصبت بمرض ساعدني على التغلب على هذا الصراع المنزلي. إذ أكد الطبيب أنني لا أستطيع البقاء في مكتب، وألح على ابتعادي عن المدرسة لعام كامل .وهكذا حققت لي الأقدار الهدف الذي سعيت له.

أيام العمر أمامي. إلا أنها بقت أحلامًا لأن والدتي توفيت بعد وفاة والدي بعامين نتيجة لمرض قاتل أصابها على حين غرة. احترمت والدي، ولكنني أحببت أمي، وقد أحزنني رحيلها كثيرًا .

وهكذا وجدت نفسي مضطرًا لاتخاذ قرارات صعبة مع الأموال القليلة

www.ybu3.com

المتبقية بعد أن كنت قد أنفقت في علاج أمي، وما قدمته الحكومة للأيتام ما كان كافيًا حتى لشظف العيش. وهكذا كان أمامي مسئولية الاستقلال الاقتصادي.

وضعت ثيابي القليلة في حقيبة، وفي قلبي إرادة جديدة، واتجهت إلى فيينا. مثل والدي، قررت أن أنتزع من القدر مصيرًا مميزًا، وأن أكون شيئًا خاصًا، أي شيء، باستثناء موظف حكومي .

www.ynbu3.com

الفصل الأول: سنوات الإمتحان القاسي

حين ماتت والدتي، حدد القدر أجزاء كثيرة من مصيري المستقبلي . خلال الشهور الأخيرة من مرضها، ذهبت إلى فيينا لإجتياز الاختيار المبدأي لدخول المعهد الفني. كنت قد أعددت بعض اللوحات، متأكدًا من أن الامتحان سيكون في غاية السهولة. فقد كنت الأفضل في الفصل في مجال الرسم دائمًا، ومنذ ذلك الوقت، تقدمت قدراتي بسرعة، فأصابني الغرور.

ومع ذلك، شعرت بالمرارة لأن قدراتي على الرسم الهندسي فاقت بكثير قدراتي كرسام. وكل يوم كان ولعي بالفنون المعمارية يتزايد، خصوصاً بعد رحلة لمدة أسبوعين قضيتها في فيينا في سن السادسة عشر. وقد كان هدف تلك المرحلة هو دراسة متحف الفن، وإن وجدت نظراتي تتطلع أكثر لهيكل المتحف. فمنذ الصباح الباكر وحتى المساء، تجولت في الأروقة متابعًا كل ما به بشغف فكري، وإن كان جل اهتمامي قد انصب على المتحف ذاته. لساعات وقفت أمام مبنى الأوبرا، وبدا لي المكان ساحرًا مثل قصور ألف ليلة وليلة .

والآن كنت في المدينة الخلابة للمرة الثانية، منتظرًا على أحر من الجمر

www.ybu3.com

نتائج الامتحان. كنت متأكداً من النجاح لدرجة أن سقوطي أصابني بذهول مطبق .وحين تحادثت مع المسئول، وطلبت منه التوضيح، أكد لي أن اللوحات التي قدمتها تشير إلى عدم توافر الموهبة المطلوبة للرسم لدي، وإن أكد أن مجال الرسم الهندسي هو الملائم لي ولم يصدق أنني لم أدرسه البتة. تركت المبنى مكتئبًا، لأول مرة في حياتي غير داري بما يجدر بي فعله .

عرفت الآن أنه لا بد لي من دراسة الهندسة. وكان الطريق صعبًا: فكل ما رفضت دراسته خلال صراعي مع والدي بات ضروريًا. ما كان ممكناً دخول كلية الهندسة بدون الشهادة الثانوية. وهكذا بدا أن حلمي الفني لن يتحقق أبدًا .

حين عدت لفيينا مرة ثالثة، بعد وفاة والدتي، كان الطموح والعناد قد عادا لي. قررت أن أصير مخططًا هندسيًا، مع كل الصعاب التي واجهتني كان التحدي يصر علي بأنه الذي لا بد لي من اجتيازه. كنت مصممًا على مواجهة العقبات، وأمامي صورة أبي، الذي بدأ حياته مصلحًا للأحذية، وصعد بجهوده الخاصة إلى موقع حكومي جيد. توفرت لدي إمكانيات أكثر، وهكذا بدا أن الصراع سيكون أسهل، وما بدا لي آنذك سوء الحظ، امتدح اليوم كمساعدة القدر الحكيم. فبينما ازدادت معاناتي اليومية، ازدادت إرادة المقاومة داخل ذاتي وفي نهاية المطاف تفوقت على غيرها من العوامل. تعلمت خلال تلك الأيام الشدة، وتحولت من طفل مدلل إلى رجل قُذف به إلى قلب المعاناة والفقر المدقع. ومن ثم تعرفت على أولئك الذين سأدافع

www.ynbu3.com

عنهم في أيام مستقبلية.

خلال تلك المرحلة أدركت وجود خطرين مدقعين يحيطان بالشعب الألماني، وهما اليهودية والشيوعية. ولا تزال فيينا، التي يتصورها الكثيرين مدينة اللذات البريئة، تجلب لذهني أسوأ صور المعاناة الانسانية التي عرفتها لمدة خمسة أعوام اضطررت خلالها للعمل، أولاً كمستأجر يومي، ثم كرسام .

ما جلبته من مال ما كفى حتى لإشباع الجوع اليومي .كان الجوع صديقًا لي آنذاك، وما تركني للحظة، بل شاركني في كل شيء. كل كتاب اقتنيته، وكل مسرحية شاهدتها، جعلتهم أقرب إلي. ومع ذلك، درست خلال تلك الأيام أكثر من أي فترة أخرى. باستثناء زياراتي النادرة للأوبرا التي دفعت ثمنها جوعًا، ما كان لدي أي لذة سوى القراءة. وهكذا خلال تلك الفترة قرأت كثيرًا وبعمق. كل وقت الفراغ المتاح لي بعد العمل قضيته في القراءة، وبهذه الطريقة جمعت خلال بضع أعوام المعارف التي تغنيني حتى الساعة .

خلال تلك الأعوام، تكونت في ذهني صورة للعالم تبقى القاعدة التي أستخدمها في كل قرار أتخذه، وكل تصرف أقوم به. وأنا اليوم مقتنع بأن كل سلوكياتنا تنبع من آراء تنتج أثناء شبابنا. فحكمة النضوج تحوي الآراء الخلاقة التي ينتجها فكر الشاب ولا يمكن تطويرها آنذاك، مضافًا لها الحذر الذي يتعلمه الإنسان بالتجربة. وهذه العبقرية الشبابية ستكون

www.vnbu3.com

الأداة الأساسية لخطط المستقبل، التي سيمكن تحقيقها فقط لو لم تدمرها تمامًا حكمة النضج.

كانت طفولتي مريحة، بلا قلق يذكر. كنت انتظر مجيء الصباح، بلا أي معاناة اجتماعية. فقد انتميت لطبقة الرأسمالية الصغيرة، وكنت لهذا السبب بعيدًا عن الطبقات العاملة. وبالرغم من أن الفرق الاقتصادي بين الطبقتين كان محدودًا، إلا أن الفاصل بينهما كان شاسعًا. وقد يكون سبب العداء بين الطبقتين، هو أن الموظف الذي ما استطاع إلا بصعوبة ترك الطبقات العاملة، يخشى من العودة إلى تلك الطبقة المحتقرة، أو على الأقل أن يتصوره الناس جزءًا منها. هناك أيضًا الذكريات المخيفة للفقر، وانعدام المعايير الأخلاقية بين الطبقات المنحطة، وهكذا يخشى الرأسمالي الصغير أي اتصال مع هذه الطبقة. وهذا الصراع عادة يدمر كل شعور بالرحمة. فصراعنا للبقاء يدر عواطفنا لأولئك الذين تخلفوا ورائنا .

أشكر القدر الذي أجبرني على العودة لعالم الفقر والخوف، لأن التجربة أزاحت عن عيوني غشاء نتج عن تربية الرأسمالية الصغيرة. عرفت الآن معاناة الإنسانية، وتعلمت التفرقة بين المظاهر الفارغة والكائن الموجود في داخلها.

كانت فيينا التي شاهدتها إحدى أكثر مدن أوربا تخلفًا. الثراء الفاحش والفقر المدقع تجاورا في مركز المدينة وحاراتها. شعرت بنبض 52 مليونًا. أما المحكمة الفخمة والمناطق المجاورة لها، وخصوصًا المباني

www.vnbus.com

الحكومية، فجذبت لها الذكاء والثراء. وهذه المناطق كانت كل ما يوحد الشعوب المختلفة الموجودة في هذه الدولة .فالمدينة كانت العاصمة الثقافية والسياسية والاقتصادية. مجموعة مديرى الشركات العامة والخاصة، موظفي الحكومة، الفنانين، والمدرسين والمثقفين، عاشت في مواقع قريبة بجوار الفقراء، وواجهت جيوشاً من العمال كل يوم. خارج القصور المعروفة. تشرد آلاف من العاطلين، وفي ظلال أسوارها رقد من لا يملكون مسكناً .

معرفة هذه الأوضاع المزرية ودراستها لن يتم من مواقع عالية: لا أحد ممن لم يسقطوا في أشداق هذه المعاناة يمكن له أن يفهم آلامها. ومن حاولوا دراستها من الخارج غرقوا في لغو الحديث والعاطفة، وأنا لا أدري إن كان تجاهل الأغنياء للفقير أكثر ضرراً من أفعال أولئك الذين يدعون الشفقة عليه بتكبر وغرور. والنتيجة دائماً سلبية على كل حال، بينما تزداد الأوضاع سوءً. ولا يجدر بالفقير أن يرضى بصدقة بدلاً من أن تعاد له بعض حقوقه .

لم أعرف الفقر من بعيد بل ذقت طعم الجوع والحرمان، ولم أدرسه بطريقة موضوعية، بل خبرته داخل روحي. وكل ما أستطيع فعله الآن هو وصف المشاعر الأساسية، وذكر بعض ما تعلمته من هذه التجارب.

لم يكن العثور على وظيفة صعباً، نظراً لافتقاري التجربة. وهكذا اضطررت للعمل كمساعد عامل أو كعامل بأجر يومي. حلمت بالهجرة إلى أمريكا.

www.ynbu3.com

تحررت من الأفكار القديمة عن الحرفة والمركز، المجتمع والتراث، وسعيت وراء أي فرصة متاحة، وتقبلت أي عمل، مدركًا أن أي عمل شريف لا يجلب العار لصاحبه. عرفت بسرعة أن العمل متوفر ويمكن الحصول عليه بسهولة، ولكن يمكن أيضًا أن يفقده المرء بسهولة. بدا لي أن عدم ضمان الوصول لرغيف العيش كل يوم كان أسوأ ما عانيته .

العامل المدرب لا يجد نفسه في الشارع بيسر مثل العامل غير المحترف، إلا أنه قد يواجه نفس المصير أيضًا. ولذلك ترى العمال يضربون عن العمل، مما يؤدي للأضرار باقتصاد المجتمع ككل .

ذلك الفلاح الذي يهاجر إلى المدينة، متخيلاً سهولة العمل، وقلة ساعاته، والأضواء الكهربائية الملونة، كان قد اعتاد على نوع من الضمان بخصوص لقمة العيش. ففي القرية، لن يترك عمله إلا إذا ضمن لنفسه عملاً أفضل منه. ونظرًا لوجود حاجة دائمة للأيدي العاملة في الفلاحة، تبقى امكانيات البطالة محدودة. ومن الخطأ تصور أن الفلاح الذي يهاجر للمدينة أكثر كسلاً من ذلك الذي يبقى في عقر داره. العكس هو الصحيح، فالمهاجر عادة يكون الأكثر صحة ونشاطًا. ولذلك لا يخاف من مواجهة الصعاب. هو يصل أيضًا للمدينة ومعه مدخراته. ولذلك لا يخاف أن لا يصل للوظيفة المرغوبة من أول يوم. ولكن الأمور تزداد سوءً أن يعثر على وظيفة ثم يفقدها. فالعثور على غيرها، خصوصًا في فصل الشتاء، سيكون شاقًا بل ومستحيلاً. ومع ذلك، سيعيش وستعاونه الفوائد الحكومية للعاطلين. ولكن، حين تنضب هذه الموارد مع مرور الوقت، ستبدأ المعاناة

www.ynbus.com

الحقيقية. سيتشرد الفتى الجائع في الشوارع، وسيبيع أو يرهن ما يملك، وستسوء حال ثيابه، وينحط إلى مستوى مادي وروحي في غاية التعاسة . فتتسمم روحه. وإن فقد سكنه في الشتاء، وهو ما يحدث كثيرًا، فستكون معاناته فظيعة .وفي نهاية المطاف، سيعثر على وظيفة أخرى، ثم تتكرر ذات القصة مرة ثانية وثالثة، وشيئًا فشيئًا يتعلم عدم المبالاة، ويصير التكرار عادة. وهكذا يتحول هذا الرجل النشيط سابقًا إلى كسول يستخدمه الآخرين لمصالحهم. وقد عاش حياة البطالة لوقت طويل دون ذنب حتى ما عاد يهمه طبيعة العمل الذي يقوم به، حتى إن كان هدفه تدمير القيم السياسية الثقافية الاجتماعية. وحتى إن لم تعجبه فكرة الإضراب، فلن يبالي بها. وقد شاهدت آلاف القصص المشابهة للتي أقصها. وكلما شاهدت المزيد، ازدادت كراهيتي للمدينة الكبيرة التي تمتص دماء الرجال وتدمرهم. فحين جاءوا أفرادًا، انتمى كل منه للمجتمع، وبعد أعوام انتموا لا لشيء .

وأنا أيضًا عانيت من حياة المدينة: شعر جسدي بصعابها وامتصت روحي معاناتها. وقد شاهدت أيضًا أن التنقل السريع بين العمل والبطالة، وما ينتج عنه من تقلب اقتصادي، يدمر شعور الفرد بأهمية الاقتصاد. بدا أن الجسد يعتاد على التبذير حين يتوفر المال، ويستحمل الجوع حين انعدامه. وبصراحة إن الجوع يقضي على أي إرادة تسعى للتنظيم الاقتصادي حين يتوافر المال لأنه يضع أمام ضحيته المعذبة سراب الحياة السعيدة لدرجة أن الرغبات المريضة ستدمر أي قدرة على التحكم ساعة الوصول لأي

www.ybu3.com

موارد. وهكذا حين يصل الرجل للمال ينسى كل أفكار تتعلق بالنظام والترتيب، ويعيش حياة البذخ ويسعى وراء اللذات الآنية. وغالبًا ما سيكون لهذا العامل زوجة وأطفال وسيعتادون جميعًا على التبذير ثلاث ليالٍ من الأسبوع، والجوع باقيه. وفي ساعات الظهيرة سيجلسون سويًا أمام الصحون شبه الفارغة، منتظرين يوم وصول المرتب، متحدثين عنه، حالمين طوال ساعات الجوع بلذات التبذير. وهكذا يعتاد الأطفال منذ طفولتهم على هذه الأوضاع السيئة .

وقد شاهدت هذه الأوضاع مئات المرات وتقززت منها أولاً، ثم فهمت حقيقة المأساة التي يعيشها هؤلاء الناس الذين باتوا ضحايا لظروف اجتماعية سيئة. وما كان أكثر بؤسًا هو أوضاع السكن السيئة. بل أنني أشعر بالغضب حتى هذه الساعة حين أتذكر الغرف الصغيرة والأكواخ الخشبية المحاطة بالقاذورات والأوساخ من كل جانب. وقد خشيت ذلك اليوم المرعب، حين سيخرج هؤلاء العبيد من أقفاصهم للإنتقام من قسوة البشرية عليهم .

والمسؤولون والأثرياء يتركون الأمور تسير على مجاريها: وبدون أي تفكير يفشلون حتى في الشك بأن القدر يخطط للانتقام من هذا الجور. أما أنا فعرفت أن تحسين هذه الأوضاع ممكن بطريقتين. فلا بد من وجود إحساس عميق بالمسؤولية لخلق أسس أفضل للتقدم، ومعه إرادة وحشية تدمر كل ما سيقف في طريقها ويعوق تقدمها. وكما لا تركز الطبيعة جهودها في الحفاظ على ما هو موجود، بل تسعى لخلق أجيال مستقبلية

www.ynbu3.com

أفضل، سيكون من الضروري صناعة قنوات جديدة أكثر صحية منذ البداية .

تجاربي المختلفة في فيينا علمتني أن المشاريع الخيرية غير مفيدة، والمطلوب تدمير الفوضى الاقتصادية التي تؤدي إلى إنحطاط الأفراد الخلقي .بل أن عدم قدرتنا على استخدام الوحشية في الحرب ضد المجرمين الذين يهددون المجتمع سببها هو عدم تأكدنا من برائتنا التامة من الأسباب النفسية والإجتماعية لهذه الظواهر. شعورنا الجمعي بالذنب تجاه مآسي الانحطاط الأخلاقي يشل قدرتنا على اتخاذ أقل الخطوات قسوة في الدفاع عن مجتمعاتنا. وفقط حين نتحرر من سلطة عقدة الذنب هذه سنقدر على الوصول للقوة والوحشية والضروريين لتدمير الأعشاب الضارة والأفكار المارقة.

وبما أن النمسا كانت عمليًا بلا قانون اجتماعي صالح، لم تكن الدولة قادرة على التعامل مع هذه الأمراض البتة .

ولا أعرف حتى الساعة ما أرعبني أكثر. هل كان سوء الأوضاع الإقتصادية لمن عرفت، أم انحطاطه الخلقي، أم الضعف الفكري؟

تصور مثلاً هذا المشهد: في شقة تتكون من حجرتين سكنت أسرة عامل تتكون من سبع أشخاص. بين الأطفال الخمسة، كان هناك طفل في الثالثة، وهو السن الذي تتكون خلاله انطباعات الفرد الأولى. هناك بعض

www.ybus.com

الموهوبين الذين يتذكرون هذه الانطباعات حتى أرذل العمر. مجرد ضيق الشقة وازدحامها لا يؤدي لخلق ظروف صحية ونفسية ملائمة للنمو. قد تحدث مثلاً خلافات بسيطة بين أفراد كل أسرة، وعادة يذهبون كل إلى حجرة مختلفة، وينتهي الأمر. إما في شقة صغيرة، فكل سيرى نفسه في مواجهة الآخرين طوال الوقت. بين الأطفال، الخلاف شيء طبيعي، وهم ينسون أسبابه بسرعة. ولكن أن يشاهد الأطفال الأبوين في حال خصام دائم، تستخدم خلاله الألفاظ النابية، وربما العنف، فستكون النتائج سلبية. سيتصور الطفل العالم بطريقة تخيف من يقدر على تصورها .فقد تم تسميمه أخلاقيًا، وما تغذى جسده كما ينبغي. ومن ثم يذهب هذا المواطن الصغير إلى المدرسة. بعد صراع مضن، قد يتعلم القراءة والكتابة، أما الواجب المنزلي، فانجازه مستحيل. بل أن والديه سيشتمان المدرسة بأبشع الألفاظ وكل ما سيسمعه الطفل لن يعلمه احترام مجتمعه. سيكره المدرسين وكل أنواع السلطة. وحين يُطرد من المدرسة بعد ذلك، سيلاحظ الناس غبائه، وجهله، وكذلك سوء أخلاقه. أي موقع سيستطيع هذا الشاب اليافع الوصول إليه في ظروف مثل هذه؟ كل ما لديه هو كراهية المجتمع والبشرية. وبعد هذا، في سن الخامسة عشر، سيبدأ ذات الحياة التي عاشها والده، فيذهب للحانات، ويعود متأخرًا لمنزله، وينتهي به الأمر في السجن .

وكم من مرة غضب الرأسمالي إذ سمع العامل الفقير يقول أنه لا يهتم سواء أكان ألمانيًا أم لا، ما دام يجد الغذاء والكساء. فقدان الشعور القومي

www.ybu3.com

بهذه الطريقة فظيع. كم من الألمان في عصرنا يشعرون بالفخر أن تذكَّروا انجازات أمتهم الثقافية والفنية؟ وهل يدرك المسئولين أن الشعور بالفخر والعزة الوطنية لا يصل إلا لقلة من أفراد الشعب .

لذلك لا بد من تحسين الأوضاع المعيشية ومن أن يركز التعليم على قيم أساسية تتفشى في أذهان الناس عبر التكرار .

ولكن ألمانيا، بدلاً من الدفاع عن القيم القليلة الموجودة، تسعى لتدميرها. والفئران التي تبث سمومها في القلب والذاكرة تنجح في الوصول لغاياتها، بمساعدة الفقر والمعاناة يومًا بعد يوم، في المسارح ودور السينما، نرى السم يُقذف على الجماهير، ثم يتحير الأثرياء عن أسباب انحطاط القيم الأخلاقية للفقراء، وانعدام الشعور الوطني بينهم .

قضية خلق الشعور الوطني إذًا يعتمد على توفير ظروف ملائمة لتعليم الأفراد لأن أولئك الذين يتعلمون عن طريق الأسرة والمدرسة فقط هم الذين سيستطيعون تقدير الإنجازات الثقافية والاقتصادية والسياسية لوطنهم لدرجة الانتماء لذلك الوطن. أستطيع أن أحارب فقط من أجل ما أحب، وأحب فقط ما أحترمه، وأحترم على الأقل ما أعرفه.

ومع ازدياد اهتمامي بالقضايا الاجتماعية، بدأت أقرأ المزيد عنها، وفتح عالم جديد أبوابه لي .

www.yabus.com

الفصل الأول: الحزب الإشتراكي الديمقراطي

خلال الأعوام 1910- 1900 تغيرت أوضاعي لأنني ما عدت أعمل كعامل، بل بدأت العمل كخطاط ورسام بالألوان المائية. ومع أن المال ما كان كافيًا، إلا أنه كفى لتحقيق طموحي آنذاك. إذ استطعت الرجوع للمنزل وأنا قادر على القراءة بدون أن يدفعني التعب من عمل اليوم للنوم فورًا. بات بعض وقتي ملكاً لي.

تصور الكثيرون أنني غير طبيعي. ولكنني تابعت ما أعشق، الموسيقى والعمران. كنت أجد في الرسم والقراءة كل اللذات وسهرت كثيرًا حتى الصباح مع لوحة أو كتاب. وهكذا كبرت طموحاتي، وحلمت بأن المستقبل سيحقق آمالي، وإن بعد حين. كذلك تابعت قضايا السياسة وقرأت المزيد عنها لأني أرى أن التفكير في شؤونها وظيفة تقع على عاتق كل مواطن يفكر. وبدون معرفة شيء عن طبيعتها لا يحق للفرد النقد أو الشكوى.

ما أعنيه بالقراءة يختلف عما يقوله دعاة الثقافة في عصرنا. فقد عرفت رجالاً قرأوا كثيراً، ولكنهم ما كانوا مثقفين. نعم، هم عرفوا الكثير من المعلومات، ولكنهم ما استطاعوا تسجيلها وتنظيمها. وهكذا افتقدوا فن تمحيص القيم من الغث، والتحرر مما كان بلا فائدة، والاحتفاظ بالمفيد

www.ybus.com

معهم طول العمر. فالقراءة ليست غاية في حد ذاتها، بل وسيلة لتحقيق الغايات. وظيفتها الأساسية هي ملأ الفراغ المحيط بالمواهب والقدرات الطبيعية للأفراد. المفروض هو أن نقدم للفرد المعدات التي يحتاجها لعمله الحياتي بغض النظر عن طبيعة هذا العمل. كذلك، يجدر بالقراءة أن تقدم رؤية معينة للوجود. وفي كلا الحالتين، الضروري هو ألا تتحول محتويات الكتاب إلى الذاكرة بجوار كتب لاحقة، بل أن توضع المعلومة المفيدة بجوار غيرها لتوضيح الرؤية الأساسية في فكر القارئ. وإن لم يحدث هذا، ستتجمع المعلومات بشكل فوضوي في الذهن، بلا قيمة سوى خلق الكبرياء. فالقارئ من هذا النوع سيتصور أنه قد عرف المزيد، وإن كان في الواقع يبتعد أكثر فأكثر عن الواقع حتى ينتهي المطاف به في مستشفى المجانين، أو مجلس الشعب، وهو ما يحدث كثيرا. وهو لن يستطيع إذًا الاستفادة مما قرأه.

أما القاريء الناجح، فيستطيع بسرعة إدراك ما سيستفيد منه وترك الباقي. المعلومة المفيدة ستصحح الأخطاء، وتوضح الصورة الكلية. ثم، حين تضع الحياة سؤالاً أمام القاريء، ستعرف ذاكرته كيف تجلب الأجزاء المطلوبة للإجابة، وتقدمها للعقل حتى يختبرها ويتحقق بشأنها، حتى تتم الإجابة على السؤال. وهذه هي القراءة المفيدة .

ومنذ صباي حاولت القراءة بهذا الأسلوب، وفي هذا المسعى عاونني الذكاء والذاكرة. أما تجارب الحياة اليومية فقد دفعتني لقراءة المزيد والتفكر بشأنه. وفي هذا المسعى عاونني الذكاء والتجارب. وهكذا وجدتني

www.vnbus.com

أخيرًا قادرًا على الربط بين النظرية والواقع، وعلى اختبار النظرية في ظل الواقع، ونجوت بهذه الطريقة من الكبت الذي تخلقه النظرية لمن لا يعرف سواها، ومن التفاهة التي يحياها من لا يعرف سوى الواقع اليومي المعاش.

خلال تلك المرحلة دفعتني تجارب الحياة إلى دراسة سؤالين آخرين، كانت الماركسية أحدها. فما عرفته عن الفكر الديمقراطي كان قليلاً وغير دقيق. آنذاك، أسعدتني فكرة الصراع من أجل حقوق الإنتخاب. فحتى في ذلك الزمن الباكر، أدركت بأن هذا سيضعف من سطوة السلطة الجائرة في النمسا. وكلما زادت اللغات المستخدمة في مجلس الشعب النمساوي الذي بات مثل –بابل– بدا تشتت تلك الدولة الحتمي وشيكاً، ومعه ساعة تحرر الشعب الألماني.

نتيجة لكل هذا، لم أتضايق من حركات الديمقراطية الإجتماعية. بل إن ادعائاتها بمساعدة الطبقات الفقيرة بدت لي من العوامل التي وقفت في صفها. ولكني رفضت في هذه الحركات عدائها لكل محاولات المحافظة على الشخصية الألمانية، ومغازلتها "للرفاق السلاف"، الذين ما تقبلوا من أفكارها إلا ما سيستفيدوا منه، وتركوا الباقي باحتقار تام .
حدث لقائي الأول مع هذه الحركات خلال عملي كعامل بناء.
وكانت التجربة سيئة منذ البداية. كانت ثيابي نظيفة، ولغتي جيدة، وسلوكي حذرًا. كنت لا أزال أسعى وراء مصيري لدرجة تجاهل الناس حولي. بحثت عن العمل فقط خوفًا من الجوع، والاستمرار في الدراسة .

www.ybu3.com

ربما ما كانت القضية ستهمني البتة لو لم يطلبوا مني في اليوم الرابع الانضمام لتجمعهم. ونظرًا لجهلي بالموضوع، رفضت موضحًا أنني لا أعرف ما يكفي عنهم للإنضمام إليهم. ربما لهذا السبب لم يعادونني، بل ورغبوا في إقناعي بالإنضمام إلى صفوفهم .ولكنني خلال الأسبوعين القادمين عرفت أفكارهم جيدًا، وما عاد باستطاعتي البتة الانضمام لمجموعة بغضتها .

ساعة الظهيرة حين كنا نتناول الطعام في الحانة .كنت أشرب الحليب وآكل الخبز في زاوية متطلعًا لهم بحذر أو متأملاً حظي السيء. وهكذا استمعت لهم، بل أنهم جاءوا بجواري حتى أستمع وأتخذ موقفًا. وما كان أمامي منفذ آخر لأن آرائهم أغضبتني جدًا. قالوا أن الحس الوطني نتج عن إعلام الطبقات الرأسمالية، وأنه عبارة عن سلاح يستخدمه الأثرياء لاستغلال العمال، والمدرسة ليست سوى مؤسسة لإنتاج العبيد وأسيادهم، أما الدين فادعوا أنه أسلوب لتخدير الشعوب حتى تسهل السيطرة عليهم، والأخلاق ليست سوى دلالة على الغباء. ما كان هناك ما لم يلقونه في الوحل. في البداية لذت بالصمت، ولكنني سرعان ما بدأت باتخاذ مواقف فكرية مخالفة، وقرأت فكرهم وناقشتهم بشأنه. واستمر النقاش حتى قرروا استخدام سلاح يقهر العقل بسهولة. وهو البطش والإرهاب. وهكذا طلبوا مني الذهاب وهددوني بأنهم سيلقونني في الخارج إن رفضت. وهكذا خسرت عملي، وفي نفسي سؤال مرير. هل هؤلاء فعلاً بشر؟ وهل يستحقون شرف الإنتماء لأمة عظيمة؟ وكان السؤال صعباً. وإن كانت

www.vnbu3.com

إجابته بالإيجاب، فإن الصراع في سبيل القومية لن يستحق التضحية والمعاناة، أما إن كانت الإجابة بالنفي، فإن أمتي ستفتقر بالفعل للإنسان.

ومن المؤكد أن ملايين العمال بدأوا برفض الحركات اليسارية، ولكن الرأسماليين ذاتهم دفعوهم لأحضانها بطريقة مجنونة. إذ أن الأثرياء رفضوا كل محاولات تحسين أوضاع العمال، سواء أكان الهدف تحسين الأوضاع الصحية في المصانع عبر تطوير الآلات، أو منع عمالة الأطفال، أو حماية المرأة الفقيرة أثناء فترة الحمل. وقد كان رفض هذه الأفكار مخزيًا بالفعل، ودفع العمال لأحضان اليسار. ولن تستطيع الرأسمالية أبدًا التحرر من أضرار رفضها للإصلاح الذي بذر الكراهية بين الغني والفقير ودفع بالعمال إلى الأحزاب اليسارية.

خلال تلك الفترة، رفضت أيضًا اتحادات العمال، وإن كنت خاطئًا في هذا الإتجاه. ففي سن العشرين عرفت أن الإتحاد العمالي سعى للدفاع عن الحقوق الاجتماعية لهذه الطبقة، وأن هدفه الأساسي كان تحسين أوضاعها الإجتماعية. فالعامل لا يستطيع إن ما رضي بعمله، استبداله بآخر. فإما أن يكون تحسين الأوضاع الإجتماعية في مصلحة المجتمع أو لا يكون. وإن كان، فلا بد من الصراع لتحسين هذه الأوضاع. ولكن العامل لا يقدر وحيدًا على مواجهة قوة الرأسمالي الثري. ولذلك كانت الإتحادات ضرورية. ولكنها منذ بدايات القرن العشرين بدأت تفقد دورها الاجتماعي الأساسي، ومع مرور الأعوام تحولت إلى سلاح تستخدمه الأحزاب الشيوعية في صراعها الطبقي. وهكذا بات هدفها تدمير اقتصاد المجتمع،

www.ybus.com

وتغييره، بدلاً من إصلاح الأوضاع السيئة، التي كان إصلاحها خطرًا إذ أنه قد يقنع العمال بتقبل أوضاعهم، ولا يسمح للشيوعيين بإستغلالهم بذات الطريقة البشعة. تطلع زعماء الإتحادات بخوف لإمكانيات الإصلاح لدرجة أنهم رفضوا أي محاولة للتغيير للأفضل، وهاجموها بقسوة شديدة. ثم تقدموا بطلبات مستحيلة ما كان للرأسماليين بد من رفضها، ثم ادعوا أن هناك مؤامرة لتدمير العمال واستغلالهم. ونظرًا لضعف قدرات هذه الطبقة الفكرية، ما كان النجاح صعبًا .

وهكذا عرفت طبيعة العلاقة بين هذه العقيدة المدمرة والطبائع الحقيقية لأناس ما عرفت بعد أي شيء عنهم. وقد كانت معرفتي باليهود فقط هي ما أوضحت لي الطبيعة الحقيقية الخفية لنشاطات اتحادات العمال، الديمقراطية ظاهرًا، الشيوعية في الخفاء.

لا أتذكر بالضبط متى بدأت بالتفكير بشكل جدي بالقضية اليهودية. لا أعتقد أنني استمعت لهذه الكلمة في منزلنا أثناء طفولتي. أعتقد أن والدي كان سيتضايق من الإهتمام بهذه القضية بل ويعتبر التركيز عليها نوعًا من أنواع التخلف. وبسبب تجاربه المختلفة، وصل لنوع من العالمية التي، بالرغم من وطنيته، أثرت علي بشكل ما. وما رأيت في المدرسة ما دفعني لتغيير أفكاري .وأتذكر الآن وجود شاب يهودي معنا في المدرسة، ولم نكن نثق به بسبب تسريبه للأخبار من شخص لآخر. ولكن هذا لم يدفعني للتفكير بالأمر بشكل جدي .

www.ybu3.com

في سن الخامسة عشر، استمعت لحوارات دينية وسياسية تناولت القضية اليهودية، ولكني ضقت ذرعًا بها نظرًا لطبيعتها الدينية. كان هناك بعض اليهود في لينز. ومع مرور القرون، تغيرت طباعهم ومظهرهم لدرجة أنني اعتبرتهم ألمانًا. ياللبلاهة! تصورت أنه لا فرق بيننا وبينهم سوى الدين. حقيقة معاناتهم للإضطهاد بسبب دينهم، كما تصورت واهمًا، دفعتني للغضب حين سمعت الناس ينتقدونهم.

ثم جئت إلى فيينا وبسبب اهتمامي بالمعمار والصعاب التي واجهتها، لم ألاحظ وجود مئتا ألف يهودي بين المليونين الذين يقطنونها .غمرتني الأفكار والقيم الجديدة. وفقط مع عودة الوعي والتروي وضحت الرؤية. في البداية، أغضبتني للغاية انتقادات بعض الصحف المحلية لليهود، وتصورت أنها رجعة لتطرف العصور الوسيطة. وبما أن المجلات المعنية ما كانت حسنة السمعة، تصورت أن القضية لا تزيد عن كراهية وحسد. وأكد صحة هذا الرأي الأسلوب النبيل الذي استخدمته الصحف الكبيرة في الرد على هذه الاتهامات، أو رفضها أحيانًا كثيرة مجرد التعليق عليها، وقتلها بالصمت المطبق.

قرأت الصحافة الدولية وأذهلني وسع أفقها ومواضيع مقالاتها. احترمت سموها الفكري، وإن ضايقني أحيانًا ما اعتبرته نوع من النفاق على حساب الحقيقة. فقد رأيت مغازلة هذه الصحف للسلطة. وما حدث أمر يتعلق بالحكومة، إلا ووصفوه بحماس منقطع النظير. وفي ذات الآن، كانوا أحيانًا يهاجمون الحكومة القيصرية في ألمانيا. كانت موضوعيتهم إذًا

www.vnbus.com

عبارة عن احترام مصطنع لاتفاقية بين دولتين. شعرت بسطحية هذه الصحافة، وبدأت ألاحظ نقاط ضعفها. قرأتها الآن بحذر، ولاحظت أن الصحافة المعادية لليهود، كانت أكثر صراحة أحيانًا. بل أن بعض ما نُشر على صفحات الأخيرة كان يدفع للتفكير.

وفي يوم لاحظت يهودياً في شوارع فيينا وتطلعت له متسائلاً: هل هذا الرجل ألماني؟ كالعادة قمت بالقراءة عن هذا الموضوع، وكانت الكتب سيئة الكتابة تصوروا أن القارئ يعرف كل ما هو ضروري عن أساسيات الموضوع، وجعله يقدم أفكارًا غير علمية البتة. تراجعت، وخشيت أن تتكون لدي آراء غير عادلة بهذا الشأن.

ما بات واضحًا لي هو أن اليهود ما كانوا ألمانًا، بل شعبًا خاصًا. فمنذ أن بدأت بدراسة الموضوع بت ألاحظهم وكانت تصرفاتهم وأخلاقياتهم وأشكالهم تخالف تمامًا الألمان العاديين. بل أنني عرفت أن هناك بينهم حركة تدعى الصهيونية تؤكد على أنهم شعب خاص. وكان واضحًا أن بعضهم وافقوا على هذه الفكرة، وعارضها آخرين. ولكن المعارضين للصهيونية بدوا لي كاذبين لأنهم ما رفضوا الصهاينة كمارقين، بل كيهود يقدمون أفكارًا خطيرة وأساليب ضارة للتعبير عن هويتهم الدينية .وهكذا كانوا جميعًا جسدًا واحدًا، الصهاينة وغيرهم.

خلال فترة قصيرة تقززت من الحوار بين اليهود الصهاينة واليهود غير الصهاينة لأن الحوار بدا لي مبنيًا على خداع كاذب لا يتلائم مع السمو

www.vnbus.com

الخلقي والطهارة التي يدعيها الشعب المختار لنفسه .

ثم لاحظت أيضًا الدور الذي يلعبونه في الحياة الثقافية. ولا أدري هل يوجد أي نوع من أنواع الفساد الأخلاقي والثقافي بدون أن يكون أحدهم وراءه. لاحظت دورهم في الصحافة، الفن، الأدب، المسرح. لم أحتج سوى قراءة الأسماء وراء كل إنتاج يسعى لهدم البنية الأخلاقية للمجتمع، وفي جميع الميادين. إن أنتجت الطبيعة واحدًا مثل جوثة، فهناك مقابله آلاف من هؤلاء الذين يبثون السموم في أرواح الناس. وبدا كأن الطبيعة قد خلقت اليهود للقيام بمثل هذه الأدوار.

تسعة أعشار القذارات في ميداني الأدب والمسرح أنتجها الشعب المختار، وهم لا يزيدون عن 1% من السكان. أما الصحافة الدولية التي أحببتها يومًا فكان غالب كتابها منهم. أدركت الآن أن أسلوبهم الموضوعي في الرد على مهاجميهم، والتزامهم الصمت أحيانًا، ما كانا سوى خداعًا يهدف للسيطرة على الناس. لاحظت أن الأعمال المسرحية والأدبية التي يمتدحونها هي التي يقدمها اليهود، أما الأعمال الأدبية الألمانية، فانتقدوها دائمًا بقسوة بالغة. ما اختبأ وراء الموضوعية المصطنعة كان العداوة الشديدة لكل ما هو ألماني.

ولكن، لمصلحة من كان كل هذا؟

هل كان كله محض صدفة؟

بت غير واثق شيئًا فشيء.

www.vnbus.com

ثم لاحظت الأخلاقيات اليهودية في الشارع. علاقتهم بالدعارة، بل وباستعباد البيض، كان واضحًا جدًا في فيينا. وهكذا حين أدركت أن اليهودي هو ذلك المرابي البارد القلب، المنعدم الحياء، الذي يستثمر أمواله في هذه التجارة الفاسدة التي تدمر المجتمع، ارتعشت أطراف جسدي.

بدأت بمناقشة القضية اليهودية، وتعودت أن أراهم في مختلف فروع الحياة الثقافية. ولم أستغرب حين عرفت أن زعيم الحزب الديمقراطي الذي تحدثت عنه أعلاه كان يهوديًا .

وحتى في علاقاتي اليومية مع العمال، لاحظت قدراتهم المذهلة على تقبل آراء متعاكسة، متذبذبين بين اتجاه وآخر أحيانًا خلال ساعات أو أيام محدودة. لم أستطع أن أفهم كيف يمكن لأناس، حين تتحدث مع أحدهم، يبدو لك منطقيًا واقعيًا، أن يتحول فجأة تحت تأثير رفاقه لآراء معاكسة لكل منطق. أحيانًا شعرت باليأس التام المطبق. فبعد ساعات قضيتها في حوار مضني، شعرت بأنني ساعدت في تحرير أحدهم من هراء آمن به، وسعدت لنجاحي، ولكني سمعته يكرر ذات الهراء ثانية صباح اليوم التالي، وذهب جهدي هباء .

فهمت أنهم ما كانوا قانعين بأوضاعهم وبغضوا القدر الذي عاملهم بقسوة شديدة، والرجال الذين بخسوهم الأجر وما فهموا معاناتهم، وأنهم تظاهروا

www.vnbu3.com

ضد ارتفاع الأسعار، كل هذا كان مفهومًا. ولكن ما لا أفهمه كان كراهيتهم لجنسهم ووطنهم، واحتقارهم له، وتدميرهم لتاريخه. كان هذا الصراع ضد جنسهم وقبائلهم وبلادهم تدميرًا للذات. وإن أمكن معالجتهم منه، فلساعات محدودة.

ثم لاحظت أن صحافة الديمقراطيين تحكم فيها اليهود. ومع أن ظروف العمل في هذه الصحف شابهت غيرها، إلا أنني لم أجد بينها واحدة يمكن اعتبارها حسب رؤيتي الخاصة، وطنية. كانت الصحافة التي يديرها اليهود شيوعية في العادة، وأسعدني هذا. إذ عرفت أن الحزب الذي كنت أتصارع معه منذ شهور كان أجنبيًا، فاليهود ما كانوا أبدًا ألمانًا.

عرفت الآن من أغوى شعبنا لطريق الضلال .
عرفت أيضًا أن إنقاذه ممكن .
أما اليهودي، فآرائه الضالة لا تتغير أبدًا .

فقد حاولت آنذاك مناقشتهم. تحدثت كثيرًا وأوضحت شرور الفكر الماركسي، ولكن بلا فائدة سوى أن يبح صوتي. وأحيانًا، حين نجحت في إصابة أحدهم بضربة فكرية مميتة، وشاهد جميع السامعين هذا، واضطر غريمك للموافقة، فإنه سيعود صباح اليوم التالي لمواقفه ذاتها، وكأن أي تغيير لم يحدث.

وكان لكل هذا فائدة. فكلما فهمت أساليب اليهود وخداعهم بشكل أفضل،

www.ynbus.com

زاد عطفي على العمال وأدركت أنهم ضحايا لهذه الأساليب وإغوائها .

تراجعت عن الأفكار الدولية وبت ناقمًا على اليهود. وحين درست نشاطاتهم عبر القرون، تسائلت: هل كتب القدر لهم التوفيق والسيطرة على الآخرين، لأسباب لا نعرفها؟ هل يمكن أن يكون النصر حليفًا لأمة ما عاشت إلا للدنيا؟

تفكرت مرة أخرى في عقائد الماركسية، وتعلمت أشياءً جديدة. إن هذه العقيدة ترفض فكرة الصفوة الارستقراطية الموجودة في الطبيعة وتستبدل القوة الفكرية بالكثرة العددية. وهي لهذا السبب ترفض أي قيمة فردية، وتعارض الفكر القومي، وتسحب من الإنسانية ثقافتها. إنها فكرة كفيلة بتدمير أي حضارة، وإن انتصر اليهودي بمعونة هذا الفكر، فإن نصره سيكون الدمار النهائي للإنسانية.

ولذلك أشعر أنني أتصرف بمعاونة الخالق العظيم ومن أجل تحقيق أهدافه السامية لمصلحة البشرية حين أدافع عن نفسي ضد اليهودية وأعلن الحرب عليها .

www.vbu3.com

الفصل الأول: مفتاح الإشتراكية

بعد أن تكشفت لي حقيقة الإشتراكية الديمقراطية، انكببت على درس نظريات قادة هذه الحركة، فوجدت نفسي أمام عقيدة مبنية على الحقد والأنانية، عقيدة يعني انتصارها هزيمة للبشرية، وما لبثت أن اكتشفت الصلات الوثيقة بين هذه العقيدة الخطرة والمبادئ التي يدعوا إليها اليهود. وأدركت مع الأيام أن أهداف الحركة الإشتراكية الديمقراطية هي نفسها أهداف اليهود كشعب، واليهودية كدين، والصهيونية كحركة سياسية قومية. ففي حداثتي كنت أعتبر يهود بلادي مواطنين. وكنت لا أعتبر الخلاف في الدين، حتى أني وبخت صديقًا لي لإهانته أحد التلاميذ اليهود .

وظلت هذه نظرتي إلى اليهود إلى أن انتقلت إلى فيينا، فبرزت أمامي المسألة اليهودية في زحمة المسائل التي كانت تواجه النمسا حكومة وشعبًا. وقد تبينت لي هذه المسألة من خلال حملات الصحف المعادية للسامية، وكنت أعتقد أن هذه الحملات كانت نتيجة التعصب الأعمى، وكانت الصحف التي تهاجم اليهود قليلة الانتشار، والصحف التي تتولى الرد عليها كانت من الصحف الكبرى، وكان أسلوبها الرصين يلاقي في نفسي وقعًا حسنًا. ولكن سرعان ما ضايقني تزلفها الشديد للسلطات وحملاتها العنيفة على الرايخ والامبراطور غليوم الثاني الذي كنت معجباً

www.vnbu3.com

به لتزويده ألمانيا بأسطول بحري من الطراز الأول، كما أغضبني من الصحافة الكبرى عطفها على فرنسا واعجابها بها ونعتها إياها "بالأمة المتمدنة" وكنت أتساءل لمصلحة من تعمل هذه الصحف ومن هم موجهيها؟ فجاء الجواب في الوقت الذي تكشفت لي فيه اليهودية على حقيقتها.

كنت أعتبر اليهود مواطنين لهم ما لنا وعليهم ما علينا، ولكن اختلاطي بأعداء السامية من مفكرين وساسة جعلني أتحفظ في الحكم على أعداء اليهود، وما لبثت أن أصبحت من المهتمين بالمسألة اليهودية بعد أن لمست بنفسي تكتل الإسرائيليين وتجمعهم في حي واحد من أحياء فيينا، ومحافظتهم الشديدة على تقاليدهم وعاداتهم وطقوسهم. ومما زاد اهتمامي بمسألتهم ظهور الحركة الصهيونية وانقسام يهود فيينا إلى قسمين. قسم يؤيد الحركة الجديدة ويدعو لها. وقسم يشجعها. وقد أطلق خصوم الصهيونية على أنفسهم اسم "اليهود الأحرار" إلا أن انقسامهم هذا لم يكن إلا من باب التمويه، فتأكدت أن انقسامهم مصطنع وأنهم يلعبون لعبتهم في النمسا وفي العالم كله. وهي لعبة قذرة تعتمد الكذب والرياء مما يتنافى والطهارة الخلقية. طهارة الذيل التي يدعيها اليهود. وطهارة الذيل هذه، وطهارة أخرى يدعيها اليهود هي ذات طابع خاص. فقذارتهم كانت تصدم النظر منذ أن تقع العين على يهودي، وكنت أضطر إلى سد أنفي كل مرة ألتقي بأحد لابسي القفاطين. لأن الرائحة تبعث على القرف. ولكن قذارتهم الجسدية ليست شيئًا يذكر بالنسبة إلى قذارة نفوسهم، فقد أثبتت لي الأيام أن ما من عمل مخالف للأخلاق وما من جريمة بحق المجتمع إلا ولليهود

www.ybus.com

فيها يد. واستطعت أن ألمس مدى تأصير هذا" الشعب المختار" في تسميم أفكار الشعب وتخديره وشل حيويته. فقد امتدت أصابع الأخطبوط اليهودي إلى جميع الميادين وفرض سيطرته عليها. وأصبح هذا التغلغل كالطاعون الأسود بل أشد منه فتكًا، إذ أن تسعة أعشار المؤلفات والنشرات والمسرحيات واللوحات الفنية التي تدعوا للإباحية المطلقة وللماركسية هي من صنع اليهود.أما الصحف الكبرى التي أعجبت بها وبرصانتها فكان معظم محرريها وموجهيها من أبناء هذا "الشعب المختار". وشعرت بعد معرفتي بالحقيقة مدى تأثير اليهود في توجيه الرأي العام وذلك بالنظريات التي تتناوب ومصالحهم الشخصية البعيدة الهدف. فالنقد المسرحي في الصحف التي كان يهيمن عليها أو حتى يشارك في تحريرها يهود، يرفع من شأن الممثلين اليهود والمؤلفين المسرحيين ويحط بالتالي من قدر زملائهم الألمان. والمقالات السياسية التي كانت تمجد بآل هابسبورغ وتكيل المديح لفرنسا، كانت بنفس الوقت تهاجم غليوم الثاني وحكومته.

مما زاد من نقمتي على اليهود تكالبهم على المال بجميع السبل الملتوية، وقد لمست الحقائق التي لا تخطر ببال، الدور الذي يمثله اليهود في ترويج سوق الدعارة والاتجار بالرقيق الأبيض. هذا الدور الذي يؤديه اليهود بمهارة لم ينتبه إلى خطورته الشعب الألماني إلا في الحرب العالمية الكبرى .أما أنا فقد شعرت بالقرف حين اكتشفت أن اليهودي، هذا المخلوق الوديع، هو الذي يستثمر البغاء السري والعلني ويحوله إلى تجارة رابحة.

www.ybus.com

انصرفت منذ ذلك الحين إلى جمع المعلومات والأدلة على جرائم اليهود بحق الوطن والمجتمع. وكنت أتابع نشاطاتهم في شتى الميادين، وقد اصطدمت بهم في أمكنة لم يخطر لي أنهم فيها، فقد ظهر لي أن اليهود يتزعمون الحركة الإشتراكية الديمقراطية، ويسيطرون على صحفها ويوجهون نقاباتها. وكان معظم النواب الإشتراكيين الديمقراطيين يهود ورؤساء النقابات جميعهم من اليهود. بما فيهم قادة ومديري المؤامرات ورؤساء تحرير الصحف التابعة للحزب.

وهكذا أصبح الحزب الكبير الذي يسيطر على مقدرات البلاد ألعوبة بيد شعب أجنبي، لأن اليهودي لا يمكن بحال من الأحوال أن يكون ألمانيًا. وأخيرًا وضعت يدي على الروح الشريرة التي تمنع شعبنا عن التقدم. كانت الفترة القصيرة التي أمضيتها في فيينا كافية لإقناعي أنه مهما استبدت الأوهام بالعمال وضللتهم الدعايات المغرضة، فإنهم سيقتنعون مستقبلاً، لو قدر لرجل مخلص أن يأخذ على عاتقه مهمة تحريرهم من المستثمرين، وهذا ما بدأته ووقفت به إلى حد كبير. وعلى العكس لم أوفق ولو مرة واحدة لإقناع يهودي واحد بأنه على خطأ. وقد كنت من السذاجة بحيث رحت أحاول اقناع بني صهيون بسخف المبادئ الماركسية. وسرعان ما أدركت أن أسلوبهم في الجدال يقوم على قواعد خاصة بهم، وهو اعتمادهم في أول الجدال على بلاهة خصمهم، فإذا لم يتمكنوا منه تظاهروا هم بالغباء، فيستحيل على خصمهم أن يأخذ منهم أجوبة واضحة. أما إذا اضطر أحدهم إلى التسليم بوجهة نظر خصمه بوجود بعض الشهود

www.vnbu3.com

فإنه يتجاهل في اليوم التالي ما كان من أمره ويتظاهر بالدهشة إذا ما جوبه بالشهود ويسترسل بالكذب ويزعم أنه أفحم خصمه بحجه دامغة في اليوم الأسبق.

لم يكن العمال مسؤولين عن ما تعانيه البلاد من اضطرابات، بل كانت المسؤولية ملقاة على عاتق الحكام الذين لم يكلفوا أنفسهم عناء الاهتمام بمشاكل الشعب ووضع الحلول اللازمة لإزالة تلك المسببات. وقد عكفت على درس العقيدة الماركسية والبحث عن مصادرها وجذورها، وتتبع تطوراتها، وقد تساءلت مرارًا: هل كان أصحاب هذه العقيدة يتوقعون لها هذا النجاح؟ وهل كانت لديهم فكرة عن نتائج نجاح الماركسية على المدى البعيد؟ أم كانوا ضحية الخطأ في التقدير؟ فإذا كان الأمر الثاني فإنه يجب على كل رجل أن يقف في وجه هذه الحركة المخيفة ويمنع تطورها. وإذا كان الأمر الأول فلا بد أن يكون زعماء هذا الوباء الذي يهدد الشعوب أبالسة حقيقيين، لأن العقل الذي تمكن من أن يضع تصميم فكرة لا بد أن يؤدي انتشارها في المستقبل إلى تدهور الحضارة وانهيارها وتحويل العالم إلى قفر، هذا العقل ليس بعقل انسان ولكن عقل مسخ.
في هذه الحالة يجب أن تكافح كفاحًا مريرًا، وبجميع الأسلحة التي يمكن للعقل البشري أن يصنعها بالإضافة إلى الذكاء والإرادة الحديدية.

وقد توصلت نتيجة دراستي للمسألة اليهودية إلى تفهم الحركة الماركسية دون عناء، ذلك أن اليهود هم الذين وضعوا مبادئها وتولوا الدعاية لها.

www.ynbus.com

وعرفوا كيف يستغلون جهود الذين كانوا ضحيتها. كذلك رجعت إلى تاريخ الشعب اليهودي عبر الأجيال وما كان له من تأثير في توجيه البشر. فهالتني شدة التأثيرات وتساءلت بقلق: هل يقضي القدر بأن يكون لليهود النصر النهائي؟

إن العقيدة اليهودية المعبر عنها في التعاليم الماركسية لا تعترف بالمبدأ الأرستقراطي وتضع التفوق العددي محل القوة والمقدرة، وبالتالي تنكر قيمة الإنسان الفردية كما تنكر أهمية الكيان القومي والعنصري، مجردة البشرية من العناصر التي لا بد من وجودها لاستمرارها وبقاء حضارتها. فإذا اعتمدت هذه العقيدة كأساس للحياة فإنها ستقوض كل نظام وتعود بالجنس البشري إلى عهد الفوضى واختلاط العناصر مما سيؤدي إلى انقراض البشر، وإذا قدر لليهودي من خلال إيمانه الماركسي أن يتغلب على شعوب هذا العالم فلن يبقى للبشر من أثر على سطح الأرض.

إن الأبدية ستنتقم من الذين يخالفون أحكامها، ولذلك سأتصرف حسب مشيئة الخالق، لأني بدفاعي عن نفسي ضد اليهودي إنما أناضل للدفاع عن مشيئة الخالق وعمله.

www.vnbus.com

الفصل الأول :ميونخ

غادرت فينا في ربيع عام 1912 قاصدًا ميونخ. فقد كنت أعرف تلك المدينة كما لو كنت ساكنًا فيها، وذلك بسبب دراستي للفن الألماني. إن من يزور ألمانيا ولا يرى ميونخ لن يعرف شيئًا عن الفن الألماني، فقد كانت الفترة التي أمضيتها في ميونخ من أسعد أيام حياتي مع أن تحصيلي من عملي كان متواضعًا، ولكن ما كنت أعمل لأعيش بل لأتابع دراستي وتحصيلي وأنا متأكد من بلوغي الهدف الذي رسمته لنفسي.

لقد تعلقت كثيرًا بهذه البلدة الجميلة وشعرت بالفرق العظيم بينها وبين فيينا، ومما زادني تعلقًا بها ما رأيته من مظاهر الحيوية الدافقة في جميع الميادين ومن روائع الفن الناطقة بعظمة الفن الألماني، ولا شك أن تعلقي بميونخ هو لأنها مرتبطة بتطوري ونمو مداركي ارتباطًا شديدًا لا يمكن فصله، بالإضافة إلى تأثير جمالها في كل رجل مرهف الحس محب للجمال.

لم يصرفني انكبابي على الدرس عن متابعة الأحداث السياسية. وكنت ألمس من سياسة ألمانيا الخارجية أنها مبنية على أسس غير سليمة. وذلك من خلال المخالفات التي أنشأتها. ولكني كنت أظن أن الساسة في برلين على علم بحالة الضعف التي وصلت إليها النمسا. وبنفس الوقت يكتمون هذه الحقيقة عن الشعب تجنباً لنقمته. وبنفس الوقت كانوا

www.vnbu3.com

يحرصون على الحفاظ على سياسة المحالفات التي رسمها ووضع أسسها بسمارك.

ولكن مع الأسف فقد كانت الفكرة لدى الألمان عن النمسا خاطئة. والوهم كان سائدًا بأن النمسا لا تزال قوية يمكن الاعتماد عليها كحليف قوي. أما أنا فكنت على علم تام بمشاكل النمسا، بينما كانت الدبلوماسية الرسمية تجهل تلك المشاكل الخطيرة. حتى أن الرأي العام ظل على اعتقاده الخاطيء بقوة النمسا وجيشها وخاصة أنها لا تزال ألمانية. وبلغ بهم حسن الظن حدًا أصبحت فيه ادعاءات فيينا من أمانة للتحالف الثلاثي مثارًا للسخرية من الصحف في عواصم الولايات السلافية لا سيما براغ التي كانت تعتبر هذا التحالف مسرحية مضحكة ومبكية معًا. وكان الرأي السائد في أيام السلم أن هذه المحالفات ستنقض عند أول تجربة قاسية.

وقد صدق الحدس ورأينا ايطاليا وفي الوقت الذي كان التحالف يمر في تجربته القاسية الأولى، تتنكر لحلفائها ألمانيا والنمسا وتقف مع أعدائها.

عندما كنت في فيينا لاحظت الحماس البالغ من قبل أنصار الوحدة الجرمانية للتحالف الثلاثي بسبب اعتقادهم أن هذا التحالف سيدعم موقف ألمانيا في حال نشوب الحرب، وبذلك يرتبط مصير النمسا بمصير الرابح.

وقد فاتهم أن هذا الحلف سيحمل الرابح حملاً ثقيلاً ويؤدي بالدولتين إلى الهاوية. كما أن تفاؤلهم بالحلف سيضمن تحقيق أمانيهم القومية، ولكن

www.ynbu3.com

هذا الحلف كان ستارًا استخدمته فيينا لتغطية تدابيرها الرامية إلى إبادة العناصر الجرمانية في البلاد.

لقد أصبح موقف ألمان النمسا حرجًا نتيجة لسياسة الأحلاف، لأنهم لو استمروا في نضالهم لاعتبروا خائنين، ولم يفت المطلعين منهم أن الحلف الثلاثي قيمته في ابقاء العنصر الألماني متفوقًا، وبالتالي يوم يتغلب الطابع السلافي على البلاد سيصبح لا قيمة له .وقد آلم هذا الفريق من الألمان النمساويين أن تسقط هذه الاعتبارات من حساب الدبلوماسية والرأي العام الألماني، وذلك يجعل مستقبله مرتبطًا بمعاهدات مع سلطة لا تتورع عن إبادة رعاياها الألمان. أي العنصر الأساسي الذي ستعتمد عليه هذه المعاهدة.

ولو رجع المسؤولون إلى التاريخ لوجدوا أنه لا يمكن للكولينال والقصر الامبراطوري أن يحاربا جنبًا إلى جنب. فالشعب الإيطالي لم ينسَ موقف الهابسبورغيين من وحدة بلاده واستقلالها. ولن تجرؤ الحكومة الإيطالية على إرسال جندي واحد إلى الحرب ما لم تتأكد من أنه سيحارب آل هابسبورغ بالذات. ولإن تكن إيطاليا قد دخلت الحلف الثلاثي فلرغبتها في كسب الوقت والتضليل، بحيث يركن حلفاؤها إلى المعاهدات بينما تستعد هي للحرب.

إن سياسة المحالفات التي اعتمدتها ألمانيا منذ أن ساءت علاقات النمسا مع روسيا، قد بنيت على افتراضات خاطئة.

www.ybus.com

لقد كانت الرغبة في عقد المحالفات هو الحاجة الملحة إلى أصدقاء يمكن الاعتماد عليهم في حالة نشوب حرب لا بد منها. فقد كان على ألمانيا أن تواجه مشكلة تكاثر عدد السكان، ففي كل سنة كان يزداد عدد سكان ألمانيا 900 ألف شخص. وهذا التزايد يهدد البلاد بكارثة إذا لم تفكر السلطات بتدابير سريعة تقطع الطريق على المجاعة .

وكان هناك أربع حلول يمكن اعتبارها:

أولاً: تحديد النسل منعًا لازدياد عدد السكان، كما هو جاري في فرنسا، ففي الأقطار ذات المناخ الرديء تتولى الطبيعة مهمة الحد من تضخم عدد السكان، فهي تعترض نمو السكان وتخضعهم إلى تجارب قاسية فتزيل العناصر الضعيفة وتبقي على الأصلح، وبذلك يتوصل خفض العدد إلى تقوية الفرد وبالتالي النوع. وعلى العكس من ذلك إذا تولى الإنسان بنفسه تحديد النسل، فهو غير الطبيعة، لا يعترض نمو الفرد ولكنه يتولى الحد من التناسل، وبذلك يرضي إنسانيته لأنه لا يرى من الكون إلا نفسه ولا يعتبر وزنًا للعرق الذي ينتمي إليه.

إن طريقة الإنسان وعواقبها هي عكس طريقة وعواقب الطبيعة. فالطبيعة تفسح المجال للتناسل ولكنها تخضع هذه السلالة إلى امتحانٍ قاسٍ فتختار الأصلح للحياة وتحتفظ به وتوكل إليه مهمة حفظ النوع. أما الإنسان فإنه يحد من نسله ويحاول الحفاظ على سلالته سواءً كانت صالحة للحياة أم لا. ولذلك يتمكن من الحد من العدد ولكن قيمة الفرد تتضاءل كما تتضاءل

www.ynbu3.com

جودة النوع.

إن سنة الطبيعة تفسح مجال البقاء للأقوى، أما الحد من التناسل فلا يستبعد السلالات الضعيفة الغير جديرة بالحياة، فتؤلف سلالة جديدة أشد ضعفًا، مما يشكل تحدياً لسنة الطبيعة. ولكن الطبيعة تثأر لنفسها من هذا التحدي، فتسلط الأقوياء الجديرين بالحياة على الضعفاء الخاملين. وليعلم الذين يدرسون مشكلة تزايد عدد السكان أن الطريقة المتبعة في فرنسا أي تحديد النسل، لو اتبعت في ألمانيا فإنها تعني القضاء على مستقبل الشعب الألماني.

ثانيًا: إن الاعتماد على زيادة محصول الأرض كوسيلة لإنقاذ الشعب الألماني من المجاعة، ممكن كحل مؤقت. ولكن هذه الطريقة لن تحل المشكلة من أساسها حلاً نهائيًا. باعتبار أن عدد السكان سيزداد بينما قدرة الأرض على الانتاج ستتضاءل. ولأن متطلبات السكان تأخذ بالتنوع فمثلاً كانت متطلبات أجدادنا منذ مئة عام أقل من متطلبات جيلنا الحاضر بنسبة كبيرة جدًا .فالأرض كما قدمنا لن تتمكن من العطاء إلى الأبد ولا بد أن يأتي اليوم الذي ستجف الأرض وتصبح عاجزة عن الإنتاج والعطاء. وقد لا تجف الأرض إلا في سنوات القحط، ولكنها ومع الاستمرار في ازدياد عدد السكان ستصبح عاجزة تماماً، فتطل المجاعة بوجهها القبيح، ولا ينقذ الموقف إلا تدخل الطبيعة بما تملكه من قوة في اختيار من هم صالحين للبقاء، وتترك سائر السكان لمصيرهم المحتوم.

www.ybu3.com

وقد يقول قائل أن هذه الاحتمالات ستحصل يومًا من الأيام وستطال المجاعة البشرية كلها ولن يسلم من خطرها شعب من الشعوب. وهذا القول يبدو صحيحًا. ولكن هذا لا يمنع من النظر إلى الأمور على حالتها الراهنة فالطبيعة لا تتعرف إلى الحدود السياسية، وهي وضعت المخلوقات الحية على وجه البسيطة، وبدأت تراقب صراع القوى المختلفة وتنظر بعين العطف إلى من هو جدير بالحياة والبقاء. وقد تركت الطبيعة أراضٍ شاسعة لا تزال بكرًا، وهي لم تحتفظ بها لجنس من الأجناس، بل تركتها للشعب الذي يتمكن من امتلاكها ويضع يده عليها.

فالشعب الذي ينصرف إلى الاستعمار الداخلي، بينما تحاول الشعوب الأخرى الامتداد إلى مناطق واسعة في الأرض، سيضطر هذا الشعب إن عاجلاً أو آجلاً إلى تحديد نسله. ومن الملاحظ أن أفضل الأمم هي التي لا تطمح إلى التوسع وتكتفي بالاستعمار الداخلي، تاركة التوسع لأمم أقل منها جدارة ولكن أكثر منها عزيمة وقوة وحيوية. وفي نفس الوقت تجد الأمم الأولى مضطرة إلى تحديد النسل لتفادي المجاعة، بينما تجد الثانية تنمو وتزدهر وتزداد قوة تبعاً لازدياد امكاناتها.

إن فكرة الاستعمار الداخلي ستكون وبالاً على شعبنا، فليس أقتل لحيوية شعبنا من القناعة التي لا يبررها الواقع، فالقناعة ستقعد بنا عن الجهاد في سبيل المستقبل اللائق. ومتى قلنا لشعبنا أن ألمانيا تكفي نفسها بنفسها، فلنقل على ألمانيا السلام.

www.vnbu3.com

إن من سخرية القدر أن يكون اليهودي هو الموجه لهذا التوجيه الخطر، وهو المدخل في روعنا أن في امكاننا توفير ما نحتاجه جميعًا باستدرار عطف الأرض الألمانية.

لن ينقذ ألمانيا من خطر الجوع إلا الاستيلاء على أرض جديدة. والبلاد الصغيرة في مساحتها تبقى معرضة للمفاجآت العسكرية والسياسية، فكلما امتدت أراضي شعب سهل الدفاع عنه، فقد رأينا أن الانتصارات السريعة كانت على أراضي شعوب مجالها الحيوي ضيق. بينما كان على العكس من ذلك بالنسبة للبلدان ذات المساحات الشاسعة، إذ أن قوة المهاجم تنهار قبل وصوله إلى هدفه البعيد.

إن الموجهين الألمان قد رفضوا فكرة الاستعمار الداخلي لأسباب غير التي ذكرناها سابقًا فقد اعتبروا الاستعمار الداخلي كهجوم على الاقطاعيات الكبيرة بشكل عام وعلى الملكية الخاصة بشكل خاص. كما رفضوا فكرة تحديد النسل لأسباب دينية بحته.

ثالثًا: تأمين الطعام والإسكان والعمل للسكان الآخذين بالازدياد وذلك بالاستيلاء على أرضي جديدة وإسكان الألمان فيها.

رابعًا: إغراق الأسواق الخارجية بالبضائع الألمانية لتوفير أرباح كافية تمنع عنا شبح المجاعة.

لقد أصبح على ألمانيا أن تختار بين الاعتماد على التوسع أو الاعتماد على

www.ynbus.com

التجارة. وقد اختارت التجارة بعد تردد طويل، وكان عليها أن تختار التوسع لأنه أصلح وأسلم، إذ أن كسب أراضي جديدة ينتقل إليها الفائض من السكان له ميزات عديدة، أهمها وجود طبقة سليمة من الفلاحين تعتمد عليهم الأمة كلها. فإن ما نشكو منه اليوم سببه فقدان التوازن بين ما تقدمه المدن وبين ما تقدمه الأرياف، وقد كان وجود المزارعين الصغار المتوسطي الحال كالدرع الواقي للشعب ضد مشاكله الاجتماعية التي يواجهها الآن. باعتبار أن نشاط المزارعين ضمن مجالات الاقتصاد المقفل يجعل نشاطهم يسير جنبًا إلى جنب مع باقي النشاطات الاقتصادية وبذلك يؤمن التوازن المطلوب بين حاجات السكان وحالة الانتاج.

لكن سياسة التوسع لا يمكن أن تستهدف بلادًا بعيدة كالكاميرون مثلاً، إذ أن مكانها الوحيد هو أوروبا. وعلينا كألمان أن نعتنق النظرية القائلة أن الله لا يمكن أن يقضي بأن يحصل شعب على خمسين ضعف ما لشعب آخر من الأرض، وأنه إذا كانت الأرض قادرة على إكفاء الجميع، فليس من العدالة بشيء أن يفصل بيننا وبين الحصول على المدى الحيوي لنمونا وبقاءنا. لذلك يجب على كل فرد أن يكافح ليؤمن ما يكفل له البقاء، وإن لم يتمكن بالمسالمة واللين فعليه بالقوة. ولو أن أجدادنا استسلموا وتخاذلوا كما هي عقلية جيلنا اليوم، لما كان لنا الآن ثلث أراضي وطننا الألماني، ولولا نضالهم لما قامت للرايخ أية قائمة.

وهناك اعتبار آخر يجعل من التوسع طريقة مثلى:
تشغل بعض الدول الأوروبية مساحة صغيرة جدًا بينما تشغل ممتلكاتها

www.vnbus3.com

خارج القارة مساحات شاسعة فتكون قمة هذه الدولة في اوروبا وقواعدها تمتد إلى جميع أنحاء العالم، كالشكل الهندسي للهرم. وهذا عكس ما هو في الولايات المتحدة الأمريكية فقاعدتها على أرضها ولا يوجد ارتباط بينها وبين العالم الخارجي إلا بواسطة القمة. وهذا مما يجعل للبلاد مركزًا داخليًا منيعًا بينما يسبب العكس ضعف معظم الدول الاستعمارية في القارة الأوروبية.

أما بالنسبة لألمانيا فالطريقة المثالية التي يمكنها اتباعها تقوم على إحراز مدى حيوي لها في القارة الأوروبية بالذات، لأن المستعمرات لا تصلح هدفًا للتوسع ما لم تكن قادرة على استيعاب أكبر عدد ممكن من السكان الأوروبيين. علماً أنه ليس بالإمكان الاستيلاء على مستعمرات تحوي هذه الميزة إلا بواسطة الحروب التي يمكن خوضها في أوروبا عوضًا عن المجازفة خارجها.

ومتى تقبل شعبنا فكرة الحرب عليه أن يكرس لها جهوده. ولا يمكن بأنصاف التدابير والتردد القيام بمهمة تفرض على كل منا أقصى ما يمكن من الجهد والحزم. ولا بد من جعل سياسة الرايخ منسجمة مع هذا الهدف، لذلك يجب إعادة النظر في جميع المحالفات المعقودة وقيمة كل منها. ولا يغرب عن بالنا أن توسع ألمانيا في أوروبا يجب أن يتم على حساب روسيا .

إن انكلترا هي التي كان على ألمانيا أن تحالفها قبل الشروع في نهجها

www.vnbu3.com

التوسعي. فبعد أن تضمن سلامة مؤخرتها كان بإمكان ألمانيا شن الحملة الصليبية الجرمانية الجديدة، إذ أن حقنا في حملتنا الصليبية واضح كما كان واضحًا حق أجدادنا.

كان على ألمانيا أن تكسب ود انكلترا مهما كلفها ذلك تضحيات، فمثلاً كان علينا أن نكف عن المطالبة بمستعمرات، وأن نتخلى عن فكرة جعل ألمانيا أكبر دولة بحرية، وأن نكف عن مزاحمة بريطانيا في ميدان الصناعة. وبدلاً من ذلك يمكننا تعزيز قوة جيشنا البرية، ولو ترتب على هذا النهج الإقلال من طموحنا مؤقتاً، مقابل ضمان المستقبل المزدهر لشعبنا الألماني العزيز.

إن حاجة ألمانيا التي كانت تواجه ازديادًا في عدد السكان لم يكن خافيًا على انكلترا، فقد كان على ألمانيا أن تستفيد من هذه المعرفة وتمد يدها إلى انكلترا التي كانت ترغب في التقرب منا. ولكن ساستنا لم يقدموا على هذه الخطوة، مع أن كل محالفة تقوم وتضمن مصلحة الطرفين المشتركين.

لو اعتمدت ألمانيا في ذلك الوقت النهج السياسي الذي اعتمدته اليابان عام 1904، لو فعلت ذلك لما كانت الحرب العالمية، ولما منينا بتلك الهزيمة المنكرة الشنعاء.

ومهما يكن، فتحالف ألمانيا والنمسا كان سخيفًا فقد كانت هذه الدولة المومياء حريصة على التحالف معنا لتتيح لساستها فرصة المضي في

www.ynbus.com

إبادة العنصر الجرماني. ولو كان ساستنا أبعد ادراكًا لعلموا أن قيمة التحالف النمساوي الألماني يكمن في استمرار نفوذ العنصر الجرماني في النمسا، ومتى زال هذا النفوذ أو ضعف لمصلحة السلاف، زالت بالتالي قيمة التحالف.

لقد كانوا في برلين يخافون النضال، ولما فرضت عليهم الحرب كانت الظروف غير مناسبة. وقد حاولوا تفادي المقدر، وحلموا بسلم دائم ولكنهم استيقظوا على أصوات المدافع.

إن التعلق بالسلام بهذا الشكل أقعد الساسة الألمان عن الأخذ بفكرة التوسع في أوروبا .فقد كانوا يعلمون أن هناك أراضي يمكن الاستيلاء عليها في الشرق، وأنهم بحاجة ماسة إليها، ولكنهم أحجمواعن ذلك لأنهم يريدون السلام بأي ثمن، بدلاً من أن يضعوا نصب عيونهم توفير أسباب البقاء ومقوماته للشعب الألماني بأي ثمن. وكانت النتيجة حرب عام-1914 1918.

ولم يبقَ إلا سلوك نهج السياسة الاستعمارية والتجارية.
إن طريقة الاستعمار تستلزم وقتًا طويلاً، فالاستعمار ليس بالقفزة الفورية، إنه دفعة تدريجية عميقة ولكنها مستمرة. فعندما سلكت ألمانيا هذا السبيل كان عليها أن تدرك أن هذه السياسة ستقودهم في النهاية إلى الحرب التي أرادوا تجنبها، مع أنهم كانوا يؤكدون نياتهم السلمية.

www.ynbu3.com

وقد أدى هذا السلوك المتناقض إلى توتر العلاقات مع انكلترا التي وقفت ضدنا في جميع الميادين. وقد سهى عن بال زعمائنا أن التوسع في أوروبا يفرض التحالف مع انكلترا ضد روسيا، فالتوسع خارج أوروبا يفرض محاربة روسيا ضد انكلترا. وفي هذه الحالة لا بد من تبديل المحالفات وذلك بالتخلي عن النمسا. ولكن برلين لم تفكر بالتحالف مع روسيا ضد انكلترا ولا العكس بالعكس، لاعتقادها أن هذا سيؤدي إلى الحرب، ولتلافي النزاعات المسلحة لجأت إلى سياسة الانتاج كطريقة مثلى لاستعمار العالم بطريقة سلمية.

لقد كان باعتقاد ساستنا أن استعمار العالم اقتصاديًا وسلميًا سيضع حدًا لسياسة العنف، وما إن شعروا بعداء انكلترا الصريح حتى قرروا بناء أسطول لم يكن الغرض منه الهجوم على انكلترا وسحقها، بل كان الغرض منه الدفاع عن "السلم العالمي" وقد حرصت ألمانيا على أن يكون هذا الأسطول متواضعًا من حيث السلاح، ولذلك تؤكد رغبتها في السلام والمحافظة عليه.

كانت سياسة الفتح الاقتصادي السلمي سياسة سخيفة لا تليق بدول عظمى. فقد بلغ الهوس ببعض المتعصبين لهذه السياسة حدًا جعلهم يزعمون أن انكلترا سبقت ألمانيا في هذا الميدان وأصابت نجاحًا باهرًا. حقًا أن بعض الناس يقرأون التاريخ ولا يعرفون منه شيئًا.

لم تنشأ الامبراطورية البريطانية بالاستعمار السلمي. فالوحشية التي

www.ynbu3.com

اعتمدها الانكليز كانت مضرب الأمثال. إن السر في السياسة الانكليزية هو في استخدام القوة السياسية لتحقيق الفتوحات الاقتصادية. كما أنها تعرف كيف تحول نجاحها الاقتصادي إلى قوة سياسية. وأنه لمن السخف أن نعتقد أن انكلترا كانت لا تهرق دماء أبناءها في سبيل التوسع الاقتصادي. فقد كانت انكلترا تستخدم المرتزقة لكسب الحروب وبذل الدماء، ولكنها في نفس الوقت كان تجود بدم أبناءها في الحالات التي لم يكن فيها بدًا من التضحية.

ولكنا في ألمانيا كنا نعتقد أن الرجل الانكليزي رجل أعمال وتجارة واسع الحيلة. بليد وجبان. ولم يخطر في بالنا أن امبراطوية واسعة كالامبراطورية البريطانية لا يمكن أن تكتسب بالخداع واللين. أما الألمان القلائل الذين وقفوا ليحذروا مواطنيهم من قوة الانكليز كشعب مقاتل، فقد اعتبروهم انهزاميين ولم يؤخذ برأيهم.

ما زلت أذكر الدهشة التي كانت تستحوذ على رفاقي في جبهة الفلاندر عندما جابهنا الانكليز في إحدى الملاحم القاسية، فقد أدركنا جميعًا أن هؤلاء الاسكتلنديين محاربون أقوياء. وأن الصحف والبلاغات كانت تخدعنا حين صورتهم لنا بصورة الجبناء.

*****

إن تسرع ألمانيا بالتحالف مع النمسا قد قعد بها عن التوسع في أوروبا معتمدة على صداقتها مع روسيا. وأن الاعتماد على دولة مهترئة مفككة كالنمسا للإقدام على التوسع هو ضرب من الجنون.

www.ynbu3.com

فقد كان اندلاع الحرب العالمية بسبب النمسا من حسن حظ ألمانيا. فقد حالت الحرب بين آل هابسبورغ وبين التهرب من التزاماتها تجاه المحالفة المعقودة ولو كان الأمر على عكس ذلك لما عدمت فيها أن وجدت وسيلة لتتهرب من التزامها وتقف على الحياد. وما كان السلاف ليقبلوا بارسال الجيش النمساوي ليحارب إكرامًا لألمانيا التي تحمي العنصر الجرماني في النمسا.

لقد كان للنمسا أعداء كثيرين يطمعون باقتسامها، وبالتالي سيناصبوا ألمانيا العداء باعتبارها تقف حجر عثرة في سبيل مطامعهم. ومن أجل النمسا أبغض الايطاليون ألمانيا .وقد كان بالامكان التفاهم مع روسيا ما دام الألمان يريدون التوسع اقتصاديا، ولكن اليهود والماركسيين جعلوا الحرب محتمة ولولا الحلف الثلاثي لما تمكن أعداء ألمانيا من حمل دول أوروبا الشرقية وروسيا وايطاليا على خوض الحرب ضد ألمانيا، فقد كان أمل الطامعين هو اقتسام النمسا بعد تصفية حسابها. ولكن رغبتهم في وجود الحرب هو وجود تركيا في عداد حلفاء ألمانيا باعتبار أن تركة السلطنة كانت مما تغري ويسيل اللعاب.

إن الرسامين اليهودية كانت وراء هذه الاغراءات التي لوحت بها للطامعين، على أمل الوصول إلى هدفها وهو القضاء على ألمانيا التي لم تكن خاضعة للنفوذ اليهودي المالي والاقتصادي.

***

www.ynbu3.com

لنرجع إلى السياسة الاقتصادية لألمانيا خلال السنوات التي سبقت نشوب الحرب. فقد كان النجاح الذي أصابته ألمانيا في ميادين التجارة باهرًا لدرجة أن البعض ذهب في غروره للاعتقاد أن وجود الدولة مرهون باستمرار الازدهار الاقتصادي والتجاري، والدولة هي قبل كل شيء مؤسسة اقتصادية كبرى .

علمًا أن استمرار الازدهار هو رهن بقيام دولة قوية تدعمه. إن الاقتصاد وسيلة من الوسائل الضرورية لتحقيق الغرض من وجود الدولة، ولكنه ليس سبب وجودها، فالدولة التي تجعل من الاقتصاد سببًا لوجودها ليس لها ما لبقية الدول من مقومات البقاء.

إن في تاريخ ألمانيا أكثر من دليل على أن المستوى الاقتصادي لألمانيا كان يرتفع بارتفاع وازدياد نفوذها السياسي في المجال الدولي.

إن العقل والإدارة والتضحية والمثل العليا هي القوى التي تنشيء الدولة وتصونها .فالإنسان لا يقدم على التضحية بنفسه من أجل صفقة تجارية ولكنه يفعل من أجل فكرة أو مثل أعلى.

لقد حاربنا في الحرب العالمية من أجل لقمة الخبز. بينما حاربت انكلترا دفاعًا عن الحرية. وقد حارب الانكليز حتى النهاية بقوة واخلاص. أما نحن فقد استبسلنا في بداية الحرب ولم نلبث أن تخاذلنا وانهارت معنوياتنا حين علمنا أننا نحارب من أجل اللقمة.

www.vbus.com

إن الدول تبقى وليدة غريزة حب البقاء، بقاء العرق، سواءً كانت هذه الغريزة في ميدان البطولة أو ميدان الدسائس .فإذا تجلت في الميدان الأول نشأت دولاً آرية يسودها العمل الجدي. أما إذا تجلت في الثاني فإنها تنشيء مستعمرات فضولية لليهود. لقد أدركت خلال مشاهداتي في فيينا وألمانيا أن الجمود المميت الذي سيطر على أمتنا كان بسبب جرثومة الماركسية الرهيبة، والسموم التي كان ينفثها اليهود أساتذة الماركسية وحماتها.

وانكببت للمرة الثانية على دراسة هذه العقيدة الهدامة على ضوء الأحداث السياسية الجديدة .وقد اطلعت على المحاولات التي حاولها بعض الرجال العظام للحد من انتشار هذا الوباء العالمي الفتاك، وقد أعجبت بمحاولة بسمارك والتشريعات التي سنها والتي قطعت ذيل الأفعى ولكنها لم تقضِ على رأسها. فقد حارب بسمارك ضحايا الماركسية ولكنه لم يحارب الماركسيين بالذات. فقد حاول أن يقضي على الوباء بقتل المصاب وأغفل عن ناشر الجرثومة .

ومرة ثانية درست العلاقة بين الماركسية واليهودية وتأكدت لي حقيقة اليهود ومراميهم في إشاعة الفوضى والخراب في العالم ليتمكن هذا الشعب المختار من استغلال الفوضى بفرض مشيئته في كل مكان.

كنت أنظر إلى ألمانيا حين كنت في فيينا نظري إلى عملاق جبار، ولكن بعد

www.vnbu3.com

انتقالي إلى ميونخ تغيرت نظرتي وصرت أشك في مقدرة هذا العملاق على الصمود في وجه الأعاصير. وصرت أنتقد سياسة ألمانيا الخارجية بشكل ظاهر وعلني وخاصة بما يتعلق بموقفها من خطر الماركسية الذي أخذ بالتفاقم .

وقد أدهشني عدم الاكتراث من قبل المسؤولين لهذا الخطر الهدام الذي يوجهه اليهود، ومما زاد في نقمتي أن فئة من المفكرين قاموا بحملة تخدير للحكام الذين شعروا بخطر الماركسية، زاعمين أن هذه العقيدة لن تعيش في ألمانيا لأن لشعبنا مناعة طبيعية ضد هذا المرض الفتاك. وقد سهى عن بالهم أن هذه العقلية المريضة قد أودت بحياة امبراطورية ضخمة .

وأخذت على نفسي منذ عام 1913 مهمة تحذير الشعب من هذا الخطر، وأوضحت أكثر من مرة أن مستقبل ألمانيا يتوقف عليه القضاء على الماركسية قبل انتشارها. وقد كان لهذا التحذير صداه المستحب عند المواطنين الذين هم الآن جنود الحركة القومية الاشتراكية.

وقد تأكد لي مع الأيام أن الأخطاء السياسية التي ارتكبها المسؤولون الألمان منذ أواخر القرن الماضي حتى نشوب الحرب العالمية كان نتيجة الأخذ بنصائح عملاء الماركسية من يهود ومفكرين عديمي الإخلاص لوطنهم. فعندما أقامت ألمانيا اقتصادها على تلك الأسس الواهية كان اليهود أول المهللين لها، يقيناً منهم أن الاقتصاد الأعوج سيؤدي بألمانيا

www.ybus.com

إلى الانهيار، فتقوم على أنقاضها الدولة التي يحلمون بها. دولة تحكمها في الظاهر البروليتاريا وتخضع في نفس الوقت لسيطرة شرذمة من رجال المال اليهود.

وقد لاحظت في الصحف الاشتراكية الديمقراطية المقالات المسمومة والتي كان يحررها يهود جبناء يذيلون مقالاتهم المحشوة بالسموم بتواقيع مستعارة. وهذا لم يكن له وجود في النمسا.

***

www.ybu3.com

الفصل الثاني: هتلر والشيوعية

في عام 1914 انقضت صاعقة عظمى على الأرض، وأصم الآذان صوت مدافع الحرب العالمية.

وعندما أعلن في ميونخ نبأ مقتل الأرشيدوق فرنسوا فرديناند أصابني قلق شديد، وكنت أتساءل عند وصول الخبر المشؤوم هل قتل الأرشيدوق برصاص طلبة ألمان عز عليهم أن يعمل ولي العهد على إكساب النمسا الطابع السلافي، فقرروا التخلص منه وانقاذ الشعب الألماني من عدو داخلي؟ وإذا كان افتراضي صحيحًا فمعنى ذلك أن فيينا ستجد مبررًا لزيادة اضطهادها للألمان تجاه العالم كله. ولكن عندما علمت أن الصرب هم المتهمين الرئيسيين بالقتل دهشت لسخرية القدر، فقد سقط أوفى أصدقاء السلاف برصاص أشد المتعصبين للسلاف.

إن من أتيح لهم تفهم موقف النمسا من صربيا علموا أنه لا بد للصخرة التي ابتدأت بالتدحرج من أن تستقر في قعر الهاوية.

لا يسعنا مؤاخذة الحكومة النمساوية على الإنذار الذي وجهته عقب الاعتداء فقد كان تصرفها سليمًا. فقد كان على حدود النمسا الجنوبية الشرقية عدوًا لدودًا، ما برح يتربص بها، ويتحين الفرصة المناسبة

www.vnbus.com

للانقضاض عليها. ولكن خصوم المملكة كانوا يعتقدون أن زوالها قد أصبح محتومًا بعد تواري الامبراطور فرانسوا جوزيف، فهو الوحيد الذي كان يجسد الامبراطورية في نظر غالبية الشعب وقد عمل الساسة السلاف على ترسيخ هذا الوهم في نفوس الشعوب مدخلين في روعهم أن الدولة مدينة بوجودها لعبقرية الامبراطور وحسن سياسته. وكان هذا المديح يلاقي وقعًا حسنًا في نفس الامبراطور فرانسوا جوزيف ورجال حاشيته، ولكنه في نفس الوقت يحوي في طياته خنجرًا مسمومًا ليكون أداة لتمزيق فريستهم.

لقد أدى مصرع ولي العهد إلى دفع عجلة الحرب إلى الأمام، وبالرغم من أن الناقدين قد اتهموا فيينا في تسبب الحرب، إلا أن الحرب كانت واقعة لا محالة. فلو عملت حكومتي ألمانيا والنمسا على تفادي الحرب بعد مقتل الأرشيدوق لأدى هذا إلى تأجيل الكارثة إلى ظرف أكثر ملائمة لخصومها فقط.

إن من يتبجحون بلوم الذين أيقظوا إله الحرب من نومه، ويسدون النصائح السخيفة، يجب أن يحملوا وقبل سواهم وزر الحرب وجرنا إليها. فمنذ عشرات السنين والاشتراكية الديمقراطية الألمانية تحرض على الحرب ضد روسيا، أما بالنسبة لأحزاب الوسط فقط ساهمت في جعل النمسا حجر الزاوية في محور السياسة الألمانية، وذلك لاعتبارات دينية بحتة. وقد جنت البلاد ما زرعته الأحزاب السياسية وتحملت أخطاء هذه الأحزاب. أما بالنسبة لألمانيا فقد كان خطأها الوحيد هو حرصها على السلام، فقد تركت

www.ybu3.com

الظروف الملائمة للهجوم تفوتها للحفاظ على السلام التي ذهبت هي ضحيته، بل ضحية التحالف العالمي لاشعال الحرب العالمية.

إن الإنذار الذي صاغته فيينا في قالب معتدل قد أثار نقمة الشعب واعتبره إنذارًا ضعيفًا. فالحرب عام 1914 لم تفرض على الشعب، فقد أرادها الشعب برمته، إذ تقدم للجهاد مليوني ألماني بين رجل وفتى متأهبين جميعهم للدفاع عن الوطن وبذل دمائهم في سبيله.

أما بالنسبة لي شخصيًا فقد حررتني الحرب من جو الكآبة المسيطر علي، إذ سرعان ما دب في الحماس فجثوت أشكر السماء لأنني ولدت في هذا العهد بالذات.

بدأ النضال المرير من أجل الحرية، فقد أدرك الشعب أنه مدعو إلى الكفاح والبذل لا من أجل النمسا بل من أجل الأمة الألمانية ذات التاريخ المجيد . وهكذا بدأ الشعب يتبين مستقبله بعد سنين من التعامي.

لقد مرت بذاكرتي فكرتان بعد صدور البلاغ الرسمي حول مقتل الأرشيدوق أن الحرب باتت محتمة، وأن الظروف ستفرض على النمسا احترام اتفاقاتها المعقودة. فقد كنت أخشى أن تضطر ألمانيا إلى دخول الحرب باسم الحلف الثلاثي دون أن تكون النمسا السبب الرئيسي للحرب، وربما لاعتبارات سياسية داخلية ستجبن فيينا عن القيام بواجباتها كحليفة لألمانيا، ولكن وبما أن الواقعة وقعت بسبب النمسا (في الظاهر على الأقل)

www.ybu3.com

فلم يبقَ أمام النمسا إلا أن تضع يدها في يدنا لنواجه الموقف سوية متحملين جميع النتائج.

إن موقفي من النزاع كان واضحًا، فقد علمت منذ اللحظة الأولى أن المسألة بالنسبة لألمانيا كانت أخطر من تأديب صربيا. فقد كانت كفاح الأمة الألمانية بأسرها في سبيل وجودها وحريتها. أدركت أن ألمانيا التي حقق لها بسمارك وحدتها، مدعوة مرة أخرى إلى البذل والتضحية، وأن ما قام به أجدادنا من تضحيات وبذل في ميدان المعارك الرهيبة من فيسمبورغ إلى سيدان وباريس، يفرض على الجيل الحاضر أن يحرزه من جديد، فإذا تمكنا من الكفاح حتى النهاية نكون قد حققنا النصر وأصبحنا في مصاف الأمم الكبرى، فتصبح الامبراطورية الألمانية من جديد موئلاً للسلام دون أن تضطر إلى حرمان أبنائها من قوتهم اليومي إكرامًا للسلام.

وما إن نشبت الحرب حتى سارعت لتلبية نداء الواجب فوضعت كتبي على الرف بعد أن قررت أن أحمل السلاح لأدافع عن وطني، وفي الثالث من شهر آب 1914 وجهت رسالة إلى جلالة الملك لويس الثالث أطلب قبولي في إحدى القطاعات العسكرية البافارية، وكم كان سروري عظيمًا عندما وصلني في اليوم التالي القبول والموافقة على تطوعي بفيلق بافاري معين. وأقمت أنتظر بزوغ فجر اليوم التالي لأسافر إلى الجبهة، وقد كان همي الوحيد أن أصل إلى ساحة القتال قبل أن تنتهي الحرب، لأن الأخبار كانت تجمع على أن الحرب ستكون قصيرة.

www.ynbus.com

وأخيرًا سافرنا إلى الجبهة، وأبصرت لأول مرة نهر الراين عندما اتجهنا غربًا لنسهم في الدفاع عن النهر الألماني العظيم. وعندما شاهدت تمثال جرمانيا رمز السيطرة الألمانية على رينانيا امتلأت صدورنا بالفخر والاعتزاز ونشدنا نشيد "الراين" وكلنا حماس وأمل بالنصر الكبير.

وصلنا سهول الفلاندر، وشرعنا بالزحف تحت ستار الظلام دون أن نلقى أية مقاومة من العدو، ولكن ما إن بزغ الفجر حتى بدأ الرصاص ينهمر علينا، فتعالى هتافنا ترحيبًا بالموت والتحمنا مع العدو وسط حقول الملفوف، وعلت أصواتنا بالأناشيد الحماسية، ومشينا إلى الموت ننشد "ألمانيا فوق الجميع."

بعد أربعة أيام تراجعنا إلى حيث بدأنا الهجوم، لكن المدة القصيرة كانت كافية لنصبح رجالاً مدربين مكتملي الرجولة. فقد كان فيلقنا فيلق "ليست" غير مدرب على القتال كما يجب، ولكنا على استعداد تام للموت ميتة الأبطال العريقين في فنون الجندية والقتال.

توالت السنون، وانطفأت جذوة الحماسة في صدورنا ليدخل مكانها الرعب والخوف من الموت، وقام في داخلنا صراع عنيف بين الواجب وحب البقاء. فقد كان الجبن يسيطر علينا محاولاً اقناعنا بضرورة التوقف والتمرد والثورة على قادتنا، ولكن ثباتنا وعنادنا كان يقوى على هذا الشعور المتخاذل إلى أن انتهى هذا الصراع الداخلي، فاستعدت رباطة جأشي خاصة في معارك عام 1915 ولم يعد يراودني هذا الشعور منذ

www.ynbus.com

ذلك الحين. وكان هذا ينطبق على بقية رجالنا، فقد تمكن الجيش كله من التغلب على الخوف والضعف وجعلته المعارك المتواصلة صلبًا فولاذي الأعصاب. فقد أثبت الجيش الألماني باعتراف المؤرخين، أنه فريد عصره بما أظهره من شجاعة وجلد في مقارعة خصومه الذين يفوقونه عددًا وعدة. ولن ينسى العالم كله أن الجيش الألماني الباسل ضرب أروع الأمثلة في التفاني ونكران الذات.

لم يكن لدي الوقت في ذلك الحين للإهتمام بالسياسة إلا أن بعض الصحف المعينة منذ احرازنا أولى انتصاراتنا بدأت في تعكير صفو الابتهاج العام باسلوب بارع خبيث استحال معه تبين خطر هذه الألاعيب وأهدافها الحقيقية. فقد عارضت الاحتفالات التي كانت تقام ابتهاجًا بالانتصارات العسكرية بحجة عدم لياقتها بأمة عظيمة كالأمة الألمانية. فالشجاعة والأعمال البطولية لا يبرران هذا الإسراف في الابتهاج بل على العكس قد يسيء إلى ألمانيا باعتبارها دولة محبة للسلام وهي لم ترد الحرب في الأصل، بل هي راغبة في التعاون مع الدول على قدم المساواة.نتيجة لهذه الحملات الخبيثة، قامت السلطات باتخاذ الاجراءات الكفيلة بالحد من الابتهاج العام الغير لائق. بدلاً من أن تأخذ بهؤلاء الثرثارين إلى ساحة الإعدام وتريح الشعب من فلسفتهم. ولكن السلطات شاءت أن تكبت الحماس وتخنقه في صدور المواطنين بدلاً من أن تدعهم يواصلون النضال وهم زاخرين بالقوة والحماس.

www.vnbus.com

والشيء الثاني الذي كان يقض مضجعي منذ اشتعال نار الحرب الكبرى، هو التغاضي التام عن نشاط الماركسيين، وكان حجة السلطات أن المصلحة تقتضي تكاثف جميع الأحزاب، ولا يجوز استثناء الماركسيين.

ولكن الماركسية لم تكن حزبًا بل عقيدة يقضي انتشارها إلى تغيير المقاييس التي حفظت الكائنات ويترتب على نجاحها القضاء على البشرية قضاءً تامًا.

وقد صرح وزير الداخلية بأن حزب الماركسيين قد دلل على صدق وطنيته وعاد إلى حظيرة الوطن. وهذا هو الجهل بعينه.

لقد كان على السلطات أن تحزم أمرها وتتخذ جميع التدابير الكفيلة بالقضاء على المضللين والماركسيين ومن وراءهم اليهود. كان على الحكومة أن تقضي على أعداء ألمانيا، على تلك الحثالة الباقية في المؤخرة بينما كانت النخبة في الأمام تجود بدمائها في ساحة القتال. لكن جلالة الامبراطور شاء أن يمد يده إلى المجرمين، فعفا عن مصاصي دماء الشعب، متيحًا لهم فرصة العمل بحذر وحكمة ممهدين الطريق أمام الثورة.لقد زادت نقمتي على الأوضاع وكنت أتساءل عن السبب الذي دعا المسؤولين إلى هذا التسامح بدلاً من استعمال الشدة والعنف لتأديبهم، وهل تتمكن القوة من القضاء على العقيدة؟ ورجعت إلى التاريخ استقرأه، وخرجت بالمبدأ الأساسي التالي:

www.ybu3.com

تصبح العقائد والمبادئ المرتكزة على الفكرة الفلسفية. بعد أن تبلغ مرحلة معينة، أمتن وأقوى من أن يقضى عليها بالقوة المادية إلا إذا وجدت هذه القوة المادية لتقديم فكرة أو عقيدة جديدة. وإلا لا يمكن القضاء عليها أو منع انتشارها. اللهم إذا أبيد جميع أنصارها ومؤيديها من الوجود، وهذا يؤدي إلى الإطاحة بالدولة لأن مذبحة كهذه ستقضي على الفريق الصالح من المواطنين مع غيرهم. فإن كل حركة اضطهاد لا ترتكز على أساس فكري تظهر للعالم وكأنها حركة ظالمة، وتدفعهم إلى العطف على المضطهدين، وبذلك يزداد قوة الأنصار تبعًا لاتساع حركة الاضطهاد.

إن الشبه الكبير بين العقيدة المحصورة في نطاقها الضيق وبين الكائن الحي وهو لا يزال طفلاً. فهو يتعرض للأمراض في مرحلة الطفولة، إنما السنين تكسبه مناعة كافية. وهكذا الفكرة أو العقيدة يسهل القضاء عليها قبل أن تنمو وتنتشر، أما إذا جاء التدبير بعد انتشارها فإن النتائج ستكون مخيبة للآمال للأسباب الآتية:

إن الشرط الأساسي لنجاح فكرة القوة لمكافحة عقيدة ما، هو الاستمرار في محاربتها بدون هوادة، أما إذا كان هناك قليلاً من التسامح فالعقيدة لا تلبث أن تستجمع قواها وتعود إلى نشاطها من جديد .

لكن الاستمرار في المكافحة يجب أن يقوم على أساس عقيدة أخرى، وإلا كان الاستمرار بالقمع يبدو مترددًا لافتقاره إلى الركائز التي تدعمه. لهذا نجد أن جميع المحالاوت التي بذلت لقمع فكرة الماركسية قد باءت بالفشل.

www.yabu3.com

إن ما اتخذه بسمارك من تدابير ضد الاشتراكيين لم يؤدِ إلى نتيجة مرضية، وذلك لعدم وجود فكرة أو عقيدة مضادة. وقد اضطر في النهاية لا سيما بعد أن جنح الاشتراكيون نحو الماركسية، اضطر بسمارك إلى الاستعانة بالديمقراطية والبورجوازية، أي بكلمة ثانية بالاشتراكيين المعتدلين لمكافحة الماركسيين، وكان بعمله هذا كالذي يوصي القط بقطعة الجبنة.

www.ybu3.com

الفصل الأول: الحرب والدعاية

كانت الدعاية على جانب عظيم من الأهمية. فهي أداة لتنوير الأذهان من جهة ولخداع من يراد خداعهم من جهة ثانية .وقد لفت نظري أن الأحزاب الاشتراكية والماركسية كانت تتقن هذا الفن الذي لم يتعلمه سواهم من الأحزاب المناوئة عند الحزب المسيحي الاشتراكي الذي كانت لديه دعايات منظمة في عهد الدكتور لوجر.

وقد لعبت الدعايات دورًا بارزًا في الحرب. وكنت وأنا أراقب نشاط العدو في هذا الميدان، أكاد أتفجر غيظًا لإغفالنا خطر هذا الفن الفعال. والأدهى من ذلك أن قاداتنا لم يفكروا باللجوء إلى هذا السلاح، مع أنهم لمسوا مدى تأثيره في معنويات الشعب والجيش.

نعم لم تكن لنا دعايات منظمة، وكانت الدعايات الممسوخة التي نوجهها تعطي نتائج عكسية، لأن الذين أوكل إليهم تنظيمها لم يحملوا أنفسهم عناء تحديد الغرض منها ومعرفة ما إذا كانت وسيلة أم غاية.

لقد كانت غايتنا من أنبل الغايات وأشرفها، فقد كنا ندافع عن حرية شعبنا واستقلاله وتوفير طعامه وضمان مستقبله. لذلك كان المفروض في الدعايات أن تركز على هذا الهدف لتزكي روح النضال في شعبنا لبلوغ النصر.

www.vnbu3.com

عندما نكافح من أجل كياننا، لا يبقى هناك مجالاً للاعتبارات الإنسانية، لأن هذه الاعتبارات هي من صنع مخيلة الإنسان، فمتى زال هو زالت معه اعتبارات الإنسانية لأن الطبيعة لا تعترف بها.

قال مولكته: "إن أساليب القتال العنيفة هي أكثر الأساليب انسانية لأنها تعجل في وضع حد للحرب، والنضال من أجل الكيان ينفي كل اعتبار جمالي، لأنه ليس هناك أقبح من ظلم الإستعباد."

نعم لقد كان مولكته محقًا، وقوله هذا ينطبق على القتال وعلى الدعاية. فالشعب قد حمل السلاح ليدافع عن كيانه، والدعاية التي تهدف إلى إزكاء حماسته الوطنية هي غاية يجب الوصول إليها مهما كانت الوسائل. فكل سلاح مهما يكن منافيًا لمبادئ الإنسانية، يصبح وسيلة إنسانية ما دام الغرض من استعماله الدفاع عن حريتها.

هل توجه الدعاية إلى المتعلمين أم إلى العوام؟

يجب توجيه الإعلان إلى عامة الشعب فالمتعلمين يوجه لهم التفسير العلمي للدعايات. لأن الدعاية لا تحوي من العلم أكثر مما يحويه الإعلان من عناصر فنية. ففن الإعلان يقوم على براعة الرسام في لفت النظر إلى إعلانه المرسوم. فمثلاً الإعلان عن معرض فني، يطلب أولاً إبراز الفن في المعرض المعلن عنه، وإعطاء فكرة عن معنى هذا المعرض. أما الفن فلا يمكن للرسام أن يعطي أي فكرة عنه إلا بزيارة المعرض والنظر إلى كل

www.ybu3.com

لوحة على انفراد.

إن الدعايات تهدف إلى لفت نظر الجمهور إلى وقائع وأحداث، لا على تنوير الشعب على أساس علمي. لذلك وجب التوجه إلى قلوب الشعب لا عقله.

يجب أن تكون الدعاية شعبية لتكون في مستوى تفكيره. وكلما كان عدد الذين تنقل لهم الدعاية كبيرًا كلما وجب خفض مستواها العلمي، ليتسنى لجميع الطبقات تفهمها واستيعاب القصد منها. فالدعاية التي تتوجه إلى قلب الجمهور وحواسه قبل عقله هي التي تكون أشد تأثيرًا به. شرط أن لا تعتمد التضليل وقلب الحقائق.

لقد ركزت الصحافة الألمانية والنمساوية على السخرية من العدو، واظهاره بمظهر الجبان. ولكن هذه الدعاية كانت تعطي نتائج معكوسة. لأن قراء هذه الصحف كانوا يجدون في ساحات القتال جنودًا من الأعداء شجعانًا وأقوياء، لذلك عوضًا عن تقوية روح المقاومة في الجنود أضعفت من معنوياتهم وأثارت نقمتهم. بعكس الدعاية الانكليزية التي كانت تبدو معقولة بارعة، فقد كانت تصور الألمان كقبائل "الهون" البرابرة. فهي كانت تعد الجندي الانكليزي للثبات واليقظة. وعندما يجد في الألمان الشدة في القتال يتأكد من أن الدعاية التي زودته بها حكومته لم تكن مضللة، فيقتنع أن الألمان برابرة.

www.ybu3.com

لذلك كسبت الحكومة ثقة جنودها، فأيقنوا أن حكوماتهم تصارحهم بالحقيقة مهما كانت جارحة. بعكس الجندي الألماني فقد انتهى به العدو إلى اعتبار جميع ما تعلنه حكومته تضليلاً ونفاقًا. وكان فشل الدعاية الألمانية يعود إلى إهمال الاعتبارات السيكولوجية وعدم إبراز موقف ألمانيا في شتى الميادين دون اللجوء إلى المقارنة بين ألمانيا والدول الأخرى. أليس من السذاجة أن يعلن أحد معامل الصابون عن انتاجه الجيد ذاكرًا أن الصابون الذي تنتجه المعامل الأخرى جيد أيضًا؟ فقد كانت دعاياتنا تقوم على هذا المنطق الأعوج فالدعاية لا تكون إلا لمصلحة الفريق الذي تعمل له.

ولقد وقعت الدعاية الألمانية في هذا الخطأ الكبير حينما أكدت أنه لا يجوز أن تتحمل ألمانيا وحدها مسؤولية جر العالم إلى الحرب، وأن العدو يجب أن يتحمل قسماً من هذه المسؤولية. فهي قد اعترفت ببعض الحق للعدو أمام شعبها الذي يسوده الشك والارتياب في حكومته، فما لبث هذا الشعب أن وقع في دوامة القلق وأصبح عاجزًا عن التمييز بين مسؤولية العدو ومسؤولية وطنه. وزاده ترددًا وتشكيكًا دعاية العدو المضادة التي كانت تضع كل المسؤولية على ألمانيا وحدها وتحملها جميع التبعات .فانتهى به الأمر إلى الوقوع في حبائل الدعاية المضللة.

ولقد أدرك الانكليز أن أكثرية الشعوب في الأزمات تأتي آراؤها وتصرفاتها نتيجة المؤثرات لا نتيجة التفكير المجرد. فالتأثير الذي يسيطر على الشعوب ليس إلا الشعور بالحب أو البغض، بالصدق أو الكذب، بالقوة أو الضعف.

www.vnbu3.com

لقد اكتشف الانكليز سر الدعاية. وعرفوا كيف يستخدمونها كسلاح أساسي، فجندوا لها رجالاً أكفاء، فنجحوا نجاحًا باهرًا.

أما نحن فقد اعتبرنا الدعاية كسلاح ثانوي. وعهدنا بها إلى نفر من حملة الأقلام البعيدين عن الجمهور، فكانت النتيجة الفشل.

www.ybu3.com

الثورة

بدأت حملة العدو الدعائية عام 1915، وخلال عام 1918 تدفقت الإشاعات والأكاذيب على ألمانيا بشكل ظاهر مما أثر تأثيرًا مباشرًا على الجيش، وبدأ يحول تفكيره نحو تصديق ما كان يقوله العدو. وفي الصيف وبعد إخلاء الضفة لنهر المارن، وقفت صحافتنا الألمانية موقفًا مخزيًا إن لم نقل مجرمًا، وقد رحت أساءل نفسي بألم: ماذا تنتظر السلطات لوقف هذه الحملات المسعورة المضعفة لمعنوياتنا.

ماذا صنعت فرنسا عام 1914 عندما اجتاحت جيوشنا أراضيها؟ وما هو الموقف الذي وقفته عام 1918 عندما أوشكت جيوشنا على دخول باريس؟ لقد قامت الدعاية لتلعب دورها المنظم في إلهاب صدور الشعب بالحماس مدخلة في عقولهم أن النصر النهائي سيكون لهم.

كم تألمت لأنني لم أكن مكان المسؤولين عن الدعاية الألمانية، وهم العاجزين أو المقصرين. ولكن شاءت الظروف أن أكون في وضع يسمح لأي زنجي أن يصرعني برصاصة، مع العلم أنني لو كلفت بمهمة أخرى لأسديت لبلادي خدمات كثيرة، ولكن ما حيلتي أنا الجندي البسيط بين ثمانية ملايين رجل.

في أحد أيام الصيف من عام 1915 وقعت على إحدى النشرات الدعائية

www.vnbu3.com

التي كان يوجهها العدو، فقرأت فيها أن المجاعة بدأت تنتشر في ألمانيا، وأن الحرب طويلة ولم يعد هناك أمل لألمانيا في كسب الحرب، لذلك فإن الشعب الألماني يريد السلم لكن العسكريين والقيصر لا يريدون له السلم بل الحرب. وإذا كان العالم قد حمل السلاح، فليس معنى هذا أنه يحارب شعب ألمانيا، ولكن غاية الحلفاء هي معاقبة المسؤول الوحيد، القيصر غليوم، ولن تنتهي الخلافات إلا بعد إقصاء القيصر عدو البشرية. ومتى انتهت الحرب ستفتح الشعوب الحرة والديمقراطية ذراعيها للشعب الألماني كي تتعاون وإياه تحت جناح السلم العالمي الدائم، هذا السلم الذي ستقوم دعائمه على أنقاض الروح العسكرية البروسية.

كانت هذه النشرات تقابل بالسخرية التامة، ولكن العدو استمر في ارسالها بواسطة الطائرات. وقد لاحظنا أن النشرات التي كانت تلقى فوق الأراضي التي يسكنها بافاريون تتضمن هجومًا عنيفًا على بروسيا، زاعمة أنها المسؤولة عن نشوب الحرب، مع أن الحلفاء لا يريدون الحرب مع بافاريا، ولكن لا يسعهم أن يساعدوها طالما هي مع البروسيين. ولم تلبث هذه الدعاية المسمومة أن أثرت تأثيرًا كبيرًا، فازدادت النقمة على بروسيا خاصة في الجيش دون أن تكترث لها السلطات، ولما قررت التدخل كان الوضع قد أصبح خطيرًا وأفلت زمامه من يدها، ودفع ثمن تهاونها الشعب الألماني كله.

وقد ساهم في إضعاف معنويات الجنود، الرسائل التي كانت ترسلها النساء إلى أزواجهن يشكون فيها ما يقاسونه من عذاب وحرمان. وقد حصل

www.vnbu3.com

العدو على بعض الرسائل من الأسرى فاستغلها في دعايته أحسن استغلال. وهكذا بدأت الأزمة تتفاقم، ولكن بقيت هناك معنويات طيبة بين الجنود، بحيث أنهم كانوا يؤدون واجبهم على أكمل وجه ويدافعون عن كل شبر من أرض الوطن.

في شهر أيلول عام 1916 تلقينا الأوامر للالتحاق بالفيالق المقاتلة قرب نهر "السوم" حيث شاركنا في قتال رهيب مع العدو، وكان سلاحنا جديدًا جعل من المعركة جحيمًا. وفي السابع من تشرين الأول أصبت بشظية، فنقلت إلى المؤخرة حيث أقلني القطار إلى ألمانيا، وأدخلت إلى مستشفى بيلتز في ضواحي برلين. وهناك قدر لي أن ألمس الفرق بين الروح الوطنية المسيطرة في الجبهة وبين المؤخرة. لقد سمعت ما لم أسمعه في ميدان القتال. سمعت جريحًا يتحدث ويفاخر بفشله وجبنه، وسمعت آخرًا يقول أنه جرح بالأسلاك الشائكة كي ينقلوه إلى المستشفى، وقد لاحظت أن بعض المستمعين كان يصغي إليه مستحسنين ما يقوله.

ما إن تمكنت من المشي دون تعب، حتى طلبت الإذن بإخراجي من المستشفى حيث انتقلت لبرلين التي كانت في حالة غليان شديد، فالمجاعة متفشية والأمراض تفتك بالناس والنقمة على الأوضاع ظاهرة على وجوه الجميع.

بعد شفائي التام ألحقت بفوج الاستيداع في ميونخ. وهناك كانت الحالة أسوأ من برلين. وقد أذهلتني الروح الانهزامية المستسلمة التي سيطرت

www.vnbus.com

على مدينة الفن. وكانت معنويات الجنود في الفوج الذي ألحقت به أسوأ من معنويات السكان، فقد كان مدربي الفوج من الضباط المستجدين الذين لم يذهبوا إلى الجبهة قط، لذلك لم يتمكنوا من تفهم نفسية الجنود الذين قاتلوا وأصيبوا ودفعوا ضريبة الدم.

ومن جملة ما لاحظته أن الحالة الروحية إجمالاً لم تكن مرضية. فاليهود كانوا يشغلون معظم الوظائف المدنية، والحياة الاقتصادية أصبحت معلقة بيدي اليهود الذين بدأوا بامتصاص دم الشعب الألماني باسلوبهم الناعم، فقد وجد اليهود أن حصر الإنتاج الحربي هو الأداة الأساسية لضرب الاقتصاد القومي، وهكذا كان، إذ لم يأتِ شتاء 1917 حتى أصبح الإنتاج الحربي بأسره خاضعًا للرساميل اليهودية.

وكان الشعب الألماني في هذه الأثناء يغذي الأحقاد في صدوره. فقد كانت الدعايات تحرض الناس على معادة البروسيين، بينما بقيت السلطات على الحياد من هذه الدعايات، مع العلم أنه لو انهارت بروسيا فهذا لن يدعم موقف بافاريا، بل على العكس فإن سقوط إحداهما سيؤدي إلى سقوط الاثنين معًا .

وكان اليهود كعادتهم وراء هذه الدسائس، فقد شغلوا بروسيا وبافاريا بالخلافات، بينما راحوا يمتصون دماء الشعب وموارد رزقه .وبينما كان البافاريون يشتمون بروسيا كان اليهود يهيئون الثورة فيقوضون دعائم بروسيا وبافاريا معًا.

www.ybu3.com

لم أعد أحتمل هذه الحالة، لذلك قررت العودة إلى الجبهة، وغادرت ميونخ في آذار عام 1917. وقد لاحظت ارتفاع معنويات الجيش الألماني فقد أنعش الأمل في نفسه انهيار المقاومة في روسيا وانهزام الايطاليين في خريف عام 1918، فشدد هذا من عزائمهم وزاد من ثقتهم بأنفسهم، ومر الشتاء عام 1918 هادئاً، ولكن الهدوء الذي يسبق العاصفة.

فبينما كانت استعدادات الجيش الألماني قائمة على قدم وساق استعدادًا للهجوم الكبير في الربيع المقبل، حدثت المفاجأة الغير منتظرة. فقد لجأ أعداء الأمة إلى طريقة بدت لهم أنها ستوقف هجوم الربيع المنتظر.
فقد هيئوا لإضراب عمال مصانع الذخيرة.قدروا أن الإضراب سيترتب عليه شل حركة الجيش في هجومه المنتظر، مما سيدفع بالحلفاء إلى الهجوم وفتح ثغرات عديدة في الجبهة الألمانية. وبذلك يتفادى أعداء ألمانيا الهزيمة، وتسيطر الرساميل الدولية على ألمانيا وتبلغ الماركسية الخداعة هدفها الرئيسي.

لكن هذا الإضراب المصطنع لم يعطِ النتائج التي أرادها الأعداء، لأن الإضراب لم يستمر إلا وقتًا قصيرًا ولم تفتقر الجبهة إلى الذخيرة. إلا أن الأضرار المعنوية كانت كبيرة. فقد بدأ الجنود يفكرون كيف يمكنهم القتال ولأجل من يقاتلون، طالما أن بلادهم تضرب لتمنع عنهم الذخيرة؟

ولكن ما كان صدى هذا الإضراب عند اليهود؟

www.ynbu3.com

في شتاء عام 1918 خيم التشاؤم على صفوف الحلفاء. فمنذ أربع سنوات والجيوش الحليفة تهاجم العملاق الألماني بدون طائل. مع العلم أن الجيش الألماني كان يحارب على ثلاث جبهات. أما الآن وبعد أن قضى على الحليف الروسي واطمئن إلى مؤخرته، تفرغ نهائيًا لمنازلة أعدائه الباقين. وبذلك أصبح من المتوقع أن يبدأ الجيش الألماني بشن هجومه الكبير.

ساد الصمت الرهيب على طول الجبهة. وكف العدو عن ثرثرته في إيهام الرأي العام عن إنهزام ألمانيا.
لقد مرت ثلاث سنوات وجنودنا يقارعون العملاق الروسي وكان الرأي السائد في عواصم الدول الحليفة أن النصر سيكون للعملاق الروسي الذي يتميز بالتفوق العددي.

بعد معركة تانلبرغ بدأت قوافل الأسرى من الروس تصل إلى ألمانيا، ولكن كثرة عدد الروس بدت كأنها لن تنفد، فكل جيش نسحقه كنا نجد مكانه جيشًا آخرًا يحل محله. ولكن الجبار الروسي سقط، ولم يبقَ أمامنا إلا الهجوم الصاعق بعد توحد شطري جيشنا الباسل.

لقد كان الحلفاء في موقف حرج. فبينما كانوا يقفون بانتظار مصيرهم المحتوم، وبينما كانت القيادة الألمانية تستعد لإصدار تعليماتها بالهجوم، أعلن الإضراب العام في ألمانيا. وتنفس العدو الصعداء، وبدأت دعاياته تنصب على رفع معنويات جيوشه، محاولة لإقناعهم أن مصير الحرب لن

www.ybus.com

يقرره الهجوم الألماني، بل النصر سيكون حليف الذي يثبت للنهاية.

***

كان لي شرف المشاركة في الهجوم الأول والهجوم الأخير، ولن يمكنني نسيان تلك التظاهرات الحماسية التي رافقت انتقالنا من الدفاع إلى الهجوم، فعادت كتائبنا المظفرة تهز ألويتها وتنشد أناشيدها، متأكدة أن النص سيكون حليفها في الغرب كما كان لها في الشرق.

لكن القدر كان يعد مفاجأة لشعبنا. ففي الصيف من عام 1918، ظهرت علامات الإعياء في الجبهة، بينما بدأ الشقاق يدب بين صفوف المواطنين في المؤخرة، ولم تلبث الأخبار والإشاعات أن وصلت إلى الجبهة، فمن قال أن الشعب يرفض القتال ومن قال أن النصر قد أفلت من يد المانيا، وأن الرأسماليين والقيصر غليوم هم أصحاب المصلحة في استمرار الحرب.

في ليل 14 تشرين الأول من العام نفسه انصبت المدافع الانكليزية على خطوطنا بأمطار من قنابل الغاز المعروف باسم "الغاز ذو الصليب الأصفر" ومن مميزاته أن المرء لا يشعر بوجوده كي يتجنبه. وكانت فرقتنا تعمل على الجبهة جنوب نهر "الايبر" عندما فوجئنا بالغاز، وفي الليل بدأ نقل المصابين إلى المؤخرة وكنت واحدًا منهم فنقلت إلى مستشفى "باسفلك" حيث شاء سوء حظي أن أشهد هناك الثورة.

لم تكن الثورة مفاجئة لكثيرين منا، فقد كان منتظرًا نشوبها بين يوم وآخر. وفي تشرين الثاني عام 1918 انطلقت الشرارة الأولى فوصل

www.vnbu3.com

ذات صباح جمهور من رجال البحرية في كميونات للجيش وبدأوا يحرضون الشعب على التظاهر، تحت راية العمل من أجل حرية شعبنا وكرامته، وقد لاحظت أن زعماء الحركة كانوا من الشبان اليهود الذين لم يسبق لهم أن حملوا السلاح.

امتدت العدوى إلى ميونخ، وكنت لا أزال أعتبرها ثورة ضيقة النطاق يقوم بها نفر من رجال البحرية. لكن الأيام أظهرت لي أن الثورة قد تفاقمت وعمت البلاد، حتى أنها وصلت إلى الجبهة حيث بدأت الإشاعات عن إلقاء السلاح.

وحدث أن جاء إلى المستشفى أحد رجال الدين ليلقي فينا موعظة، ومنه علمت كل شيء. فقد كان يتكلم بصوت متهدج ويقول أن آل هوهنزولرن قد فقدوا حقهم بالعرش، وأن ألمانيا قد بدلت النظام الملكي بالنظام الجمهوري، ودعانا إلى الصلاة للنظام الجديد، ثم أخبرنا أن بلادنا خسرت الحرب، وأصبحنا الآن تحت رحمة العدو، وعلينا أن نقبل بالأمر الواقع ونستسلم للشروط المفوضة دون أن نقنط من رحمة العدو وتسامحه.

عندما وصل القسيس إلى هذا الحد، لم أتمالك نفسي فخرجت من الغرفة أتلمس طريقي إلى السرير حيث ارتميت عليه ودفنت رأسي تحت الغطاء.

لقد خسرنا كل شيء وأكثر من ذلك خسرنا مليوني شهيد قتلوا في ساحة الشرف.

www.ynbu3.com

وكيف سنبرر موقفنا للأجيال المقبلة؟ وكيف سنكتب غدًا تاريخ هذا الحديث؟

إن الذين تسببوا في وقوع الكارثة، ولطخوا بالعار تاريخ شعبنا المجيد قد جنوا على هذا الشعب دون أن يشعروا.

إن الحقد يغلي في صدري على أولئك الذين سببوا الكارثة. ومرت الأيام وأيقنت أن الاعتماد على سخاء العدو وتسامحه هو نوع من الجنون بل هو الخيانة بالذات.

قررت الاشتغال بالسياسة واضعاً أمامي إنقاذ ألمانيا من عدوين:
الماركسية واليهودية. إن غليوم الثاني كان أول امبراطور ألماني مد يده إلى الماركسيين الذين صافحوه وبيدهم الأخرى يخفون الخنجر المسموم.

www.ybu3.com

نشاطي السياسي

في شهر تشرين الثاني 1918 رجعت إلى ميونخ لكي أنضم إلى البقية الباقية من أفراد فيلقي في الاستيداع، وقد وجدت الفيلق تحت عهدة "المجلس العسكري" الذي سرعان ما برمت به وبأساليبه، فانتقلت إلى "ثروتشتين"مع صديقي أرنست شميت ولم أعد إلى ميونخ بعد ذلك إلا عام 1919.

كانت الحالة في المدينة غير مستقرة، فبعد وفاة "ايرنز" سادت الدكتاتورية السوفياتية وخفت سيطرة اليهود الذين بذروا بذرة الثورة .لم تمنعني الحوادث الجارية من الجهر بآرائي، مما حدا بالسوفييت المركزي في ميونخ إلى وضع اسمي في اللائحة السوداء، لائحة أعداء الثورة. وقد اضطررت إلى شهر السلاح في وجه ثلاثة رجال جاؤوا لاعتقالي، فعادوا من حيث أتوا ولم يعاودوا الكرة.

بعد انقاذ ميونخ انتخبت عضوًا في لجنة للتحقيق في حوادث العصيان والثورة التي شطرت فيلق المشاة الثاني إلى قسمين. ثم تلقيت أمرًا بمتابعة دروس خاصة في التنشئة الوطنية التي كانت تلقى على أفراد القوى المسلحة. وهناك تعرفت إلى رفاق كثيرين يوافقوني الرأي على الحالة السياسية وكانوا جميعهم مقتنعين أن الذين ارتكبوا جريمة تشرين الثاني لن يتمكنوا من إنقاذ ألمانيا، أما بالنسبة للأحزاب البورجوازية

www.vnbu3.com

القومية فهي عاجزة عن اصلاح ما أفسده المفسدون.

وقمنا بوضع الخطوط الأولى لتأليف حزب جديد يقوم على مبادئ تقدمية. وقد قررنا أن نعطي الحزب اسما يروق للجماهير الشعبية كي تلتحق فيه، فسميناه "الحزب الاجتماعي الثوري" باعتبار أن المبادئ الاجتماعية لحزبنا الجديد كانت ذات طابع تقدمي. وقد كان هناك سببًا هامًا دفعني إلى اختيار هذا الاسم، ذلك أن اهتمامي بالمسألة الاقتصادية لم يتح لي دراسة المشاكل الاجتماعية، فلما تعمقت بدراستي اتضح لي أن سياسة المحالفات الألمانية كانت نتيجة لتقدير خاطئ لأسس الحياة الاقتصادية. كما اتضح لي أن معرفة المسؤولين عن رأس المال كانت ضعيفة وسطحية، فما هو رأس المال؟

إنه نتيجة العمل، وهو غير ثابت لأنه خاضع كالعمل نفسه إلى العوامل المؤاتية لنشاط البشر أو المعرقلة لها. وعلى هذا تبقى أهمية رأس المال مرتبطة بقوة الدولة وحريتها. فتوجيه رأس المال تمليه مصلحة حرية الدولة واستقلالها يجره بالتالي إلى خدمة حرية الدولة وعظمتها. وبذلك يجب على الدولة إبقاء رأس المال خاضعًا لها بدلاً من أن تتركه يطغى على الأمة. وهذا لا يتم إلا إذا أصبح الاقتصاد القومي مستقلاً، وأصبحت حقوق العامل الاجتماعية مضمونة.

لم يكن هناك فرق كبير بين رأس المال الذي هو ثمرة العمل المنتج، وبين رأس المال الذي يقوم على المضاربات. وكان الفضل يعود إلى الأستاذ

www.ynbus.com

فيدر الذي لفت نظري إلى أهمية رأس المال الذي وجدت فيه الأساس الذي يمكن أن يقوم عليه الحزب الجديد.

كان الأستاذ فيدر يشدد على ضرورة التمييز بين رأس المال الدولي الخاضع لسياسة المضاربات، ورأس المال المرتبط بالاقتصاد. وقد حاول النقاد إيجاد ثغرات في نظريته لكنهم اعترفوا أخيرًا بصحتها ولكن لم يثقوا بامكانية تطبيقها عمليًا.

إن ما ظهر للناقدين ضعيفًا في نظرية الأستاذ فيدر، يشكل بنظري موطنًا للقوة. إذ أنه ما يجب على صاحب مشروع ما أن يهتم به كغاية قبل الواسطة .وبالتالي ينبغي على من يضع مشروعًا لحركة ما، أن يحدد الغاية منها، أما تحقيق هذه الغاية فيسلم إلى رجل السياسة. فتتجلى عظمة الأول في صحة نظرياته وآرائه، وتظهر عظمة الآخر في تقديره للأمور ومعالجته لها واستخدامها على ضوء التشريعات التي حددها رجل الفكر.

إن فكرة مثالية ذات أهداف كبيرة لا يمكن تحقيقها بالطرق والوسائل البشرية المعروفة كما صورها عقل صاحبها. لذلك لا يجوز أن نقيس عظمة صاحبها بمقدار ما تحقق من فكرته، ولكن بمدى تأثير هذه الفكرة في تقدم البشرية. أما إذا افترضنا أن نجاح الفكرة نجاحًا كليًا هو المقياس لعظمة موجدها، فإننا لن نجد مكانًا بين العظماء لمؤسسي الديانات السماوية، لأن تطبيق تعاليمهم الروحية بشكل عملي لهو من الأمور المستحيلة. وإنما أهميته تقوم على الفكرة الموجهة التي أراد مؤسسها أن

www.ynbu3.com

يصقل الأخلاق والعادات البشرية.

وهذا الفرق الكبير بين مؤسس الفكرة وبين رجل السياسة يجعل من النادر جدًا أن يجتمع كلاهما في شخص واحد. وهذا ينطبق على رجال السياسة العاديين الذين مارسوا نشاطهم ضمن نطاق الممكن. وقد أشار بسمارك إلى هؤلاء عندما حدد السياسة بقوله أنها "فن العمل في حدود الممكن."

من المؤسف أن نرى مشاريع رجال السياسة البعيدة عن الأفكار السامية والواضحة، تصادف نجاحًا كبيرًا وبوقت قصير لكن هذه المشاريع تكون قصيرة الأجل، فإنها تموت بموت صاحبها فهي لا تعود بأي نفع على الأجيال المقبلة لأن نجاحها يقوم على اهمال المشاريع البناءة البعيدة الأثر، ومن الغريب أن نرى أن متابعة هذا النوع الأهداف السامية لا يرى تشجيعًا من جانب المواطنين فهم يهتمون بالزعماء الذين يؤمنون لهم بطاقات الحليب والبيرة وطعامهم اليومي، تاريكين الذين يفكرون بالمشاريع البعيدة الهدف التي لا يستفيد منها إلا الأجيال القادمة.

لهذه الأسباب نرى معظم رجال السياسة ينصرفون عن المشاريع ذات الهدف البعيد، حرصًا منهم على ترضية جمهورهم الذي يهمه الوقت الحاضر.

لقد أدركت على ضوء نظريات الأستاذ "فيدر" أن جهودنا يجب أن توجه ضد فكرة رأس المال الدولي، وقد أثبتت الحوادث صحة هذا الرأي، فحتى

www.vnbu3.com

نوابغ السياسة البورجوازيين في هذه الأيام أدركوا مدى خطورة رأس المال الدولي، فهو لم يكتفِ بإثارة الحرب العالمية، بل جعل من السلم جحيمًا لا يطاق. ولم يبقَ شخص مخلص واحد إلا وأدرك أن محاربة رأس المال المعد للقروض أصبح واجبًا وطنيًا لإنقاذ الأمة وإنقاذ حريتها واقتصادها.

فإلى الذين يتخوفون من هذا الإتجاه، أطمئنهم أن مخاوفهم ليست في محلها، فقد جربت ألمانيا عدة تجارب اقتصادية على غير طائل. ويذكرني تحفظ هؤلاء بتلك الآراء السخيفة التي طلع بها مؤتمر الأطباء البافاريين عندما نادوا ضد مشروع إنشاء السكك الحديدية، وكانت حجتهم أن المسافرين سيصابون بالدوار وكذلك السكان الذين سيمر بهم القطار، وأوصى المؤتمرون بإقامة حواجز من الخشب أو غيره يحول دون رؤية الجمهور للقطار وهو يمر بسرعة كي لا يؤثر هذا المشهد على أعصابهم.

فنصيحتي للذين يريدون التطور التدريجي أن يدعوا هذا العمل لغيرهم من المخلصين الذين يقدمون لعرقنا وشعبنا أسباب النمو، بحيث يمكنه أن يغذي أبناءه ويحفظ دمه نقيًا.

عدت إلى دراسة نظريات اليهودي كارل ماركس، فتوضحت لي هذه المرة أهداف رأس المال كما حدده هو .وتبينت بوضوح ما تهدف إليه الاشتراكية الديمقراطية من جراء محاربتها للإقتصاد القومي. فهي تهدف إلى تسخير مالية البلاد واقتصادياتها لخدمة وسيطرة الرأسمال اليهودي.

www.ynbus.com

وقد اشتركت في عدة مناقشات حول هذا الموضوع. وفي أحد الأيام وقف أحدهم ليدافع عن اليهود والماركسية بشكل لفت نظر المستمعين، وقد رددت عليه بشكل عنيف مقنع مما حمل الكثيرين على تبني وجهة نظري .

بعد أيام ألحقت بإحدى الثكنات العسكرية في ميونخ بصفة مربي عسكري.

بدأت مهمتي الجديدة بحماس شديد. مع أن روح الانضباط كانت ضعيفة فكان علي أن أدرب الجنود على التفكير قوميًا ووطنيًا مما فتح أمامي فرصة صقل موهبتي في الخطابة والتحدث في حفل كبير، وسرعان ما أصبحت محدثًا بارعًا وخطيبًا قوي الصوت.

لقد تكللت جهودي بالنجاح .فتمكنت من إعادة مئات من الجنود ضحايا الماركسية، إلى فكرة الوطن والشعب، كما تمكنت من إعادة الإنضباط إلى عهده السابق.

وخلال هذه الفترة تعرفت إلى رفاق تمكنت وإياهم فيما بعد من وضع أسس الحركة الجديدة.

www.ynbu3.com

أسباب الانـهيار

إن مقياس عمق سقطة جسم ما تقاس بالمسافة ما بين مكان سقطته والمكان الذي سقط منه، وهذه النظرية يمكن تطبيقها على سقوط الشعوب والدول.

لقد كان سقوط الامبراطورية من إرتفاع شاهق. فكان الانهيار هائلاً. فالامبراطورية لم تبنى على ثرثرة البرلمانيين، بل على سواعد جنودها وأعمالهم البطولية الخارقة. ففي الحرب السبعينية وبينما كانت المدافع تقصف باريس، اختمرت فكرة تأسيس الامبراطورية وجعل التاج الامبراطوري من جديد رمزًا للوحدة المقدسة.

لقد نشأت دولة بسمارك على سواعد جنودنا في ساحات القتال وأحيطت ولادتها الامبراطورية بهالة من المجد التاريخي، وعندما بدأت تتسلق درج التقدم، أيقن العالم أنها ستبلغ ذروة المجد. وينعم شعبها بالحرية والطمأنينة والبحبوحة.

من هذه القمة العالية سقطت الامبراطورية. وانتاب الذهول شعبها فباتوا عاجزين عن تكوين فكرة صحيحة عما كانت عليه بلادهم قبيل انهيارها، فكيف يمكنهم أن يلمسوا العوامل التي أدت إلى هذا الانهيار.

ما أقل الذين شعرا بأعراض الانحلال، فالذين كشفوا موطن الداء حاولوا

www.vnbu3.com

علاجه، لكن المخلصين منهم خلطوا بين أعراض المرض وعلته. فاليوم نعتبر أن ضعف الجهاز الاقتصادي هو السبب المنطقي للهزيمة، فالمثقفون يعتبرون أن الهزيمة كانت هزيمة اقتصادية قبل أن تكون عسكرية .لذلك يحاولون بناء الأمة على أساس اقتصادي سليم. لكن العامل الاقتصادي يأتي في المرتبة الثانية لأن أهم سبب أدى إلى الانهيار هو عامل السياسة والمعنويات وعامل الدم. وانطلاقًا من هذه الحقيقة يمكننا تشخيص المرض وإيجاد الدواء الشافي.

إن من الأقوال المنتشرة لتعليل انهيار الامبراطورية: "يجب علينا أن نتحمل نتائج الحرب، أي الأزمة التي نعانيها من جراء الحرب الخاسرة."
وبلا شك هناك من يأخذ بهذا التعليل. فنجد قسمًا كبيرًا من هؤلاء الخبثاء في أوساط الحكومة بالذات.

لم ينسَ المواطنون عتاب دعاة الثورة من ماركسيين ويهود على الشعب لأنه لم يلجأ إلى العصيان حين كانت الحرب في بدايتها ليفوت على الرأسماليين لذة النصر وفوائده. ألم يؤكد هؤلاء الخونة على وجوب القضاء على روح العسكرية البروسية، لأن هذا باعتقادهم هو الضمان الوحيد للاستقرار وللحرية؟ أما بعد الكارثة فقد رأيناهم يلقون تبعة الإنهزام على الجيش. وفي نفس الوقت يعللوا متاعب البلاد ومشاكلها الخانقة إلى هزيمة الجيش العسكرية.

لا أنكر أن تأثير الهزيمة كان سيئًا على مستقبلنا. ولكن هذه الهزيمة لم

www.ybu3.com

تكن عاملاً مسببًا، بل كانت نتيجة عوامل أخرى يعرفها الخونة الذين يتجاهلونها اليوم، لأن الهزيمة كانت نتيجة تآمرهم ودسائسهم. ولم تكن الهزيمة كما يدعون بسبب سوء تصرف القيادة العامة .فالكل يعلم أننا جابهنا جيوشًا تفوقنا بالعدد والعتاد ومع ذلك انتصرنا عليها طوال أربع سنوات، بفضل قيادتنا العسكرية الحكيمة.

إن المحنة الحالية لم يسببها تداعي الجبهة. بل كانت نتيجة لجرائم اقترفها الذين جعلوا من الجيش كبش الفداء في الوقت الذي ترتفع فيه الأصوات المطالبة بتحديد المسؤوليات ومحاكمة المسؤولين. متى كانت الهزيمة العسكرية تسبب انهيارًا كاملاً للدولة والأمة؟ ومتى كانت خسارة الحرب تحتم هلاك الشعب؟

إن الشعب الذي يصل إلى هذا الدرك هو شعب فاسد وجبان ونذل .أما الشعب الذي يتمتع بمعنويات وفضائل سليمة فإن خسارة الحرب تصبح بالنسبة له كالدواء المقوي ليدفع به إلى الأمام.

كانت الهزيمة العسكرية قصاصًا أنزلته بنا العدالة السماوية. وهي تشكل ظاهرة ملموسة تنم عن وجود التشقق والتصدع الذي تعامى الشعب عن رؤية عوارضه، وقد افتضح أمره وظهر للعيان بصورته البشعة بالطريقة التي تقبل بها شعبنا الألماني الهزيمة الشنعاء.

ألم يتلقَ الماركسيون واليهود ومن لف حولهم نبأ الهزيمة بالفرح

www.ynbu3.com

والابتهاج؟ ألم نسمع تشدق البعض بأنهم أصحاب الفضل في هذا الانهيار وأن العدو لم يفعل سوى الإجهاز علينا؟ ألم يحمل فريق منا ألمانيا تبعة الحرب وما سببته من ويلات؟ لقد تقبل الشعب الألماني نبأ الهزيمة بطريقة لا تشرفه. وبذلك يكون قد استحق القصاص الذي أنزل به .فلو كانت الأقدار مسؤولة عن الهزيمة لما وجد بيننا من يبتهج للمحنة، ولما تشدق المتشدقون بأنهم أصحاب الفضل في إضعاف الجبهة، ولما راح الماركسيون يكرسون الهزيمة ويهينوا الجيش المهزوم ويدوسوا الأعلام بأرجلهم. ولما كان لضابط انكليزي أن يقول "بين كل ثلاثة ألمان تجد واحدًا خائنًا."

إن الهزيمة التي لحقت بنا كانت نتيجة الداء الذي أصاب الأمة في زمن السلم. فقضى على مناعتها وأضعف معنوياتها وشل منها غريزة حب البقاء. لكن اليهود وأتباعهم الماركسيين الذين ينفذون لهم خططهم أرادوا أن يحددوا المسؤوليات ويحصروها ويلقوا بتبعة الهزيمة على شخص واحد هو لودندورف. هذا القائد الفذ الذي عمل جاهدًا ليجنب الأمة الانهيار الكامل.

لقد جردوه من سلاحه المعنوي الوحيد الذي يستطيع أن يشهره في وجه الخونة، لأن "المتهم" لا يصلح كشاهد إثبات يوم يأتي يوم الحساب ويصار إلى تحديد المسؤوليات.

فالماركسيون وأساتذتهم اليهود عندما أطلقوا كذبتهم الجديدة، كانوا

www.vnbus.com

يعلمون أن الشعب لن يتبين ما وراء هذه اللعبة، وهذا كافٍ لخلق جو من البلبلة يحول الأنظار عن المسؤولين الحقيقيين. إن اتقان الكذب هو فن يجيده اليهود، لأن كيانهم من أساسه يقوم على كذبة ضخمة إلا وهي زعمهم أنهم طائفة دينية، مع أنهم في الواقع جنس وأي جنس؟

لقد وصف شوبنهور اليهود بأنهم أساتذة عظام في فن الكذب. ولا شك أن الرجل لم يظلمهم.

عندما بدأ ازدياد عدد السكان يشكل خطرًا على ألمانيا، اهتم المسؤولون بمسألة تأمين القوت اليومي للمواطنين، فبدلاً من أن ينشدوا الخبز مثلاً من أوروبا بالذات بسياسة التوسع، اعتمدوا سياسة غزو العالم اقتصاديا. فترتب على هذه السياسة توسع في الإنتاج، وكان من نتيجة هذا التوسع انخفاض مستوى الفلاحين، وازدياد عدد العمال في المدن الكبرى بشكل كبير أدى إلى اختلال التوازن بين عنصري الأمة المجيدين. وانقسمت الأمة إلى قسمين: الأغنياء والفقراء .وقد لفت هذا الانقسام نظر الماركسيين إلى ضرورة استغلال الضائقة المسيطرة على العمال، واستطاعوا بالتالي أن يوسعوا الهوة بين الطبقات.

في الوقت الذي أصبح الاقتصاد فيه كالعمود الفقري للدولة، ارتكبت غلطة فظيعة، فقد شجع الامبراطور غليوم النبلاء على الإنصراف للشئون المالية. فاستهوت الصفقات المالية الضخمة النبلاء، فانصرفوا عن الاهتمام بالمعارك الحربية .وبدأت المؤامرات تحاك من الداخل والخارج،

www.ynbu3.com

بينما ظل النبلاء الذين كانوا خدام الامبراطورية وحراسها في شاغل عنها لأن المال أخرجهم من مركزهم النبيل وجعلهم عبيدًا لليهود في حقل الصفقات المالية.

وكان من مظاهر إنحلال الاقتصاد القومي، اختفاء الثروة العامة أو الدخل الفردي بسبب الاحتكارات الدولية ودسائس الماركسيين .وقد حاولت الصناعة الثقيلة مقاومة هذه الظاهرة لكن الماركسيين وقفوا بوجه محاولاتها هذه خاصة وأن ثورتهم نجحت عقب الهزيمة العسكرية، فاستطاع أعداء الوطن أن يدولوا الاقتصاد الألماني. وكان انتقال الخطوط الحديدية من ملكية الدولة إلى ملكية حاملي الأسهم أول نجاح لهم في هذا الحقل.

ولما تم لليهود والماركسيين تقويض الاقتصاد القومي. وقفوا بعد انتهاء الحرب يزعمون أن الاقتصاد سينهض بالبلاد وينعشها من جديد. وقد تبنى هذه المزاعم الذين قدر لهم أن يكونوا في سدة الحكم.

من أعراض التفسخ التي ظهرت على الدولة الألمانية قبل الحرب إنعدام الحزم والشجاعة الأدبية التي كانت من شيم آباءنا وأجدادنا، وحل محلها التراخي والميوعة والتردد والتزلف. ولا شك أن مناهج التربية كانت المسؤولة عن هذا التفسخ الخلقي لأنها أهملت تقوية شخصية الفرد. وكانت هذه النقائص والعيوب تظهر بشكل واضح في مسلك رجالاتنا تجاه الامبراطور. فكانوا يتقبلون كل شيء يقوله لهم ويعتبرونه مقدسًا، ولم

www.ynbus.com

يكن بينهم رجلاً واحدًا لديه من الشجاعة أن يقول له لا. فهذا التزلف هو الذي أوصلنا إلى هذا الدرك.

إن الذين يحيطون بالعرض ويستأثرون بعطايا صاحبه ويتظاهرون بالولاء له ويدعون أنفسهم ملكيين، هم الذين ينقمون عليه بعد أن تحل به كارثة ما، فنجدهم أول المطالبين بالاقتصاص منه. فهل يرجى من هؤلاء المتزلفين أن يفتدوا ولي نعمتهم بأرواحهم؟

إن المخلص الحقيقي للعرش هو الذي يقدم النصح لجلالته ويلفت نظره إلى مواطن الزلل فينهيه عنها بحكمته وبعد نظره.

فمن تزلف الساسة إلى سوء التربية المدنية تولد مركب النقص عند أوساط المهتمين بالشئون العامة، فصاروا يتهربون من تحمل المسؤولية ويخافون الاقدام حيث تدعو الحاجة لذلك .فقامت في البلاد حكومات ضعيفة لم تتمكن من معالجة المشاكل المسيطرة.

وقد لعبت الصحافة دورًا بارزًا في إبعاد التربية المدنية عن أهدافها السامية. فالصحافة هي مدرسة الشعب ومهمتها توجيه الرأي العام، أما قراء الصحف فكانوا ثلاثة أقسام:

1- الذين يصدقون جميع ما تنشره الصحف.
2- الذين لا يصدقون شيئاً مما تنشره الصحف.
3- الذين يفكرون بما يقرأون.

www.ybu3.com

فالقسم الأول من القراء هم الأغلبية الساحقة، وهم الفئة الغير متعلمة من الشعب التي تعتمد على طبقة المثقفين بالتفكير واعطائهم الخلاصة، باعتقادهم أن الذي يقرأ ويفكر ويدون آراءه لا بد أن يكون مدركًا ادراكًا تامًا للأمور.
إن هذه الفئة التي لا تفكر هي فريسة سهلة للصحافة التي تعتمد تضليل الشعب بحجة تنويره.

والقسم الثاني يضم بعض العناصر من القسم الأول، انتقلت مع مرور الأيام من الإيمان المطلق إلى الشك المطلق فأصبحت لا تصدق شيئًا من ما تكتبه الصحف. وهذا الفريق لا يصلح لأي عمل ايجابي.

أما القسم الثالث فيضم عددًا محدودًا من المواطنين المؤهلين لأن يفكروا تفكيرًا صحيحًا فيميزوا بين الصالح والطالح. ولكنهم مع الأسف لا شأن لهم أو تأثير في مقدرات البلاد.

فالأكثرية الجاهلة هي التي تتحكم بالبلاد وذلك بفضل ما يدعى بنظام الاقتراع العام، وهذه الأكثرية أرسلت إلى البرلمان رجالاً مغمورين جعلت منهم الدعايات الصحفية نجومًا لامعة. وقد رأينا هؤلاء الممثلين للأمة يحشون جيوبهم بالمال بينما كان شبابنا يضحي بأرواحه في ساحات القتال.

www.ybu3.com

أليس من واجب الدولة أن تراقب الصحافة نظرًا لتأثيرها القوي على الجمهور. إن حرية الصحافة شيء جميل، ولكن هذه الحرية تصبح عاملاً من عوامل الفساد إذا لم تمارس حريتها في الحدود التي ترسمها مصلحة الدولة والأمة.

إن الموقف المخزي الذي وقفته الصحافة قبل الحرب لا يمكننا نسيانه. وقد شددت الصحافة اليسارية إلى وجوب انقاذ السلام بأي ثمن، بينما كانت الدول المعادية جادة في إعداد عدة الحرب. ألم تدعو صحافتنا إلى الديمقراطية الغربية وتمجدها وتطالب بتقوية شخصية الفرد وتدعو إلى إضعاف الدولة؟ ألم تسهم في محاربة تقاليد شعبنا العريق مزينة له الانغماس في الملذات التي أضعفت مناعته الخلقية؟ ألم تحارب الصحافة مشروع التجنيد الاجباري، وتحرض النواب على عدم منح الاعتمادات للجيش، بينما كانت رائحة الحرب تنتشر في الأجواء؟ ألم تكن مهمة الصحافة الماركسية الكاذبة إضعاف الشعب اجتماعيًا وقومياً ليسهل اخضاعه للرساميل الدولية ولليهود أسياد الماركسية؟

ماذا أعدت الدولة لدفع الخطر عن الأمة؟

إن الدولة لم تفعل شيئًا يذكر، مع أن معاول المفسدين من اليهود كانت تعمل في هدم صرح الدولة فقضوا على حيويتها وأخضعوا اقتصادها لرقابة أجنبية. نعم لم تفعل الدولة شيئًا حيال الصحافة الماركسية اليهودية التي كانت تخدر الأعصاب بالدعاية للسلام فتشل حيوية الأمة بالدعاية الإباحية الرذيلة. ولم يكن تغاضي الدولة يرجع إلى جهلها لخطر هذه

www.vnbus.com

الدعايات وضررها بقدر ما كان هذا راجعًا إلى جبن المسؤولين واحجامهم عن التصدي لها.

لا بد لنا من القول أن اليهود قد اعتمدوا طرقًا بارعة تبعد عنهم الشبهات، فبينما كانت صحفهم الماركسية تمعن في تسميم أفكار الشعب وتعمل على استفزاز الطبقات بعضها ضد بعض، كانت صحافتهم البورجوازية الديمقراطية تعالج القضايا باسلوب رصين هاديء. ذلك أن اليهود كانوا يعلمون أن العقول الفارغة تحكم على المظاهر، هذه العقول التي انخدعت بنعومة الشعب المختار وميوله المسالمة، لن تأخذه بجريرة الآخرين، لعجزها عن كشف اللعبة المزدوجة. فقد كانت مثلاً صحيفة "لاغازيت دو فرانكفورت" نموذجًا للاعتدال اليهودي. وشعارها باعتماد المنطق ونبذ العنف أكبر دليل على رصانتها واعتدالها. حتى أنها كانت تسدي النصح إلى زميلات الماركسيات بوجوب وقف الحملات العنيفة، وبنفس الوقت كانت تدافع عنها باسم الحرية، حرية التعبير عن الرأي حين تلجأ السلطات إلى استعمال حقها في محاكمة الصحافيين وتعطيل صحفهم.

وكانت السلطات تعفي عنهم كي لا تغضب الصحافة الطيبة، فتعود إلى نفث سمومها من جديد في جسم الدولة الآخذ في الانحلال. وهكذا نجد أن تفسخ الامبراطورية يرجع إلى الاهمال باتخاذ التدابير الكفيلة بصيانتها، والانهيار الخارجي كان نتيجة حتمية للانحلال الداخلي.

إن الشواهد على ضعف الحكومة الألمانية كثيرة، فبعد أن أغفلت أمر

www.vnbu3.com

اليهود والماركسيين وتقاعست عن الاضطلاع بالمهام المنوطة بها، رأيناها تقف حيال الأمراض مكتوفة الأيدي، فتفشى داء الزهري وداء السل بين المواطنين تفشيًا هائلاً بسبب سوء التغذية، ووقف الشعب والحكومة من داء الزهري موقف من لا يستطيع شيئًا. وقد حاولت الحكومة مكافحة المرض بحصر الداء أولاً ولكنها أغفلت مسببات المرض وهو البغاء الذي ما إن ينتشر في بلد ما إلا ويكون مصير الشعب الفناء. إذ أن البغاء يعني تحويل الحب والعلاقات الجسدية إلى صفقات تجارية، وانتشار البغاء يعني تراخي العلاقات والروابط التي تجمع بين المحبين. فتسود الإباحية ويكثر اللقطاء وأبناء الزنى. ويكفي أن نلقي نظرة على أبناء النبلاء والبرجوازيين لنفهم خطورة الخطوة التي خطتها أمتنا نحو الانهيار. فقد انتقلت عدوى هذا الداء الوبيل إليهم عن طريق علاقاتهم الجنسية مع الموظفات اليهوديات في المحلات التجارية والأندية، وكانت النتيجة أولادًا ضعفاءً مشوهين.

فبدلاً من أن تتخذ الحكومة الاجراءات الكفيلة بالقضاء على البغاء، هذه التجارة اليهودية الرابحة، عمدت إلى تشجيع المؤتمرات الطبية لدرس هذه الظاهرة الخطيرة.

إن القضاء على هذه الظاهرة الخطرة تتطلب خطوات عملية وجريئة . فالزواج المبكر في مقدمة الأسباب التي تحد من إنتشار البغاء. فالزواج يهدف إلى غاية سامية: هي حفظ النوع والجنس، ومن حسنات الزواج المبكر أنه يعطي الأمة أولادًا أقوياءً البنية، فيجب على الدولة قبل أن

www.ynbu3.com

تشجع هذه الخطوة، أن تعمد إلى تأمين المستوى الاجتماعي اللائق للمواطنين.

أما الخطوة التالية فيجب أن تعمد الدولة إلى تغيير مناهج التربية والتعليم، ففي نظامنا الحالي لا نجد اهتمامًا بالرياضة البدنية التي لمس آباؤنا أهميتها في تنشئة جيل قوي روحيًا وجسدياً، فالعقل السليم هو في الجسم السليم. ففي الفترة التي سبقت نشوب الحرب عمدت الدولة إلى رعاية العقل الذي يدعم نهضة الأمة. فلما انتشرت البلشفية في الأوساط التي لا تملك المناعة الخلقية، تبين أن هذه المباديء ما كانت لتقى رواجًا لو ألقيت إلى عقول سليمة في أجسام سليمة.

إن عدم اهتمامنا بالتربية البدنية قد فتح الطريق أمام النزوات والغرائز الجنسية، فالشاب الذي يمارس الألعاب الرياضية يصبح أكثر قوة ومقدرة على كبح جماح غرائزة الجنسية، فالنظام التربوي يجب أن يتعهد العقل والجسد معًا بالإضافة إلى الأخلاق. كذلك يجب القضاء على مظاهر الخلاعة التي تثير الغرائز الجنسية وذلك بتطهير الحضارة الألمانية تطهيرًا كاملاً يشمل المسرح والفن والسينما والصحافة، فصحة شعبنا تتطلب محافظتنا أيضًا على عرقنا ولو على حساب الحرية الفردية التي يتشدق بها اليهود المسؤولون أولاً وآخرًا عن الاباحية.

إن التدابير السابقة ليست كافية، إذا تم تنفيذها، للقضاء على داء الزهري قضاءً مبرمًا. بل هناك تدابير أخرى يجب اتخاذها على نطاق واسع وحاسم. أليس اجرامًا بحق الأمة والعرق أن نترك المصابين بالزهري

www.vnbus.com

الذين لا أمل في انقاذهم أن يمارسوا العلاقات الجنسية، وبذلك ينقلوا العدوى إلى الأصحاء؟ ألا يعادل هذا التسامح الشعور الإنساني السخيف الذي يجعلنا نسمح بهلاك مئة شخص لندفع الإساءة عن واحد.

إن منع المصابين بالزهري، الذين لا أمل في شفاءهم من ممارسة العلاقات الجنسية هو إجراء إنساني حكيم يهدف إلى التضحية بالبعض في سبيل المجموع. ولكن يجب أن يكون المنع أكثر جدوى، أي بعزل المصاب والقضاء على طاقته التناسلية. إن هذا الإجراء الذي يبدو وحشيًا كفيل بانقاذ الأجيال المقبلة وصون حيوية الأمة.

من أعراض الانحلال التي بدت على الامبراطورية قبل الحرب تدهور المستوى الثقافي بفعل المؤثرات الغريبة، لا سيما تلك التي كانت خاضعة لتوجيهات اليهود. فمنذ ابتداء القرن العشرين طرأ تحول كبير على الفن أبعده عن القواعد المدرسية وأخضعه لأهواء قلة من المنحرفين فكريًا. فقد قام الفنانون اليهود والبلاشفة بفكرة التجديد والابتكار وذلك بالحط من قدر التراث الألماني الفكري والهزء بمقدسات الأمة، فقد هزئوا من شيلر وغوته وشوبنهور وهيغل وغيرهم. لقد أرادوا أن يقطعوا كل صلة بين الماضي والحاضر، فجعلوا من الأدب الرخيص والفن الإباحي بضاعة سهلة التناول، فامتلأت واجهات المكتبات وجدران المتاحف بإنتاج هزيل لا أثر فيه للفكر أو الفن.

ولم يكتفِ اليهود بهذا، فشنوا الحملات على الدين ورجاله بحجة تقديس

www.ynbus.com

حرية المعتقدات. وقد قاموا بترجمة المؤلفات الأجنبية التي لا يجوز أن توضع بين أيدي المثقفين، فكيف بعامة الشعب، أما رجال الكنائس فكانوا منصرفين عن هذه الأعمال التخريبية داخل البلاد، للتسابق إلى هدي زنوج أفريقيا، هذا التسابق الذي لم يؤدِ إلى أية نتيجة بالنسبة إلى النتائج الباهرة التي حققها الإسلام هناك.

لقد ترك رجال الكنيستين نعاجهم إلى الذئاب، وكانت النتيجة تزعزع الإيمان وتقلص شأن الوازع الديني.

وفي الحقل السياسي تجلى التفكك والانحلال. فالحكومات كانت ترتجل مشروعاتها في الداخل والخارج دون أن ترسم أهدافًا معينة. ولعل المسؤولين قد اتخذوا من كلمة بسمارك شعارًا لهم. ألم يقل المستشار الحديدي أن السياسة هي "فن العمل في حدود الممكن"؟ ولكن هذا لا يعني أن السياسة تخبط وارتجال. ولكن مستشاري هذه الأيام قد اعتبروا هذا القول تحريرًا لهم من قيود المباديء والأهداف.

لقد أدرك المخلصون، قبل نشوب الحرب ببضع سنوات، أن اضعاف جهاز في الدولة هو البرلمان أو الرينستاغ، مع أنه أريد بهذه المؤسسة تقوية الصرح لا إضعافه .ففي هذه المؤسسة يجتمع الجبن والتهرب من المسؤولية، وتكثر الثرثرات الفارغة .فالبرلمان هو المسؤول عن إنعدام الانسجام في سياسة الدولة، كذلك عدم الاستقرار والارتجال، فهذه كانت من العوامل الرئيسية التي أدت إلى انهيار الامبراطورية. فكل خطوة خطتها الحكومة وجاءت ناقصة كانت نتيجة لاهمال البرلمان إن لم نقل

www.ynbu3.com

لخيانته.

إن سياسة المحالفات كانت مرتجلة وضعيفة. وسياستنا حيال بولونيا كانت ضعيفة ومرتجلة. فقد أثيرت هذه القضية أكثر من مرة دون أن نتمكن من معالجتها معالجة جدية وفعالة، فجاءت النتيجة التي أردناها انتصارًا للجرمانية أو تفاهمًا مع بولونيا، جاءت لتباعد بيننا وبين روسيا. وكانت الحلول التي قدمناها لمسألة الألزاس واللورين غير مجدية. فعوضًا عن أن نسحق الفرنسيين بضربة واحدة، ونعطي للألزاس الحقوق الممنوحة لباقي دويلات الرايخ، رحنا نتودد إلى الفرنسيين متجاهلين أماني الألزاسيين. كل ذلك لأن في أحزابنا السياسية أكبر الخونة المارقين.
وكانت الضحية الكبرى للسياسة المترددة الحائرة، الأداة الوحيدة التي يتوقف عليها مصير الامبراطورية: الجيش.

لقد رأينا الأحزاب البرلمانية تجرد الأمة من سلاحها المعد للدفاع عن كيانها وحريتها وتأمين خبزها ولو قام أبطال سهول الفلاندر من قبورهم لاتهموا أعضاء البرلمان بالخيانة لدفعهم بمئات الألوف إلى أشداق الموت جنودًا غير مدربين .ذلك أنه بينما كانت اليهودية العالمية تهاجم "الروح العسكرية الألمانية" في صحافتها الماركسية والديمقراطية، محاولة أن تلقي بمسؤولية الحرب على ألمانيا ولو سلفًا، كانت الأحزاب الماركسية والديمقراطية عندنا تقف في البرلمان ضد تدريب القوى الشعبية.

لم يقتصر الاهمال على الجيش البري فحسب، بل تعداه إلى الاسطول، الذي

www.ybus.com

لم ينل ما يكفيه من العناية والاهتمام. مع أن القادة قد أدركوا منذ عام 1904 أن انكلترا الدولة البحرية الأولى ستقف ضدنا أيام الحرب. لذلك كان علينا أن نجعل من القوة البحرية سلاحًا ضخمًا وقويًا. فبينما كانت المصانع الانكليزية تصنع السفن الضخمة كانت مصانعنا تنتج سفنًا صغيرة غير صالحة. وقد رأينا أن زيادة سرعة السفن الألمانية كانت تتم على حساب تصفيحها. وكان المسؤولون يعزون أنفسهم بأن المدافع الألمانية من عيار 28 توازي مدافع السفن الانكليزية من عيار 30، مع أن المهم هو التفوق لا مجاراة العدو، وكان بإمكانهم تزويد السفن بمدافع من عيار 30.

وقد تركت القيادة البحرية المبادرة للعدو عندما عمدت إلى جعل سفنها صالحة للأغراض الدفاعية. وهكذا قدمت النصر للعدو على طبق من فضة، لأن النصر لا يتحقق إلا بالهجوم لا بالدفاع. وفي معركة سكاجراك كان النصر حليف الاسطول الانكليزي. فلو كان للسفن الألمانية حمولة سفن العدو وسلاحها وسرعتها لكان النصر حليفها بفضل المدافع من عيار 28. وقد كان على القيادة الألمانية أن تحذو حذو زميلتها اليابانية، فقد جابهت اليابان في بور ارثور كل سفينة روسية بسفينة تفوقها سرعة وحمولة وسلاحًا.

لقد حرصت الحكومة والقيادة على التقيد بتوجيهات البرلمان وآراءه، بل سمحت للبرلمانيين بالتدخل في الشئون العسكرية وفي تعيين القواد وتحديد حمولة السفن وسرعتها. وقد تدارك الجيش أمره وعزل نفسه عن

www.vnbu3.com

التيارات البرلمانية المضادة لمصلحة الوطن، وكان لودندورف أول من قاد الحملة ضد سياسة التقتير في الانفاق على التسلح. ولإن عجز لودندورف عن إحراز النصر، فالذنب يقع على البرلمان وعلى المستشار الضعيف هولويغ.

كان الجيش في طليعة المؤسسات التي توحي بالثقة والطمأنينة رغمًا عن الضعف والانحلال البادِيين على الدولة. فهو الدعامة المتينة للبنيان الصامد، ولا بد أن ينصب عليه حقد الحاقدين ودسائس الدساسين من الأعداء في الخارج وفي الداخل. وعندما اجتمع المتآمرون الدوليون في فرساي، اختلفوا على أشياء كثيرة ولكنهم أجمعوا على وجوب تصفية الجيش الألماني لأنه سياج الوطن وعنوان مجده. فلولا الجيش لما تردد العدو في تطبيق أحكام معاهدة فرساي التي تعني القضاء على شعبنا قضاءً تامًا. فنحن مدينين للجيش بكل شيء.

نعم كان الجيش يجسد معنى المسؤولية، فهو مدرسة الأمة الألمانية وقوتها المعنوية الهائلة .ومع أن هناك من يجهل هذه الحقيقة أو يتجاهلها، لكن العالم الخارجي قد أدركها وبنى سياسته على أساسها.

هناك دعامة أخرى إلى جانب الجيش، هي الموظفين. فقد كانت ألمانيا أرقى البلدان تنظيمًا وإدارة، فالموظف كان مثالاً للدقة والتجرد.

وكان يحلو للحساد أن يعيبوا على الموظف الألماني جهله إدارة المشاريع

www.vnbus.com

التجارية، لكن نجاح الدولة في استثمار السكك الحديدية قد برهن عن مقدرته .ومن ميزات جهاز الإدارة الألمانية أنه كان متمتعًا بالاستقلال التام عن الحكومات، فكان لا يتأثر الموظف بتغيير الوزارات ونزعاتها السياسية. ولكن وضع الموظف اليوم أصبح قلقًا غير مستقر. فالوظائف الآن ليست وقفًا على الأكفاء، فالجمهورية تريد أن تفسح المجال لأنصارها. وكل حزب يريد أن يخص أعضاءه وأنصاره بالوظائف الحساسة.

أما الرشوة في دوائر الدولة فكانت متفشية تفشي اليهود، فالرشوة واليهود صنوان لا يفترقان.

كان جهاز الإدارة السليم يرتكز على النظام الملكي والعسكري وعليها ترتكز الامبراطورية الجبارة، ومنها كانت تستمد الامبراطورية قوتها وهيبتها فتمارس سلطة الدولة ممارسة فعلية.

إن سلطة الدولة لا تقوم إلا على الثقة بالذين يمسكون بدفة الحكم، وهذه الثقة هي وليدة الاقتناع بوطنية السلطات وتجردها، كما تكون وليدة الارتياح العام إلى نظم الحكم وشرائعه والمباديء التي يسترشد بها.

والآن بعد أن أوضحت للقارئ أن الامبراطورية كانت تقوم على ثلاث دعائم قوية، أصبح من حقه أن يتساءل كيف كان الانهيار؟ وهل كانت عوامل التفسخ والانحلال قوية لدرجة أنها جرفت عوامل الاستقرار التي

www.ynbu3.com

كانت تجعل من ألمانيا دولة مثالية؟

إن عوامل التفسخ والانحلال لم تكن لتقوى على الاطاحة بالامبراطورية، ولكن هناك عاملاً رئيسيًا انضم إليها، وهذا العامل الهام هو عدم الاهتمام لمسألة الأجناس وأثرها في نمو الشعوب.

لقد تساءلت كيف تمكن أجدادنا من التغلب على الهزيمة ونتائجها؟ وهل نحن غير جديرين بالأمجاد التي تركها لنا الأجداد؟ وهل الدم الذي يجري في عروقنا غير الدم الذي كان يجري في عروقهم؟

ومن هنا كان اقتناعي أن جيلنا قد تلقى هذه الكارثة لأنه لم يكن يتحلى بفضائل الأجداد، وأن تحوله عن الطريق الذي رسمها له تاريخ الأمة الألمانية المجيد ليس وليد الصدف، بل هو نتيجة حتمية للنهج الذي اعتمده في سعيه لحفظ النوع واستمرار الجنس. وسنرى في الفصل القادم كيف أن الاختلاط في التناسل لا يكون في مصلحة العرق المتفوق. فالدم الآري الذي كان يجري في عروق أجدادنا كان صافيًا. فهل يمكننا التأكد بأن ما يجري في عروقنا نحن هو دم آري صرف؟؟

يجد القاريء الجواب لو دقق النظر في حالة ألمانيا قبل الحرب، وتتبع تطور الأحداث الداخلية. ألم يكن غريبًا أن يزداد عدد النواب الماركسيين بعد كل انتخاب. وأن يجدد الشعب الألماني الولاية لمن عمل على اضعاف الجيش والاسطول، وهل من المعقول أن يصافح الشعب الألماني اليد التي

www.vnbu3.com

عملت على إذلاله؟ ومتى كان الألماني، الألماني الحقيقي يضحي بمصلحة وطنه في سبيل مبدأ هوائي كالسلام العام الذي هو من ابتكار اليهود والماركسيين؟

إن انتفاضة الشعب عام 1914 قد حملته إليها غريزة حب البقاء، لأن سموم الماركسية قد شلت إرادته، فقام ليجابه أعداءه وهو ضعيف الإيمان بالنصر فانهزم. ولكنه استيقظ وقضى على مفعول المخدر. وجاءت الثورة لتقطع الطريق على عناصر البعث والنهضة. فلم يبقَ إلا العمل على هامش العهد الجديد، وأن تضع الأسس السليمة التي يجب أن تقوم عليها الدولة الجديدة. الدولة الجرمانية حيث يسود العنصر المتفوق، ولا يفسح مجال النشاط البناء إلا للآريين الحقيقيين.

لن يكون لليهودي وصنيعه الماركسي أي مكان في الدولة الجديدة والنظام الجديد.

www.ybus.com

الفصل الثالث – هتلر والأجناس

الحزب يبدأ العمل

انقسم الشعب الألماني عام 1918 إلى قسمين، الأول يضم طبقة المفكرين وهي طبقة ذات ميول قومية مبهمة إن لم تكن سطحية، لأنها كانت تمثل مصالح تتناسب والمصالح الملكية، مع أنها في الظاهر تبدو ملتصقة بالدولة. وقد حاولت هذه الطبقة الوصول إلى أهدافها بواسطة الأسلحة الفكرية، لكنها لم تنجح ضد خصمها القوي .وقد رأينا العدو يسيطر عليها بسهولة ويرغمها على الرضوخ للشروط التي تعمد بها إذلال شعبنا.

والقسم الآخر يضم الأغلبية الساحقة من العمال اليدويين الذين دخلوا في منظمات ذات ميول ماركسية متطرفة تهدف إلى القضاء على كل من يحاول الوقوف في طريقها ولا تعترف بالمصالح القومية ولا تقيم وزنًا للمثل العليا. وكان أخطر ما في هذه الحركات العمالية انضمام أغلبية الشعب إليها واشتمالها عناصر لا يمكن الاستغناء عنها لتحقيق الانعاش القومي .ذلك أن الشعب كان بحاجة ماسة إلى من ينفخ فيه روح الحماس وقوة الإرادة، لمقاومة الضغط الأجنبي المتزايد. فمحاولات الانعاش الشعبي يجب أن تعتمد على تلك العناصر التي لا يمكن الاستغناء عنها لتحقيق هذا

www.vinbu3.com

الانعاش .هذه العناصر التي انطوت تحت لواء الحركات العمالية المتنكرة لقوميتها. فكيف يمكن والحالة هذه النهوض بدولة حين تكون غالبية شعبها تدين بمباديء غير قومية؟ !لذلك كان على حركة حزبنا أن تتهيأ لبعث الدولة الألمانية وإعادة اعتبارها، وتعمل على اجتذاب الأغلبية إلى صفوفها، لأن هذه الأغلبية تؤلف العنصر الهام في الأمة وبدونه تذهب الجهود الرامية إلى تحرير شعبنا هباءً .

والبورجوازية لم تكن تشكل خطرًا على حركتنا القومية، فآفاقها الضيقة ونزعاتها القومية المضطربة كانت لا تسمح لها بالمقاومة إلا بطريقة سلبية كالطريقة التي ابتعتها في عهد بسمارك، منتظرة ساعة الخلاص.

لقد بدت مهمتنا شاقة، فالأغلبية الساحقة من المواطنين كانت مبهورة بزخرف الدعوات الماركسية، فتنكرت لأمتها وجنحت إلى العنف بتحريض من اليهود.
ولم يفتنا أن الماركسيين وحلفائهم قادرون عل منع الدولة الألمانية ذات النظام البرلماني من اتخاذ سياسة خارجية قومية، لأنهم قادرين على اظهارها بمظهر الدولة المفككة بحيث لا تجد من يحالفها أو يتعاون معها باعتبار أن أغلبية الشعب تعارض كل سياسة داخلية بناءة وكل خطوة خارجية حازمة. وقد أدركنا أن شعبنا الباسل لن يتمكن من الوصول إلى مركز الصدارة إلا بعد أن يصفي حساب الذين تسببوا في انهيار الدولة واستغلوا بعد ذلك الانهيار. فشهر تشرين الثاني سنة 1918 لم يكن بالخيانة العادية بل جريمة كبرى. نعم لن يتمكن شعبنا من تهيئة نفسه

www.vnbus.com

للمعركة الكبرى قبل أن يتخلص نهائياً من أعدائه الداخليين وعلى رأسهم اليهود. وقبل أن يتمكن من نزع الفكرة الماركسية من عقول الملايين من الألمان، وحقدهم على أمتهم.

ولإن يكن اجتذاب الأغلبية هو الهدف الأول لحركتنا، فقد أدركنا أن نشاطنا يجب أن يقوم على أسس ثابتة يقوم عليها صرح التعاون بين فئات الشباب الألماني، وقد اتبعنا خطة في عام 1919 تركزت على المباديء التالية:

أولاً: يجب التضحية بكل شيء في سبيل اجتذاب الأغلبية الساحقة إلى حركة الانعاش القومي. فالتنازلات الاقتصادية لمصلحة العمال لا تكفي ما لم يرافقها ادخال الطبقات الشعبية إلى الجسم الاجتماعي الذي هو جزء لا يتجزأ منه .فلو حافظت النقابات على مصالح العمال أثناء الحرب وانتزعت الموافقة عل مطالبهم ولو بالاضرابات، لما خسرت ألمانيا الحرب.

ثانيًا: لا يمكن إنشاء الأغلبية نشأة قومية إلا برفع مستواها الاجتماعي.

ثالثًا: إن اجتذاب الأغلبية إلى فكرة القومية لا يتم بأنصاف التدابير والجهود المنقطعة، فلا بد من مواصلة الجهود كي نجعل من شعبنا شعبًا قوميًا، ونعالج المشاكل بقوة وحزم، فالسم يعالج بالدواء المضاد له .لا بمكافحته بالتعاويذ.

إن الأغلبية الساحقة ليست من الأساتذة والدبلوماسيين، لذلك لا يمكن استمالتها بالنظريات العلمية، بل تؤخذ بالعواطف ففي هذا المضمار تكمن

www.ynbu3.com

انتفاضاتها من سلبية ايجابية. فالأغلبية لا تعمل إلا لمصلحة القوة ذات الإتجاه الصريح، ولا تعمل مطلقًا لمصلحة خطوة مترددة مذبذبة. على أن مشاعر الجمهور وعواطفه متقلبة وليست ثابتة، فما يراد إقامته على أساس ثابت يجب أن يرتكز على إيمان الشعب وتمسكه بالفكرة التي يراد حمله على اعتناقها. إذ أن الإيمان أقوى من صمود العلم، والمحبة أقوى على الاستمرار من التقدير، والبغض أطول نفسًا من النفور. وقد برهن لنا التاريخ أن الثورات الكبرى لم تحركها الأفكار العلمية أو الحرص على نشرها، بل حركها التعصب الأعمى لرأي أو عقيدة.

رابعًا: لا يمكن كسب ثقة الشعب إلا بعد تحطيم العقبات التي تقف في طريقه، مزيلين من طريقهم أعداء حركتهم. فالأغلبية تعتبر مهاجمة خصومها بطريقة عنيفة حقًا من حقوقها المقدسة. وترفض بالتالي التساهل أو التسامح، فهي تعتقد أن البقاء هو للأصلح والأقوى.

خامسًا: إن القضايا الكبرى في العصر الحديث هي نتيجة القضايا الأعمق جذورًا، ويأتي في طليعة هذه القضايا قضية المحافظة على سلامة العرق، وذلك بصون نقاوة دمه. فإن فسد دم عرق من الأعراق نتيجة الاختلاط، فسرعان ما تتفكك عرى الوحدة الروحية وتنهار قوة الابداع وصروح الحضارة .فمن يطمح إلى إخراج الشعب الألماني من مشاكله الحالية، عليه أن يطهر الصفوف من الذين أفسدوه، وعلى الأمة الألمانية أن تبادر إلى مواجهة المسألة العرقية متخذة كافة التدابير الحاسمة لإنهاء المشاكل التي يثيرها وجود اليهود بيننا.

www.ybu3.com

سادسًا: إن الأغلبية الساحقة من الشعب التي استمالتها الماركسية إلى جماعة الأمم يمكن انضمامها إلى الجماعة القومية دون أن تتخلى عن حقها في الدفاع عن مصالحها. علمًا أن اختلاف المصالح بين مختلف الهيئات لا يبرر قيام النزاع بين الطبقات، لأن هذه المصالح ليست إلا نتيجة طبيعية لتركيبنا الاقتصادي .وحين ندرك هذه الحقيقة نرى أن قيام تكتلات مهنية لا تتعارض مع قيام اتحاد شعبي، وبالتالي دولة قومية. وانضمام طبقة من الطبقات إلى الاتحاد الشعبي أو إلى الدولة لا يفرض تدني مستوى الطبقات العليا، بل يرفع من مستوى الطبقات الوضيعة. فالبرجوازية لم تنضم إلى الدولة لأن طبقة النبلاء أرادت أن تفتح أمامها المجال وتتنازل عن امتيازاتها، بل لأن البورجوازية قد استحقت وضعها الجديد بفضل نشاطها وثباتها. لذلك يمكن القول أن العامل الألماني لم يتوصل إلى أن يصبح قوة فاعلة إلا بعد أن نجح في رفع مستواه الاجتماعي ليوازن به مستوى سائر الطبقات.

أما تنكر العمال اليوم للفكرة القومية، ليس معناه أنهم منتظمين في هيئات تعاونية أو نقابات تقدم مصلحتهم على بقية المصالح. بل لأن المحرضين هم الذين نفخوا فيهم روح المغامرة الخطرة التي جعلت منهم أعداء الوطن والشعب وجعلتهم بالتالي أداة لتحقيق مصالح المغامرين الدوليين ومصالح اليهودية العالمية. فإذا تطهرت النقابات من المحرضين ووجهت توجيهًا قوميًا وشعبيًا صحيحًا تمكنت من أن تكوّن لنفسها مركزًا قويًا هامًا، باعتبارها أكثر الطبقات انتاجًا وحماية لتقاليد هذا الشعب العريق.

www.vnbus.com

وبالإضافة إلى هذا يجب تطهير صفوف أرباب العمل من الجشعين والأنانيين الذين تتعارض مفاهيمهم للعمل مع المبادئ التي يجب أن يقوم عليها التعاون بين أعضاء المجتمع الواحد ليعود هذا التعاون بالنفع على الجميع، فرب العمل يظن أن اندماج العامل في الجماعة الشعبية سيحرمه اقتصاديًا من الوسائل التي اعتاد على استخدامها للدفاع عن مصالحه ومحاربة مستخدميه. كذلك يعتقد رب العمل أن كل محاولة لحماية مصالح العمال الاقتصادية حتى ولو كانت حيوية، تشكل اعتداء على مصالح الجماعة. لذلك يجب مكافحة هذه النظرية الخطرة واعتبارها في رأس المهام التي سيضطلع بها الحزب الجديد.

إن العامل الذي يعتمد ارهاق رب العمل بمطالبه المستحيلة، ويلجأ بحق أمته. وكذلك صاحب العمل الذي لا هم له إلا جني الأرباح الطائلة إلى العنف كلما أراد أن يرهب مستخدميه، هذا العامل يعتبر مجرمًا وخائنًا الذي يجعل منه رجلاً متحجر العواطف، هذا الرجل يعتبر حليفًا ونصيرًا للمشاغبين والماركسيين.

إن نشاط حزبنا يجب أن يوجه إلى العمال بالدرجة الأولى، ليعمل على انقاذهم من حبائل المغامرين الدوليين، وبالتالي لرفع مستواهم الاجتماعي بحيث يصبحون عنصرًا شديد المراس، مشبعًا بالأفكار القومية لا تؤثر فيه الدعايات المضللة. ولن يرفض الحزب الجديد التعاون مع جميع العناصر القومية، ولكنه لن يعمل على اجتذاب طبقة البورجوازيين لأنها ستصبح عالة عليه، وبالتالي ربما ترتب على هذا التعاون نفور العمال منه.

www.vnbus3.com

سابعًا: يجب أن توجه دعاية الحزب إلى أحد المعسكرين الذين يؤلفان الأكثرية الساحقة. فالتفاوت في المستوى الفكري يجعل الدعاية المبسطة غير ذات قيمة بالنسبة إلى المعلمين. في حين أن الدعاية الرفيعة لن تلاقي تجاوبًا عند غير المتعلمين. وحتى طريقة التعبير لا يمكن أن تكون واحدة في التوجه إلى الطبقتين. فإذا اعتمدت الدعاية البساطة في التعبير ظلت الأوساط المتعلمة بعيدة عنها، وإذا تركزت على الدعاية الفكرية العالية لن تتمكن من إثارة عاطفة الأغلبية الشعبية.

لن نجد بين مئة خطيب عشرة يتمكنون من مخاطبة جمهور من الحدادين والكناسين مثلاً، وبنفس الوقت يتوجهوا لمخاطبة أساتذة الجامعة. ولا يغيب عن بالنا أن أحسن فكرة لا يمكن نشرها إلا بعد تبسيطها، ويتوقف نجاحها على الذين يتناقلوها أكثر مما يتوقف على مبلغها.

إن قوة انتشار الحركة الماركسية تقوم على وحدة الاسلوب في مخاطبة الجمهور الذي يتألف من طبقة معينة. وقد أدرك الماركسيون أن الأغلبية لا تتمكن إلا من استيعاب التعاليم السطحية، لذلك وضعوا تحت تصرفه كل ما هو ملائمًا لمستوى تفكيره. لذلك يجب على الحزب الجديد أن لا يرتفع بدعايته إلى المستوى العالي، أي فوق مستوى العبء. ففي حفل شعبي يكون الخطيب الذي يغزو قلوب الجمهور هو سيد الكلمة، لا الخطيب الذي يصفق له المتعلمون والمفكرون.

www.ynbu3.com

ثامنًا: إن نجاح حركة الاصلاح السياسي تعتمد على نجاح القوة السياسية، فالنجاح هو المقياس الوحيد لملاءمة فكرة ما لمصلحة المجموع. فالقول أن الحركة الثورية في ألمانيا قد نجحت لأن قادة الحركة قد تسلموا زمام الحكم، هو قول هراء، فالنجاح الوحيد الذي تحرزه الثورة هو في جعل الأمة أكثر ازدهارًا.

إن حركة ما تعتبر القوة السياسية هي شرط أساسي لنجاحها، يجب أن تعتمد على تأييد الأغلبية الساحقة من الشعب وأن تعلم أن الحركات الاصلاحية لا تقوم على سواعد رواد الأندية الأدبية وشاربي الشاي ولا على سواعد لاعبي الشطرنج من البورجوازيين.

تاسعًا: الحركة الجديدة في جوهرها وتنظيمها هي ضد النظام البرلماني فهي لا تعترف بسيطرة الأكثرية، هذا النظام الذي يجعل من رئيس الحكومة منفذًا لمشيئة الآخرين. إن حزبنا يحصر المسؤولية بالرجل الذي يتسلم مقدرات الدولة، وبشخص زعيم الحزب. وهذا المبدأ يجب تطبيقه كالتالي:

يعين زعيم الحزب رؤساء للفروع ويكون رئيس الفرع مسؤولاً عن فرعه، وتوضع اللجان الحزبية تحت تصرفه التي تنحصر مهمتها في درس المسائل التي يقدمها لها رئيس الفرع.
إن زعيم الحزب هو المسؤول الوحيد الذي يأخذ مركزه بالانتخاب، وتتولى انتخابه الجمعية العمومية. وهو مطلق الصلاحية نظرًا لجسامة مسؤولياته، فإذا خرق نظام الحزب أو فرط بمصلحة الحزب عملت الجمعية العمومية

www.ynbus.com

على اسقاطه وانتخبوا زعيمًا غيره.
هذا المبدأ يجب أن يطبق على الدولة نفسها، فعلى من يطمح إلى الزعامة أن يحمل إلى جانب السلطة غير المحدودة المسؤولية الكاملة.
إن التقدم والحضارة هما نتيجة جهود العبقرية، لا نتيجة ثرثرة الأكثرية.
فحزبنا يحارب النظام البرلماني لأنه يقصي النخبة عن الميدان ويفتح الطريق أمام الدجالين والخونة.

عاشرًا: يرفض الحزب الجديد أن يحدد موقفه من المسائل الخارجة عن نطاق عمله السياسي، فهو لا يهدف مثلاً إلى الاصلاح الديني لأن في كلتا الطائفتين الدينيتين دعائمًا قوية يرتكز عليها بقاء شعبنا. والأحزاب التي تنكر على الدين دوره كدعامة معنوية لاستخدامها في الأغراض السياسية، يجب على حركتنا محاربتها بشدة وعنف.
إن حركتنا تهدف إلى إعادة تنظيم شعبنا سياسيًا، ولكنها لن تتصدى لإقامة شكل معين من أشكال الحكم، فالملكية والجمهورية سيان في نظرها، والمهم هو تقرير المباديء الأساسية التي يجب أن تقوم عليها الدولة الجرمانية المثالية.

أما تنظيم الحركة داخليًا فهو متصل بالغاية التي وضعها الحزب والنظام الأنسب هو النظام الذي لا يقيم جهازًا من الوسطاء بين الزعيم وأنصاره فالتنظيم هو نقل فكرة معينة مختمرة في رأس رجل واحد إلى جمهور كبير من الناس. وعندي أن التنظيم هو شر لا بد منه، وهو فوق ذلك واسطة لا غاية.

www.vnbu3.com

وما دام العالم مفتقرًا إلى الأدمغة المفكرة التي تقود المخلوقات الآلية فالتنظيم مهمة سهلة بالنسبة إلى تجسيد فكرة ما، فالفكرة تشق طريقها مجتازة المراحل الآتية:

تخرج الفكرة من دماغ رجل واحد ليبشر بها فيجمع حوله عددًا من الأنصار. ونقل هذه الفكرة إلى الأنصار مباشرة هو الطريقة المثلى، ولكن هذا النقل سيصبح متعذرًا بعد ازدياد عدد هؤلاء الأنصار فيتطلب عندئذ الاستعانة بالوسطاء. هذا الشر الذي لا بد منه، وهذا ما يفرض التنظيم على أساس إنشاء شعب وخلايا محلية. بيد أنه لا يجوز التسرع في إنشاء هذه الخلايا قبل أن تترسخ سلطة مؤسس الحركة في المركز الرئيسي لحركته. فمثلاً سحر مكة وروما يعطي الإسلام والكاثوليك قوة منشأها الوحدة الداخلية وخضوع المؤمنين والأنصار للرجل الذي هو رمز لهذه الوحدة. ومن هنا وجب علينا إحاطة المكان الذي انطلقت منه الفكرة، بهالة من القدسية تجعله محجة للأنصار ورمزًا لوحدتهم.

يتضح مما أسلفنا أن الأسس التي يجب أن تقوم عليها حركتنا داخليًا هي الآتية:

1- حصر النشاط في مدينة واحدة هي ميونخ. حيث بها مجموعة كبيرة من الأنصار المتحمسين، ويصار إلى تأسيس مدرسة لتعليم رسل الحركة. وفي نفس الوقت يحاول الحزب فرض وجوده ومحو الوهم العالق في الأذهان باستحالة قيام حركة جديدة تقوى على التصدي في وجه الماركسية والتغلب عليها.

www.ynbus.com

-2لا يصار إلى إنشاء خلايا محلية ما لم تتثبت سلطة المركز في ميونخ.

-3لا يصار إلى إنشاء فروع إقليمية ما لم تتوفر الاثباتات الكافية على ولاء الأنصار للمركز الرئيسي وتقيدهم بتعلماته. علمًا أن إنشاء مراكز إقليمية يتوقف على عدد كافٍ من الأفراد الذين يعتمد عليهم بإدارة المراكز. ويمكن للحزب أن يجتذب أفرادًا أذكياء فينشئهم تنشئة قوية تؤهلهم للقيادة، إذا توفر لديه المال الكافي. وهذا ممكن بدفع رواتب الموظفين من صندوقه الخاص. أما إذا لم تسمح له ماليته باستخدام رؤساء موظفين، فإنه يعهد بإدارة الفروع إلى رجال لا يبخلون على الحزب بالجهد والوقت والمال.

وقبل إنشاء الفرع يجب تعيين رئيسه، فإذا تعذر ذلك يترك الفرع دون رئيس أو تترك المنطقة دون فرع، لأن الرئيس الفاشل كالقائد الأحمق الذي لا يحسن وضع وتنفيذ الخطط.

إن نجاح حركة سياسية لا يعتمد على تعصب الأنصار واعتبار حركتهم أنبل الحركات وأسماها. ومن يعتقد أن اندماج حركتين متماثلتين يضاعف من قوة الحركة فهو مخطيء. لأن هذا يزيد في النمو الخارجي، مع أن هذا الاندماج يلقي بذور ضعف داخلي تظهر أعراضه بسرعة. ذلك أنه مهما كان التشابه قريبًا فالشبه التام بينهما يبقى مستحيلاً. والطبيعة نفسها لا تسمح بالتزاوج بين جهازين مختلفين، فتعمد إلى استفزازهما إلى القتال ليبقى الأنسب والأقوى.

www.ynbus.com

فالتاريخ يعلمنا أن قوة الأحزاب تقوم على التعصب ضد كل ما هو خارج عنها، وأن أنصار الحزب حين يقتنعوا بصحة فكرتهم يتجندوا للدفاع عنها ولمنازلة خصومهم موقنين أن النصر حليفهم. ولا يزيدهم الاضطهاد إلا شدة وعزيمة. فالمسيحية لم تنتشر وتشتد بالتسويات بين تعاليمها وتعاليم بقية الديانات بل شقت طريقها بفضل تعصبها لرسالتها ودفاعها عنها دفاعًا مستميتًا.

ينبغي لحركتنا أن تعلم وتفهم الشعب الألماني أن اليهودي إذ يقول الحقيقة إنما يحاول تغطية خدعة كبرى، وأن كل افتراء يصدر عن اليهود هو كالشهادة بحسن السلوك. وكل ألمان يهاجمه اليهود هو واحد منا، وكل ألماني يبغضه اليهود هو أفضل أصدقائنا.

يجب على حركتنا أن تفهم أنصارها أن من يقرأ جريدة صباحية يهودية ولا يجد فيها حملة من الافتراء عليه. فمعني ذلك أنه أضاع نهاره السابق سدى، فلو أمضى نهاره السابق في مكافحة نشاط اليهود لوجد في صباح اليوم التالي حملة الإفتراء والتجريح في صحف الصباح.
حين يدرك أنصارنا هذا كله تصبح حركتنا قوية لا يمكن أن تُغلب.

لم يكترث الجمهور لعملنا الحزبي، وكان معذورًا إذ كان عددنا في البداية سبعة رجال لا حول لهم يهدفون إلى تحقيق ما عجزت عنه الأحزاب الكبيرة.

www.ynbu3.com

فكنا نجلس في اجتماعاتنا نحن السبعة حول طاولة عارية إلا من أقلامنا وأوراقنا، لنتناقش بضع ساعات في أمور تافهة كتنظيم دعوة أو اعداد بيان .وغني عن القول أن ميونخ كانت في شاغل عن الانتباه لأمر سبعة رجالة يعقدون اجتماعًا .وقد ظل هذا دأبنا إلى أن قررنا توسيع نطاق حركتنا بدعوة الناس لحضور اجتماعاتنا، فنظمنا اجتماعات دورية مرة أو مرتين في الشهر، وتولينا كتابة أوراق الدعوة وتوزيعها بأنفسنا. وحدث أن قمت بنفسي بتوزيع ثمانين بطاقة دعوة على أشخاص طالما امتدحوا حركتنا وكذلك فعل رفاقي فبلغ مجموع ما قمنا بتوزيعه حوالي خمسمائة وعشرين بطاقة ولكن النتيجة كانت مخيبة لآمالنا بشكل كبير، ففي الموعد المعين لم يكن في قاعة الاجتماع سوى الأعضاء السبعة.

بعد هذا الحادث طبعنا أوراق الدعوة على الآلة الناسخة، فضمنا نجاح الاجتماع الثاني فحضره حوالي الثلاثة عشر مواطنًا، وتدريجيًا ازداد الرقم، إلى أن وضعنا إعلانًا في إحدى الصحف المستقلة عن اجتماعنا السادس، وكانت النتيجة مشجعة إذ استأجرنا قاعة في "هوفبروس كيلر" تتسع لمئة وثلاثين شخصًا، وفي الوقت المحدد حضر الاجتماع حوالي المئة وأحد عشر شخصًا.

وقع الاختيار علي لأخطب في الجمهور، وكانت هذه أول مرة أخطب فيها فعارضني معارضة شديدة رئيس الحزب "الهر هارير" الذي كان يظن أني أصلح لكل شيء ما عدا الخطابة ولكن كان "هارير "مخطئًا، فقد اكتشف الجمهور أنني خطيبًا من الطراز الأول، وقد قوطع خطابي بالتصفيق الحاد

www.vnbus.com

عدة مرات. وعندما دعي المستمعون للتبرع لصندوق الحركة بلغت حماستهم حدها الأقصى فأقاموا على التبرع ودخل على الصندوق حوالي ثلاثمائة مارك، مما أتاح لنا طبع نشراتنا وتعاليمنا وأوراق الدعوة.

لم يقتصر نجاح الاجتماع على هذه الناحية، فقد كان من جملة الحاضرين بعض الذين حاربت معهم في الجبهة، فمضوا إلى رفاقهم ورفاقي يصفون انطباعاتهم عن الاستماع ويشرحوا لهم مباديء حركتنا وأهدافها، واستطاعوا استدراج الكثيرين لحضور الاجتماعات المقبلة، ولكنهم ما لبثوا أن انخرطوا في الحزب الجديد. وكانوا شباناً شجعاناً تشبعوا بروح النظام وأخذوا من الخدمة العسكرية شعاراً ممتازاً أن لا مستحيل في الحياة.

وما هي إلا أسابيع معدودة حتى بدأ الحزب يعطي نتائجه الطيبة. كان أول رئيس للحزب الهر هارير، صحفيًا لامعاً مثقفاً .ولكنه كان يجهل مخاطبة الجمهور وإثارة حماسته. وكذلك الهر دركسلر رئيس فرع ميونخ الذي لم يكن هو الآخر ذا موهبة خطابية. وقد لاحظت عليه الضعف والتردد، وقد علمت أنه لم يدخل الجندية قط، فاتضح لي سبب افتقاره إلى معالم الرجولة الحقة، فهو لم يدخل المدرسة الوحيدة التي تنشيء رجالاً يثقون بأنفسهم ثقة لا حد لها.

كان هارير ودركسلر ضعيفي الثقة بأنفسهم وبحركتنا الجديدة. خاصة بما يتعلق بقوة الحركة على سحق كل من يقف في طريق نموها وانتشارها. إن هذه المهمة لجديرة برجال صهرتهم الجندية وحولتهم إلى رجال أصلب

www.vnbus.com

وأقوى. وأنا كنت جنديًا قد نسيت في الجبهة شيئًا اسمه "خطر "أو "مستحيل" لأن حركتنا كانت عبارة عن مجازفة خطرة، فقد كان الماركسيون أسياد الموقف يهاجمون كل من يعقد اجتماعات شبيهة باجتماعاتهم، فيعتدون على الحاضرين ويزعموا أن المجتمعين قد تحرشوا بهم واستفزوهم. فقد كانوا يكافحون كل اجتماع يجتذب الجمهور، وكان هذا موقفهم تجاه حزبنا الفتي، الذي بدا اجتماعاته بدعوة العمال والمستخدمين. وعندما أطلقنا على حركتنا اسم "حزب العمال الألماني" بدأ الماركسيون بمهاجمتنا كما بدأ على أنصارنا أنهم خائفون ويفضلون التهرب من الاصطدام مع الحمر خوفًا من الهزيمة، وكنت أنا أعارض هذا التخاذل وأطلب منهم قبول التحدي والعمل على استفزاز خصومنا ومحاربتهم بسلاحه، فسلاح الإرهاب لا يحارب إلا بالإرهاب.

وأخيرًا فازت نظريتي فعقدنا الجمعية العمومية الأولى بعد أن تهيأنا لمواجهة كل الاحتمالات وكان النجاح حليفنا، فعقدنا عدة اجتماعات متتالية .وقد تكلمت في أحد الاجتماعات لمدة ساعة كاملة بحضور حشد كبير من المستمعين. وقد حاولت بعض العناصر التشويش وإشاعة الفوضى إلا أن رفاقنا تصدوا لهم وأوسعوهم ضربًا وطردوهم من قاعة الاجتماع .

وتوالت اجتماعاتنا وازدادت استعداداتنا لصد الاعتداءات بنفس العنف الذي يستعمله الماركسيين، وكان إيماننا قويًا وتعصبنا للفكرة التي بدأت تفتح طريقها قادرًا على نقل الجبال من أماكنها.

www.vnbus.com

انصرفنا بعد ذلك إلى وضع النظام الداخلي للحزب وقد حدثت بعض المناقشات حول القضايا الشكلية كتسمية الحزب مثلاً. بينما انصرفت خلال هذا التنظيم إلى مقامة فكرة قبول بعض الأعضاء الذين يطلقون على أنفسهم اسم "الألمان الشعبيين ."فهؤلاء طبقة من المواطنين لا يعادل عملها الايجابي الصفر، ويتجاوز ادعاؤها الفارغ كل حد. وقد أوضحت لرفاقي أن حركتنا الفتية لن تكسب شيئًا من انضمام رجال مقدرتهم الوحيدة في أنهم أمضوا ثلاثين أو أربعين سنة في خدمة فكرة من الأفكار. إذ أن رجلاً أمضى أربعين عامًا في خدمة ما يعتبره فكرة دون أن يؤمن لها النجاح المطلوب، أو على الأقل دون أن يحول دون انتصار خصومها، هذا الرجل لن يُرجى منه أي خير لحركتنا الناشئة. والأمر من ذلك أن هؤلاء "المناضلين" العريقين يرفضون الانضمام كأعضاء عاديين، بل يطلبون مراكز عالية تتناسب و"جهادهم" الطويل.

وأوضحت لزملائي أيضًا أن هذا النوع من السياسيين الخائبين لا يريدون من انضمامهم إلى حركتنا خدمة هذه الحركة، بل يريدون تنفيذ نظريتهم الخاصة بواسطتنا. ولإن يكن بعضهم يتصرف عن جهل مطبق إلا أن بعضهم الآخر يتصرف بناءً على خطة مرسومة ولهدف معين. ومن بين هذا البعض نجد فئة تريد محاربة اليهود على الصعيد الديني بينما تدعي أن الحركات الاصلاحية في البلاد يجب أن تقوم على أساس عنصري محض.

www.vnbus.com

لذلك قررت إبعاد هؤلاء "العنصريين "فاقترحت تسمية الحزب الجديد "حزب العمال الألماني الوطني الاشتراكي" وهكذا كان، فابتعد عنا محترفي السياسة و"المناضلين" الذين يريدون القتال وسلاحهم القلم والورقة .وقد قام هؤلاء بحملة ضدنا في الصحف المأجورة واليهودية منتقدين شعارنا القائل: "سنرد بعنف على من يحاول ارهابنا بعنف" وادعوا أننا جماعة تمجد القوة ولا تؤمن بالفكر والقيم الروحية.

في بداية العام 1920 قررت أن أهيء إلى اجتماع كبير رغمًا عن الاعتراضات الكثيرة من قبل بعض المتنفذين في الحزب وكانت الصحف الحمراء قد بدأت تهتم بنا وتحمل علينا بعنف، ونحن بدورنا بدأنا نحضر اجتماعات الماركسيين للتشويش عليهم، وكان كل واحد منا يأخذ نصيبه من الضرب واللكم، وقد جعلنا هذا الاسلوب حديث المجتمعات، وتأكدنا أن "أصدقاءنا" الحمر سيحضرون أول اجتماع كبير لنا ليعاملونا بالمثل.

وبالرغم من تأكدي أن خصومنا سيتغلبون علينا في ميدان اللكم والضرب، لكني كنت على ثقة تامة بأن ثباتنا وقوة عزيمتنا ستقوي من معنويات حزبنا في الخارج، فالشعب تبهره القوة والأعمال البطولية .وقد عارض رئيس الحزب هذا الاسلوب فقدم استقالته من رئاسة الحزب فحل محله دركسلر الذي سلمني مهام الشئون الدعائية، فقررت يوم 24 شباط 1920 كيوم الاجتماع الحاسم .وأشرفت بنفسي على طبع وتوزيع النشرات الاعلانية، كما حرصت أن تتضمن المباديء الأساسية للحركة.

www.vnbus.com

وما إن توزعت النشرات حتى صمم الماركسيون وحزب الشعب البافاري على محاربة الحزب الجديد، وكان الحزب هذا مهيمنًا على شئون الحكم في البلد زاعمًا أنه ينهج منهجًا قوميًا صحيحًا. وقد رأيناه يستخدم قوة البوليس لمصادرة نشراتنا من أيدي ألوف العمال الذين ضللتهم الدعاية الماركسية وجعلتهم أعداء للوطن والقومية.

وقد شذ من الحكام حلفاء الماركسيين إثنان فقط هما: أرنست بوهلر مدير البوليس، ومستشاره الدكتور فريك. هان الموظفان الكبيران اللذان كانا ألمانيين قبل أن يكونا موظفين.

في مساء الرابع والعشرين من شباط، دخل على قاعة الاجتماع ما لا يقل عن الألفي شخص. وكان نصفهم على الأقل من الشيوعيين والفضوليين الذين حضروا للتشويش، وكانت النتيجة عكس ما قرروه.

عندما بدأت خطابي شرع أعداء الحركة في التشويش فقاطعوني عدة مرات، ولكن تصدي بعض الزملاء من ذوي العضلات المفتولة فرض الهدوء نسبيًا، وبعد نصف ساعة طغى التصفيق على الهتافات العدائية. وعندما شرحت للحضور منهج الحزب طغت أصوات الاستحسان والموافقة على صراخات الاستنكار. وعندما تلوت على الجمهور المقترحات الخمسة والعشرين أقرها الأعضاء بالاجماع وفي جو حماسي رائع. وهكذا خطبت في مواطنين جمعهم إيمان جديد وإرادة جديدة. وعلمت وأنا أرى الناس تتدافع إلى الخارج بعد انتهاء الاجتماع أن حركتنا ستنتشر بسرعة خاطفة

www.vrbus.com

في أوساط الشعب الألماني.

إن جمرة قد اتقدت في تلك الأمسية من شباط، ومن لهيبها سيخرج السيف الذي يعيد إلى سيغفريد الجرماني حريته وإلى الأمة الألمانية الحياة.

لقد تراءى لي موكب البعث وهو يتحرك، وخيل إلي أن إله الإنتقام قد هب ليمحي عار التاسع من تشرين الثاني عام 1918.
وتابعت حركتنا سيرها.

في اجتماع 24 شباط وضعت حركتنا المخططات والمباديء التي ستضع حدًا لفوضى الآراء ذات الأهداف الغير قومية. والآن بقي أن تنتقل حركتنا إلى خطوات جديدة حاسمة توقظ الأحزاب البورجوازية من سباتها العميق.

فعندما تعمد الأحزاب البورجوازية إلى تغيير منهج ما، يكون هاجسها التودد إلى الناخبين. وبمجرد أن يشعر محترفو السياسة أن الشعب بدأ يبرم بهم حتى يسارع كل حزب يمثلوه إلى بث الخبراء والمنجمين ليبحثوا عن رغبات الشعب ومطالبه. وعلى ضوء التقارير التي يرفعها الخبراء تعمد الأحزاب إلى تغيير مناهجها أو تعديلها وحتى إلى تبديل مبادئها إكرامًا للناخبين. كما لا يخفى عليها أن تضمن في مبادئها الوعود الخلابة للفلاح بحماية انتاجه، كما تعد الموظفين بزيادة رواتبهم. وما تلبث هذه الوعود أن تتبخر بعد المعركة الانتخابية، ويرجع "ممثلو الأمة" إلى عاداتهم السابقة في خدمة مصالحهم الخاصة فقط.

www.vnbu3.com

هذه المهزلة التي تتكرر كل أربع سنوات، ليست الوحيدة، فإننا نجد بين المواطنين من يؤمن أن في مقدرة الأحزاب البورجوازية منازلة الأحزاب الماركسية المنظمة وهزمها بواسطة الديمقراطية الغربية، وقد فاتهم أن الديمقراطيين لن يفكروا في منازلة الماركسيين، بل يتعانوا معهم إذا كان في ذلك مصلحة لهم .وفي اليوم الذي تبنى فيه البرلمانيون البورجوازيون فكرة الأخذ بمبدأ الأكثرية البرلمانية لضمان الاستقرار المنشود، أي في اليوم الذي تبنوا مفهوم الغرب للديمقراطية، عمد الماركسيون واليهود إلى الإستيلاء على الحكم عن طريق الأكثرية، وذلك بفضل الديمقراطية الغربية، ومن ثم تخلوا عن هذه الديمقراطية التي أوصلتهم إلى سدة الحكم. فالماركسية تماشي الديمقراطية حين تكون عاجزة عن فرض نفسها وتحقيق أغراضها بطرقها الخاصة، وهي اليوم تستعمل هذه الطريقة في تحالفها مع الأحزاب البورجوازية. ولكنها يوم أن تشعر أن الأكثرية البرلمانية قد ناصبت الشيوعية العداء، فسرعان ما يتخلوا عن الديمقراطية ويتوجهون إلى البروليتاريا وينتقل الصراع من البرلمان إلى الشارع، ولا يصعب على الماركسية في هذه الحال، تصفية حساب الديمقراطية في أسرع وقت. وقد أظهرت الحوادث عام **1918** عقم كل محاولة لوقف الغزو اليهودي بالطرق التي تستعملها الديمقراطية الغربية.

لذلك وجب علينا إفهام أنصارنا وشعبنا أننا حزب ذو عقيدة وأننا نأبى على الحركة أن تنقلب إلى جمعية تضم الانتهازيين والوصوليين وقد ركزنا على إيضاح مفهوم الحزب للدولة، لأن فكرة الدولة قد شوهتها تعاليم كارل

www.ybu3.com

ماركس والنظريات المتدفقة من الخارج.

اقترح بعض الرفاق على وجوب وضع العنصرية كواحدة من الأسس التي يقوم عليها الحزب .ولكني اعترضت على الاقتراح لأن العنصرية بمفهومها الشائع لا تزال تعبيرًا مطاطًا يدل على أكثر من مدلول. ولا تصلح بالتالي أساسًا للعمل النضالي المشترك إلا بعد أن نحدد معناها بوضوح .واستطعت بعد ذلك اقناع زملائي بجعل العنصرية قاعدة رئيسية بعد أن نتفق على تحديد مهمة الدولة أولاً وتحديد مدلول العنصرية نفسها كمفهوم فلسفي ثانيًا.

إن بعض المفاهيم الفلسفية الشائعة تعزو إلى الدولة إمكانية الإبداع والتوازن، كما أن الدولة هي وليدة ضرورات اقتصادية وسياسية. فهذا المبدأ يؤدي حتمًا إلى تجاهل القوى البدائية المرتبطة بالعنصر، وإلى الإقلال من قيمة الفرد. وبديهي أن يخطيء من ينكر وجود فروق بين الأجناس من ناحية امكانيتها للإبداع ووضع الأسس الحضارية، لأن تساوي الأجناس يؤدي إلى تساوي الشعوب والأفراد .وقد تبنى ماركس هذا المبدأ ليجعله عقيدة سياسية، ثم نمقه وهذبه وجعله منسجمًا مع مصلحة أبناء جلدته اليهود.

إن الماركسية هي خلاصة المفهوم السياسي والفلسفي للدولة، لذلك لا يتمكن من مما نسميه "العالم البورجوازي" أن يقف في طريقها أو يقلل من نشاطها، لأن العالم البورجوازي هذا قد تشبع هو أيضًا بتلك السموم التي

www.ynbu3.com

ينفثها كارل ماركس واليهودية العالمية. والمباديء التي يعتنقها تختلف اختلافًا بسيطًا عن المفهوم الماركسي. إذن فالبورجوازيون ماركسيون، ولكنهم يقولون بامكانية سيطرة جماعة معينة من الناس "البورجوازية" بينما تهدف الماركسية إلى إخضاع العالم كله لسيطرة اليهود.

أما المفهوم العنصري للدولة، كما حدده حزبنا فيما بعد، فإنه يقيم وزنًا للأعراق البدائية ويعتبر الدولة حاملة رسالة الحفاظ على كيان الأجناس البشرية. ولا تعترف العنصرية بتساوي الأجناس، مما يجعلها تؤيد بقاء الأصلح والأقوى وبالتالي خضوع الضعيف لهما، وذلك انسجامًا مع المبدأ الارستقراطي للطبيعة .

والعنصرية بتنكرها لمساواة الأعراق تنكر أيضًا تساوي قيم الافراد، أي أنها تنكر حق البقاء لكل عنصر ضعيف وضيع يحاول الاختلاط بالعناصر المتفوقة واضعافها، لأن عالمًا تجتاحه سلالة من الزنوج لا بد له من الاضمحلال بعد أن تتشوه فيه مفاهيم الحق والجمال.

www.ybus.com

في الدولة

هناك ثلاث نظريات في الدولة:

أولاً: النظرية القائلة أن الدولة ليست إلا تجمع أناس بمحض إرادتهم وخضوعهم لسلطة حكومة من الحكومات.

وأصحاب هذه النظرية يؤلفون الكثرة. فهم ينادون بمدأ الشرعية ولا يقيمون أي اعتبار للشعب، فيكفي أن تقوم الدولة لتصبح مقدسة وقد يبلغ بهم الحرص على حماية نظريتهم السخيفة هذه إلى دعوة الناس للتعبد للدولة وسلطتها. فالدولة حسب قولهم، لم توجد لخدمة الناس، لذلك وجب على الناس أن يعبدوا سلطتها، هذه السلطة التي ينفذها أناس مثلهم. وقد جعلوا المبرر الوحيد لوجود سلطة الدولة، الحفاظ على النظام والاستقرار. وقد مثل هذه النظرية في ألمانيا جماعة المحافظين، مع الأسف.

ثانيًا: نظرية الذين يقولون أن وجود الدولة يخضع لاستيفاء شروط معينة. فالخضوع لسلطة واحدة يجب أن يتبعه وجود لغة واحدة للسكان .ويقولون أن سلطة الدولة ليست المبرر الوحيد لوجودها، إذ يجب عليها أن تؤمن للمواطنين الازدهار والرفاهية، لذلك لا يطلب إحاطة الدولة بهذه القدسية طالما هي موجودة. وخلاصة القول أن أصحاب هذه النظرية يريدون من الدولة أن تعطي الحياة الاقتصادية شكلاً يتلاءم مع مصلحة الفرد. وهذه النظرية ممثلة عندنا في البورجوازية المتوسطة.

www.vnbus.com

ثالثًا: نظرية الذين يرون في الدولة وسيلة لبلوغ أهداف استعمارية أو توسعية غير واضحة المعالم. فهؤلاء يطالبون بإنشاء دولة شعبية متحدة العناصر، ذات لغة مشتركة، باعتبار أن وحدة اللغة تساعد على توجيه الفكرة القومية توجيهًا معينًا.

في القرن الماضي توسع بعض المفكرين في تفسير حركة الجرمانية، ولا أزال أذكر الجدال الذي قام بين صحيفتين في فيينا حول أهداف الحركة الجرمانية وامكاناتها. فقد ذهبت إحداهما إلى القول أنه من الممكن "جرمنة" الصقالبة من أبناء البلاد. ولكن الخطأ في هذا القول هو أن "الجرمنة" يقصد بها جمع الجرمان في دولة واحدة. أما الجرمنة المقصود بها التوسع، فهذه تطبق على الارض وحدها لا على الناس .ألا يبدو سخيفًا من يقول أن بالإمكان "جرمنة" صيني أو زنجي بمجرد تعليمه اللغة الألمانية؟ إن هذا النوع من الجرمنة، أي عن طريق اللغة، يعطي نتائج عكسية لأنها تقضي باختلاط الألمان الحقيقيين بالأجناس الوضيعة التي ليس لها من خصائص الجرمانية إلا اللغة، فالقومية أو بالأحرى فالعرق هو مسألة دم لا مسألة لغة.

ينبغي لنا في هذه المناسبة أن نغبط أنفسنا على فشل "الجرمنة" التي أراد جوزيف الثاني تطبيقها في النمسا. فلو نجح في مخططه لأدى ذلك إلى بقاء النمسا على قيد الحياة. وبالتالي أدت هذه المحاولة إلى انخفاض مستوى الأمة الألمانية لتخالطها مع أقوام هم أدنى منها بمراحل.

www.vnbus.com

لم ننسَ ما كان من أمر اليهود الذين هاجروا إلى أميركا على أنهم ألمان باعتبارهم يتكلمون اللغة الألمانية، فقد حسبهم الأميركيون علينا، ولما ضاقت ذرعًا بهم شملت تدابيرها الألمان الحقيقيين.

إن النظريات الثلاث التي شرحناها تتجاهل أهمية العرق كأساس ترتكز عليه القوى المبدعة والقيم، كما تغفل الدور الهام الذي تقوم به الدولة في حفظ العرق ورفع شأنه. فالبورجوازية بتجاهلها أهمية العرق ودور الدولة فيه فتحت الطريق أمام العقائد والمذاهب السياسية وأهمها المذهب الذي ينكر وجود الدولة. لذلك فالمعركة التي تقودها ضد الماركسية هي معركة خاسرة حتمًا، لأن خصمها اكتشف نقاط الضعف وراح يحاربها بالسلاح الذي وضعته في متناوله.

لذا وجب على الحزب الجديد، ما دام يعمل على صعيد المفاهيم العنصرية، أن يبدأ بتعريف الدولة وتحديد مبررات وجودها. كما أن المبدأ الأساسي الذي يجب أن يعرفه هو أن الدولة وسيلة لا غاية، واعتبارها سببًا من مسببات الحضارة، دون أن تكون المبعث الوحيد لهذه الحضارة. ذلك أنه لا يمكن أن نتصور حضارة قابلة للاستمرار دون وجود العرق المتفوق القادر على خلقها ودعمها. ويمكن القول أن وجود الدول لا ينتفي معه احتمال زوال الجنس البشري في حال زوال من يمثل العرق المتفوق، مؤسس الحضارة المثلى، لأن زوال هذا يفضي حتمًا إلى تجريد البشرية من طاقة المقاومة والاحتمال وموهبة الخلق.

www.ynbus.com

لنفترض أن زلزالاً ضرب الأرض ومن فيها، وقضى على معالم الحضارة كلها. ولكن صدف أن نجت بضعة كائنات بشرية تنتمي إلى عرق متفوق، فإنها لا تلبث أن تستأنف الخلق والإبداع وتنشيء حضارة جديدة تردع بالأرض إلى وضعها السابق. ولدينا من أمثلة التاريخ ما يؤكد أن الدول التي وضع أسسها عرق غير مؤهل، تعجز عن الصمود في وجه الزعازع.

لذلك فالشرط الأساسي لبقاء الشعب المتفوق هو بقاء العرق ذو المواهب المبدعة، لا بقاء الدولة. فالمواهب تكمن في الأعراق بانتظار الفرص المناسبة لتبرز، وهكذا كانت حالة الجرمان قبل النصرانية. فالقول أن الجرمان كانوا برابرة لا يستند إلى الحقيقة والواقع، لأن المناخ في المناطق الشمالية التي سكنها الجرمان فرض عليهم نوعًا معينًا من الحياة كان سببًا في تأخير نمو طاقتهم المبدعة، ولو أنهم سكنوا المناطق الجنوبية ووجدوا العتاد البشري الذي تقدمه الأعراق الوضيعة لتمكنوا بفضل طاقة الإبداع الكامنة فيهم من إيجاد حضارة تفوق حضارة الإغريق.

يستخلص مما ذكرنا المبدأ الأساسي التالي:
الدولة هي الواسطة لبلوغ الغاية والغاية هي الحفاظ على جماعة من الناس ينتمون روحيًا وماديًا إلى عنصر واحد. ويترتب على الدولة بالإضافة إلى توفير أسباب النمو لهذه الجماعة، أن تعني بالمحافظة على مميزات العرق لأن بقاء هذه المميزات ضروري لتنمية المواهب الكامنة في هذا العرق.

www.vnbus.com

الدولة العنصرية التي نطالب بها ستكون مهمتها الأولى السهر على بقاء ممثلي العرق البدائي الذي قدم للعالم حضارة من أسمى الحضارات وأجدرها بالبقاء ونحن كآريين نفهم الدولة أنها جهاز يوفر للشعب مقومات وجوده وينمي مواهبه. أما الدولة التي يريدون فرضها علينا هي ثمرة أفدح الأخطاء البشرية. ولا نجهل أن خصومنا جادين في عرقلة مساعينا. ولكن لن نلتفت لما يقولونه لجيلنا هذا، لأننا نقصد بحركتنا هذه الأجيال المقبلة التي ستباركها وستقدر أهميتها العظى.

***

وعلى ضوء هذه المبادئ والنظريات التي قدمناها يمكننا نحن الوطنيين الاشتراكيين أن نجعل من الدولة ما يفترض بها أن تكون، وأن نقيس مدى نفعها من خلال مصلحة البشرية كلها.

إن الدولة تمثل شكلاً أو هيكلاً، فإذا أصبح الشعب ذا شأن كبير في ميدان العلم والفن والحرب وغيره، فهذا التقدم لا يصلح مقياسًا لنفع الدولة التي تحضنه. لا شك أن شعبًا ذو مواهب هو أقدر على الظهور بمظهر لائق من قبيلة زنجية مثلاً. ومع ذلك فربما تكون الدولة التي ينشئها هذا الشعب أسوأ حالاً من القبيلة الزنجية. فالدولة تقضي على العرق الذي أوجد الحضارة إذا سمحت أو كانت السبب في زوال مواهبه المبدعة وقدرته على الخلق.

وعلى هذا الأساس تقدر قيمة الدولة بمقدار النفع الذي عادت به على

www.ybu3.com

شعبها. فعندما نأتي على ذكر رسالة الدولة، فهذه الرسالة هي التي يتطلع بها الشعب، أما هي فمهمتها الأساسية تنحصر في توفير أسباب النمو لهذا الشعب. فإذا قلنا نحن الألمان: كيف يجب أن تكون الدولة التي تحتاج إليها أمتنا؟ تعين علينا توضيح نقطتين:

من هم المواطنين الذين يجب أن تضمهم الدولة؟ وما هي الأهداف التي يجب أن تعمل لها؟

أسارع إلى القول أن شعبنا الألماني لم يبقَ له العرق المتجانس أساسًا، فالاندفاع الذي تم بين العناصر البدائية لم ينبثق عنه عرقًا جديدًا.

فالاختلاطات المتتالية التي سببت تعكير دم شعبنا، سببت بالتالي انحلال الشعب الألماني روحيًا وجسديًا. ذلك أن حدود وطننا المفتوحة، والتماس المستمر مع أجهزة سياسية غير ألمانية على طول مناطق الحدود، ودخول الدم الأجنبي، فهذا التجدد المستمر لم يتح الوقت الكافي لتحقيق الاندماج الكامل الذي يجب أن ينبثق عنه عرق جديد. وترتب على هذا النقص انعدام التجانس بين السكان.

إن ما يسمى عندنا" الفردية المبالغ بها" هي نتيجة التجاور بين السكان دون التوصل إلى الاندماج فيما بينهم. وربما كان لهذا التجاور المتحفظ بعض المزايا أثناء السلم، ولكنه يصبح وبالاً على الأمة أثناء الحرب. ولو تكاتف الشعب الألماني في تاريخه الطويل لاستطاع الرايخ الألماني أن يسود العالم.

www.ynbus.com

وقد ترتب على افتقار شعبنا إلى اللحمة التي يوفرها الدم الواحد. قيام عواصم للعديد من صغار الأمراء الألمان وحرمان الشعب من حقوقه الأساسية كسيد، وفي أيامنا الحاضرة يعاني شعبنا الأمرين من جراء هذا النقص. ولكن ما كان سبب شقائنا قد يصبح مصدر خير وبركة في المستقبل. لأن فقدان هذه اللحمة بين العناصر البدائية التي كانت تؤلف عرقنا، يقابله لحسن الحظ بقاء دم فريق من الألمان سليمًا طاهرًا، مما يشكل ضمانة لمستقبل شعبنا. وزيادة في الايضاح أقول: إن الامتزاج الكامل بين العناصر البدائية سيؤدي، لو تم، إلى نشوء شعب قادر على التطور، ولكن الحضارة لن تظهر بالمظهر الذي يمكن أن تظهره على أيدي العناصر الممثلة للعرق المتفوق، الذي ابتدع الحضارة. لذلك ولحسن الحظ بقي في شعبنا قوى احتياطية تتمثل بأبناء العنصر الجرماني قوى حافظت على نقاء دمها وطابعها المميز. مؤلفة نواة صالحة لأجيال تتمكن من النهوض بشعبنا ودفعه إلى عجلة التقدم.

إن عهد الجمود والاتكال واللامبالاة، سيتبعه عهد النضال الشاق والكفاح المرير. فالنصلة التي لا تستعمل يتآكلها الصدأ، ومن يطلب النصر عليه بالهجوم لأنه الطريق المؤدي للنصر.

إن الصعاب التي تنتظرنا في كفاحنا من أجل نشر مفهومنا الجديد للدولة، تكمن في عدم وجود مناضلين يثبتون معنا في الكفاح الطويل. فمجتمعنا هرم لا هم له إلا الإبقاء على الحالة الراهنة. لكن الصعاب والعقبات ستقوي من همتنا لأنها تبرز عظمة الرسالة التي نحملها. وستكون الدعوة

www.ybus3.com

إلى الحرب الإشارة التي يترقبها المناضلون. وليعلم الوطنيون الاشتراكيون أنه متى اتحد عدد من الرجال متصفين بصفات العزم والقوة واضعين أمام أعينهم هدفًا معينا، فلن يلبث هؤلاء الرجال أن يمسكوا بزمام القيادة. فالتاريخ صنعته النخبة، وهي الأقلية ففي كل مرة كانت الأقلية العددية مجسدة للإرادة والجرأة.

والطبيعة بدورها تتدخل لتصحح نتائج الاختلاطات التي تعكر نقاء الأجناس البشرية. فهي إما ترحم المخضرمين ولا سيما السلالات الأولى حتى الجيل الخامس. وتجردها من المميزات التي كانت للعنصر البدائي المتفوق الذي كان شريكًا في الاختلاط. ناهيك بما يترتب على انعدام وحدة الدم من تضارب بين الارادات والقوى الحيوية. ففي الظروف الحرجة يتخذ الإنسان ذو الدم الصافي قرارات حكيمة ومنسجمة. أما المخضرم فإنه يفقد توازنه والسيطرة على أعصابه، وينتهي به الأمر إلى الخضوع للإنسان ذي الدم الصافي، ويكون في الغالب عرضة للزوال السريع.

وفي بعض الحالات تضطر بعض الشعوب المتفوقة إلى الاختلاط بشعوب وضيعة. ولكن ما إن تزول هذه الحالات الاضطرارية حتى تميل العناصر السليمة إلى الاختلاط بشكل ترضى عنه الطبيعة: الاختلاط بين الدم الواحد، فلا تلبث سلالات المخضرمين أن تقف على الهامش، فتصبح مقاومتها مستحيلة.

لذلك وجب على الدولة الجرمانية أن تمنع كل اختلاط جديد. وعدم الالتفات

www.vnbus.com

إلى الدعوة اليهودية الماركسية التي تطلب إزالة الحواجز الفاصلة بين الأجناس، وعدم الالتفات إلى احتجاج أنصار الاختلاط على المساس بحقوق الإنسان المقدسة. فالإنسان له حق مقدس واحد هو السهر على بقاء دمه نقيًا طاهرًا، ليتمكن من صون الحضارة ومقوماتها. وعلى الدولة العنصرية أن ترفع مستوى الزواج لتعيد إليه قدسيته كمؤسسة تهدف إلى خلق كائنات على صورة الله ومثاله، مسوخ تشبه القرود.

إن البورجوازيين يعترضون علينا لأننا نطلب منع التزاوج بين المصابين بالأمراض الزهرية، وذوي العاهات. ولكنهم في نفس الوقت لا يمانعون في استعمال الوسائل التي يستعملها الأصحاب لمنع الحمل ولإتلاف الزرع البشري.

والأغرب من ذلك أن الكنيستين الكاثوليكية واللوثرية تتذمران من موجة الإلحاد العاتية، ولكنهما لا تعملان لوقف هذه الموجة، بل تلتفتان إلى الزنوج محاولة افهامهما أشياء لا يمكنهم فهمها. فلو تركت الكنيستان الزنوج وشأنهم لتفهما الشعب أنه من الأفضل عند الله أن يقوم الضعفاء وذوي العاهات بتبني الأيتام بدلاً من خلق أولاد مرضى وضعفاء يكونون عالة عليهم وعلى أمتهم.

يتحتم على الدولة العنصرية أن تسد هذا النقص بجعل العرق محور حياة الجماعة. ساهرة على بقائه نقيًا. وعلى أن تجعل من الولد أثمن ما في حوزة الشعب. وأن تحصر حق التناسل بالأصحاء فقط. بل يجب أن تعلن

www.ynbus.com

أن التزاوج بين المرضى وذوي العاهات هو فعل منكر، وأن أنبل عمل يقدمونه هو عدم التناسل. وفي نفس الوقت يجب على الدولة أن تعاقب كل من يتمتع بصحة جيدة ويستعمل طريقة منع الحمل.

نعم. يجب على الدولة أن تتدخل، فتدخلها هذا هو لمصلحة الشعب ومستقبله. وعليها أن تستخدم الطب والعلم لمنع تناسل غير المستحقين وغير المؤهلين، فتجردهم من القدرة على التناسل. كما ينبغي عليها أن تضع حدًا لتحديد النسل بين العائلات الفقيرة التي تخشى تعدد الأولاد وذلك بتشجيع الأقوياء منهم عمليًا. فيطمئن المتزوجون إلى مستقبل أولادهم دون هموم وهواجس.

ألا تعتبر جريمة بحق المجتمع أن ينقل المريض أمراضه إلى ذريته. فعلى الدولة أن تفهم الفرد أن كون الإنسان مريضًا ليس عيبًا، إنما هو محنة تثير الشفقة، ولكنه يتحول إلى جريمة يوم يورث المريض داءه أو عاهته إلى مخلوق آخر بريء لا ذنب له. فالبشرية تتمكن من إنقاذ نفسها إن اعتمدت هذا الاسلوب لبضعة قرون.

يمكن للدولة خلق عرق سليم خال من العاهات. إن هي أخضعت الأقاليم المكتسبة حديثًا لشروط مدروسة، وأنشأت لجانًا خاصة تقوم بالترخيص للأفراد بإنشاء مستعمرات ضمن هذه الاقاليم. ولا يعطي الترخيص إلا لمن يثبت انتماؤه إلى العرق المؤسس للحضارة كما يثبت بقاء دمه نقيًا طاهرًا . وبذلك تقوم المستعمرات النموذجية على سواعد أشخاص يمثلون العنصر

www.vnbus.com

المتفوق ويتحلون بصفاته الفريدة، ويؤلفون النواة الصالحة لشعب جديد.

يبقى على الدولة العنصرية توفير المناخ لنمو الجيل الجديد، وعندها يكف الناس عن الاهتمام بتحسين نسل الخيل والكلاب، لينصرفوا إلى تحسين النوع البشري. وبذلك يبلغ المجتمع حدًا من الرقي لا تحتاج معه الدولة إلى فرض الرقابة على عملية التناسل، فغير الصالحين سيمتنعون من أنفسهم، والصالحون يضطلعون بها بإخلاص تام.

يبدو هذا للقطيع البورجوازي حلمًا صعب التحقيق. لأنه ليس هناك من شاغل لهم إلا الاهتمام بالمكاسب، وليس لهم من معبود سوى المال.

ونقول لهم حين يقلبوا شفاههم مرتابين لهذه النتيجة نقول أليس هناك آلاف من الرجال والنساء نذروا أنفسهم للشرائع الدينية، ممتنعين عن التناسل فارضين على أنفسهم التبتل؟ فلمَ لا يكون هذا ممكنًا بالنسبة للمواطنين الغير صالحين للتناسل حين يحل محل تعاليم الكنسية ووصاياها إنذارًا توجهه الدولة إليهم تفرض عليهم وضع حد للخطيئة الأصلية الحقيقية، وأن يمجدوا الخالق القادر بسلالات تكون على صورته ومثاله؟

***

متى علمنا أن أول واجب للدولة هي المحافظة على أفضل عناصر العرق وتوفير المناخ الملائم لنموه، يتبين لنا أن مهمة الدولة التالية تكون في تربية النشئ تربية تتيح له في المستقبل المساهمة في رفع مستوى

www.ybu3.com

الجماعة. وغني عن القول أن أول أهداف التربية يجب أن تكون في المحافظة على صحة الأفراد. ففي معظم الحالات نجد أن العقل السليم في الجسم السليم. والدولة العنصرية التي تدرك هذه الحقيقة ستعمل على إعطاء الأمة أجسامًا سليمة قوية أما التعليم وحشو الأدمغة فيأتي بالمرتبة الثانية.

يجب على الدولة العنصرية أن تنطلق من المبدأ التالي :
الرجل السليم الجسم القوي الإرادة، المقدام، هو العضو النافع للمجتمع. والرجل المحدود الثقافة أنفع من رجل ذي عاهة مهما بلغت مواهبه العقلية. كما أن شعبًا من العلماء الضعفاء جسديًا، الضعفاء الإرادة، المبشرين بسلام مهبط للعزيمة. إن شعبًا هذه صفاته يعجز حتى عن توفير ما يكفل بقاءه على هذه الأرض وفي الجهاد الذي يحتمه علينا القدر لن ينهزم القوي جسديًا، وإنما الخاسر المهزوم هو الذي يستمد معرفته وعلومه من قرارات غير مجدية، بل بعيدة عن روح الرجولة وينفذها بطريقة تثير الشفقة.

يجب أن يكون هناك انسجامًا بين الماديات والمعنويات، فالجسم المصاب بمرض الجذام مثلاً، لن يعيد إليه الإشعاع الفكري جماله ونضارته.

إن العناية بتقوية الأجسام هي من أولى خصائص الدولة العنصرية، وذلك لارتباطها الوثيق بصيانة العرق أو الشعب الذي تمثله هذه الدولة وتحميه. لذلك يجب على الدولة الاعتناء بالنشىء الجديد وتقوية أجسادهم منذ

www.vbus.com

الطفولة، وذلك بإرشاد الأمهات بطريقة عملية لينموا ويترعرعوا في أحسن الحالات. كما يتوجب على المدارس الاعتناء بالرياضة البدنية، لأن التمارين الرياضية تنشط الجسم والعقل معًا، ولا يجوز أن يمر يوم دون أن يمارس الفتى مختلف أنواع الرياضة لمدة ساعتين يوميًا على الأقل.

وهناك رياضة هامة هي الملاكمة، هذا النوع من الرياضة الذي يعتبره "العصريون "نوعًا من البربرية. فالملاكمة تنمي روح الكفاح وتروض العقل على التصميم والتنفيذ بسرعة خاطفة، كما تجعل الجسم صلبًا دون أن يفقد للعرق أو الدم المشترك أي تأثير في ذلك. وهذا يعني أنه يعتبر ألمانيا الوليد الزنجي الذي جاء أبواه إلى ألمانيا من إحدى المستعمرات ليقيم إقامة مؤقتة أو دائمة، كذلك يعتبر مواطنين أبناء اليهود والبولونيين والأمريكيين والآسيويين الذين يولدون في حالات مماثلة.

وهناك طريقة أخرى للحصول على الجنسية الألمانية. وجعلها بالتالي في متناول كل من توفرت في شروط معينة .

يشترط في طالب الجنسية أن لا يكون لصًا أو تاجر رقيق. ولا يكون ذو ماضٍ سياسي يؤهله لتمثيل دور بارز. كما يشترط فيه أن يكون قادرًا على العمل بحيث لا يصبح عالة على الدولة. أما المسألة العنصرية فإنها تبقى بمعزل عن هذا الموضوع. ولا يقام لها أي اعتبار. وهذا لا يكلف طالب الجنسية أي عناء .فهو يتقدم بطلب خطي إلى السلطات الإدارية فتدرسه وترفعه إلى رئيس الدولة في ملاحظاتها التي تكون عادة لمصلحة الطالب. وبعد أيام تصله الموافقة بأنه أصبح مواطنًا ألمانيًا. وهذا العمل السحري

www.ybu3.com

يقوم به رئيس الدولة، فالذي تعجز عنه الآلهة يحققه موظف بجرة قلم. وهكذا ينقلب المغولي بين يوم وآخر إلى مواطن ألماني مئة بالمئة. أما العنصر الذي ينتمي إليه طالب الجنسية، وأما حالته الصحية فمسألتان لا تثيران اهتمام السلطات، فالمهم أن يعول الألماني الجديد نفسه ولا يشكل خطرًا على الدولة.

وفي الدولة بوضعها الحالي يتمتع المواطن الألماني والأجنبي بنفس الحقوق والامتيازات، فلهما الحق بشغل الوظائف والالتحاق بالجندية وانتخاب أعضاء البرلمان والمجالس الإقليمية. قد يقول المدافعون عن هذا الوضع الغريب أن الديمقراطية تعترف للأجنبي بهذه الحقوق، ولكني أقدم لهؤلاء مثالاً حيًا هي الولايات المتحدة الأمريكية التي كانت ترحب بالأجانب ولكنها اليوم عادت ووضعت العراقيل في طريقهم، رافضة قبول المرضى والملونين. فهذا التصرف يجعلها تتمشى ونظرتنا العنصرية إلى الدولة.

إن السكان في الدولة العنصرية ثلاث فئات: مواطنون ورعايا وأجانب، والفرق الوحيد بين الفئتين الثانية والثالثة هو أن الأجانب هم رعايا دولة أخرى، وتعتبر الدولة العنصرية جميع الذين يولدون على أرضها كرعايا لها، ولكن الرعوية وحدها لا تخول صاحبها حق المساهمة في النشاط السياسي ولا تؤهله لشغل وظيفة عامة. فكل ألماني هو أحد رعايا الدولة العنصرية الألمانية، لكنه لا يكتسب صفة مواطن ألماني إلا بعد أن تصهره المدرسة والجيش في البوتقة القومية. فالجيش هو المدرسة التي تخرج المواطنين ولكن لا تمنحهم صفة المواطن الألماني إلا بعد أن تتحقق من

www.vnbus.com

أنهم موفورو الصحة ومسلكهم الخلقي خالي من أي عيب.

وشهادة المواطن هي أعظم وثيقة تمنح للفرد في الدولة العنصرية، فبواسطتها يتمكن من ممارسة حقوق المواطن والاستمتاع بالامتيازات الخاصة بهذا اللقب. فالمواطن يحتفظ بهذا اللقب ما دام أهلاً له. أما الخائن والمجرم والضعيف فهؤلاء لن يتمتعوا بهذا اللقب، بل يعودوا إلى صف الغير ناضجين قوميًا، ويلقبون برعايا الدولة العنصرية.
أما الفتاة الألمانية فلا تمنح لقب مواطنة إلا بعد أن تتزوج كما تستثني الفتيات اللواتي تضطرهن ظروفهم إلى العمل وتحصيل قوتهن اليومي.

إن نظرة الدولة العنصرية إلى الفرد تجرها حتمًا إلى محاربة المبدأ الماركسي القائل بالمساواة بين البشر. ولكن التباين الذي نلمسه بين الشعوب والأعراق قائم بين العناصر ذات الدم الواحد، لذلك وجب على الدولة العنصرية أن تخص بعنايتها في المجتمع الواحد العناصر المتفوقة، علمًا أن اكتشاف هذه العناصر لا يكلفها جهدًا يذكر، ولكن الجهد كل الجهد ينحصر في غربلة المتفوقين لاختيار الصفوة التي يجب أن تتولى مهمة القيادة. ففي الدولة العنصرية لن يصار إلى اختيار القادة بالطريقة المتبعة، أي بمبدأ الأكثرية الذي يفسح المجال أمام النكرات للتلاعب بمقدرات الأمة كما يجعل من الأكفاء كمية مهملة، لن يؤخذ بهذا المبدأ في دولة تطمح إلى تزعم العالم المتمدن. فالشخصية القمية تفرض نفسها بفضل الجهود التي تقوم بها الدولة قاطعة الطريقة أمام الانتهازيين وتجار السياسة المحترفين.

www.vnbus.com

يعتقد بعض الذين يدرسون حركتنا، أن الفرق الوحيد الذي يجب أن يكون بين الدولة العنصرية الوطنية الاشتراكية وبقية الدول هو الفرق المادي المتجلي في التنظيم الاقتصادي، حيث تعني الدولة العنصرية بإقامة توازن عادل بين الثروة والحرمان، أو بتحسين مستوى الطبقات الكادحة أو بجعل الأجور متناسبة مع قيمة الانتاج. إن من ينتظر من حركتنا هذه الانجازات فقط ليست لديه فكرة صحيحة عن أهدافنا. لذلك لا يحق لهم توجيه النقد إليها، فالشعب الذي يكتفي بتنظيم أموره بهذه السطحية لن يكون مؤهلاً لقيادة الموكب البشري الآخذ بأسباب النمو والحضارة. لن تكتفي حركتنا بهذه الاصلاحات السطحية، وهذا يجعل الدولة مؤسسة ذات ظروف مؤاتية لنمو شخصية الفرد.

ولكي نوضح أهداف حركتنا على حقيقتها لا بد من الرجوع إلى التاريخ مرة أخرى، لأن هذا يوضح دور الفرد في تكوين الحضارات.

إن الخطوة الأولى التي ميزت بين الإنسان والحيوان كانت تلك التي خطاها الإنسان نحو الاختراع، وقد كان جهده منصبًا على استنباط الحيل والمداورات التي تمكنه من حماية نفسه.

إن هذه الاستنباطات يفسرها البعض بأنها غرائز صدرت عن جماعة وجدت نفسها في مأزق فاخترعت الوسائل التي تنقذها، لكن المدققين يجدون العكس تمامًا، فالنشاط الإنساني في شتى مظاهره يبدأ من الفرد. وكل تطور لمصلحة الكائنات الحية وضع أسسه رجل فرد، فكانت بادرته

www.vnbus.com

إشارة الانطلاق للآخرين. لذلك فالقول أن الاختراعات البدائية هي من صنع الجماعات يناقض الواقع حتى بالنسبة إلى الحيوانات التي تلجأ بغريزتها إلى الحيلة. فالحركة التي يقوم بها قطيع من الماعز ليتفادى خطر حيوان مفترس هي تقليد لحركة أتاها رأس من الماعز ثم يتبعه القطيع بعد ذلك .

ولا شك أن الحيل الأولى التي اخترعها البشر لدفع الخطر عنهم كانت من تدبير شخص أو أفراد موهوبين، وتبعت بعد ذلك الجماعة خطاه .ولما شرع الفرد الموهوب باختراع آلات الدفاع عن النفس اقتبست الجماعة اختراعه البدائي وأفادت البشر بعد آلاف السنين من اختراعات تفتقت عنها عبقرية أفراد موهوبين.

وابتكر الإنسان بعد ذلك طرقًا جديدة مكنته من السيطرة على كائنات حية كان يخافها، وما لبث أن استخدم هذه الكائنات في أغراضه المختلفة. ولما اطمأن إلى وضعه ككائن متفوق برزت مواهبه الخلاقة فصقل الحجر وروض الحيوان الشرس واخترع السلاح الحاد ثم السلاح الناري، وهكذا. وقد كانت جميع هذه الاختراعات ثمرة نشاط أفراد موهوبين، فالسواد لا يبدع شيئًا وكذلك الكثرة، لأن التصميم والتنظيم لا يصدرا عن جماعة.

***

إن وضع الزمام في الأيدي القادرة أصبح في أيامنا منهجًا عامًا في جميع الميادين ما عدا الحياة السياسية، حيث لا تزال الأكثرية تسود وتطغى، وحيث نجح اليهود في القضاء على تأثير الشخصية ليحلوا محله تأثير

www.vnbus.com

الأكثرية وهكذا زال المبدأ الآري الخلاق. هذا المبدأ الذي يجعل من الصفوة دعامة المجتمع والعنصر الفعال القادر على الخلق والإبداع، وساد المبدأ اليهودي الهدام الذي يهدف إلى إفساد الشعوب والأعراق وهدم الحضارات الحقة. وقد أخذت الماركسية بهذا المبدأ اليهودي، لأنه يزيل النخبة ويترك السيطرة للأكثرية. من هنا عطف الماركسية واليهودية على النظام البرلماني، ومن هنا عطفها الكاذب على الطبقة العاملة وتحريضها النقابات على الشغب كاسلوب من أساليب المطالبة بالحقوق، وقد نجم عن تسخير الاقتصاد القومي لأهواء الأكثرية. فقدان الحوافز الشخصية التي كانت بالنسبة للاقتصاد كالمهماز الذي يدفع به إلى الأمام.

ليست حركتنا حزبًا منافسًا للماركسية، لذلك يجب أن نوضح الفروقات الكبيرة بين مفهومنا العنصري وبين نظرة الماركسيين إلى الدولة والأمة والعرق. فالدولة العنصرية الوطنية الاشتراكية تضع مسألة العرق في موضعها اللائق. وتقدر أهمية الشخصية وتجعل منها أساسًا لكل عمل إيجابي بناء. فإذا أفضى سوء الحظ بأن تهمل حركتنا هذا المبدأ الأساسي وأن تسلم بالأمر الواقع فتقر مبدأ الأكثرية، فلن يكون حزبنا أكثر من جماعة لا هم لها إلا منافسة الماركسيين، فيفقد بالتالي مبرر وجوده كحركة تقوم على عقيدة فلسفية.

لن يكون في الدولة العنصرية الوطنية الاشتراكية شيء اسمه قرار الأكثرية، بل سيكون فيها رؤساء ومسؤولون. وتسترد كلمة "مشورة" معناها الحقيقي، فيكون لدى الرئيس مستشارين ولكن القرارات تصدر عنه

www.vnbus3.com

وحده. والدولة العنصرية تحسن صنعًا حين تأخذ بالمبدأ الذي كان الجيش البروسي يطبقه أمام رؤسائه. أما البرلمانات فتنقلب إلى مجالس استشارية لا أكثر. وستكون لهذه المؤسسات بعض النشاطات كمدرسة لتنشئة الرؤساء.

يمكننا إعطاء فكرة عن دور البرلمان في الدولة العنصرية الوطنية الاشتراكية:

لن يكون الرايخ مجالس تمثيلية تمارس صلاحية اتخاذ القرارات الملزمة للحكومة، بل سيكون له مجالس استشارية تقوم بما يوكل إليها الرئيس القيام به ولن تسمح الدولة العنصرية بأن يبت في القضايا الحيوية أشخاص غير مؤهلين لهذه المهمات. لذلك سيكون هناك مجالس سياسية وأخرى تعاونية، ولكي تتمكن هذه المجالس من التعاون، سيستحدث مجلس شيوخ يكون بمثابة الحكم. بيد أنه لن يكون هناك أي نوع من التصويت في تلك المجالس. فهمي مؤسسات مهمتها العمل، وليست آلات للتصويت.

***

إن اقتصار مهمة المجالس التمثيلية على الدروس وتقديم المشورة، لا تعتبر بدعة طلع بها حزبنا. فمبدأ الأكثرية لم يؤخذ إلا قليلاً منذ أن كان في العالم حكومات ودول، وقد كان الأخذ به سببًا من أسباب حرب الشعوب وانهيار الدول، والتحول الذي ندعوا إليه لا يتم حالما تتخذ التدابير

www.ynbus.com

النظرية، بل يلزم لتحقيقه بذل جهود جبارة وطويلة. وهذا ما أخذ على عاتقه القيام به حزبنا الوطني الاشتراكي.

www.ybu3.com

الفصل الرابع – المفهوم الفلسفي والتنظيم

لن يكون للأحزاب السياسية الموجودة أي شأن في العمل البناء الذي تقوم به حركتنا، إذ كيف يمكن لهذه الأحزاب أن تعمل على هدم الأوضاع الراهنة وهي مدينة بوجودها لفساد هذه الأوضاع؟ ولا يخفى أن موجهي الأحزاب الحالية هم اليهود، فإذا لم نجد من يضع حدًا لتلاعب الشعب المختار بمقدارت شعبنا فلن يمر وقت طويل حتى تتحقق نبوءة اليهود القائلة:

"سيخضع اليهودي شعوب الأرض جميعها ويصبح سيدها المطاع."

كيف يرجى من الأحزاب البورجوازية وأحزاب اليسار أن تقاوم الذين يوجهونها ويسخرونها لخدمة أغراضهم ومصالحهم؟

إن مهمتنا الأولى ليست إقامة هيكل الدولة العنصرية بل القضاء على الدولة اليهودية، فقد علمتنا الأحداث أن الصعوبة ليست في إقامة وضع جديد، بل في فسح المجال لهذا الوضع. وهكذا يترتب علينا أن نبدأ كفاحنا بالعمل على إزالة الوضع الراهن.

على كل عقيدة جديدة أن تبدأ كفاحها بشهر سلاح النقد في وجه خصومها.

www.vbu3.com

واليوم نسمع من يقول من العنصريين المزعومين أنهم يترفعون عن النقد لينصرفوا إلى العمل البناء .إن هؤلاء يجهلون تاريخ عصرهم الذي يعيشون فيه، فالماركسية التي تسعى إلى فرض سيطرة اليهود العالمية قد بدأت عملها بالنقد وظل هذا شأنها لمدة خمسة وسبعين عامًا، وكان نقدها هدامًا طويل الأمد حتى تقوضت دعائم الدول الهرمة، وعند ذلك بدأوا بعملهم البناء المزعوم .فقد أدرك الماركسيون أن حالة ما لا يمكن أن تزول بمجرد ظهور حالة جديدة. فالحالتين تستمران وتتعايشان، ولا تلبث العقيدة الفلسفية المزعومة أن تعيش مقفلة في الإطار الحزبي الضيق، ذلك أن التسامح لم يكن من شيم أصحاب العقائد، فالعقيدة تأبى أن تكون حزبًا من جملة الأحزاب الموجودة. فهمي تطمح بفرض مبادئها ولا تسمح ببقاء أي أثر للنظام القديم.

كان هذا شأن الديانات ولم يزل. فالنصرانية لم تكتف بإقامة هيكل الدين، بل عمدت أولاً إلى هدم الهياكل الوثنية. فلولا تعصبها الأعمى لما كان هذا الإيمان الكبير الذي قدم للنصرانية العديد من الشهداء.

قد يعترض معترض بقوله أن التعصب والأنانية هما نقيصتان عالقتان باليهود وأنه ليس جديرًا بنا أن نحذوا حذوهم وأن نستعمل نفس سلاحهم ولكن مع أن هذا الاعتراض صحيح، يجب علينا أن نحارب العقيدة القائمة على التعصب والأنانية بنفس الطرق والأسلحة التي تستعملها، لأن الإرهاب لا يسحقه إلا إرهاب، ولإن فضلت الأحزاب السياسية حل المشاكل القائمة بالتسويات فالمذاهب الفلسفية لا تساوم ولا تتنازل عن حقها.

www.vnbus.com

فالأحزاب تتعاون في بعض الأحيان مع أحزاب مناوئة لها، أما المذاهب الفلسفية فلا تمد يدها إلى المناوئين وتعتبر نفسها معصومة عن الخطأ.

والأحزاب السياسية تبدأ نشاطها بالاستيلاء على السلطة والانفراد بالتوجيه وتحاول أن تعتنق مذهبًا فلسفيًا معينًا، ولا تلبث أن تبتعد عن المعتقدات الفلسفية رغبة منها في مسايرة الجماهير التي ترغب الانضمام إلى الحركات السياسية، فتلتف حولها جماهير من الرجال الضعيفي النفوس التي لا تقوى على الكفاح. ولا تلبث أن تنادي بالتعاون الإيجابي مع المؤسسات القائمة طمعًا بالحصول على نصيب بسيط من الغنيمة، فيقف كفاحها عند هذا الحد. أما المذهب الفلسفي فيرفض التعاون مع مذهب آخر، لأنه يعتبر نفسه ملزمًا بمحاربة كل المذاهب القائمة حتى يتمكن من إزالتها جميعًا.

ولكسب النصر النهائي يجب على الحزب أن يوجد قيادة عليا حكيمة بعيدة النظر، ورجالاً تسيرهم العاطفة ويخضعون لهذه القيادة خضوعًا أعمى. فالسرية التي تضم مئتي رجل كلهم أذكياء وأكفاء هي أصعب قيادة سرية التي تضم مئة وتسعين رجلاً عاديًا وعشرة رجال أذكياء يمسكون زمام القيادة. أما الحزب الاشتراكي الديمقراطي فقد أدرك هذه الحقيقة وعمل على ضوئها. فقد بسط هذا الحزب سيطرته على ممثلي الطبقات الشعبية المسرحين من الجيش الذي دربهم على النظام والطاعة، فأخذهم الحزب وأخضعهم لنظام لا يقل قوة وانضباط عن الجيش فأصبح العامل الألماني جنديًا في الحزب، كما رجل الفكر اليهودي ضابطًا أو قائدًا.

www.ybu3.com

بينما كان البورجوازيون يتشدقون بأن أنصارهم يؤلفون نخبة المتعلمين، ويعيرون الماركسية بأنها تضم الجماهير الجاهلة، كان العقلاء من المواطنين يردون نجاح الماركسية إلى هذا العامل بالذات .إذ أن الأحزاب البورجوازية ضمت جماعات من أهل الفكر والوجاهة لا يتقيدون بنظام أو يعترفون بالانضباط. أما الأحزاب الماركسية فقد ضمت قوة من المناضلين الانضباطيين كانت تطيع قادتها اليهود طاعة عمياء.

انطلاقًا من فكرة الاعتماد على الجماهير المكافحة التي لا تهاب الكفاح، فقد عمدت إلى استخلاص خمس وعشرين مبدأ من منهاج الحزب ووضعتها في متناول أبناء الشعب. لأن هذه المبادئ تعطي صورة واضحة عن أحداث حركتنا كما تصلح في الوقت نفسه لتكون قانون إيمان للمنطوين تحت لوائها. وعلى الحزب أن يقدس هذه المباديء وبالتالي عليه أن يمتنع عن تعديلها أو تغييرها ما دامت حركتنا لم تبلغ بعد أهدافها الكاملة.

www.ynbu3.com

تأثير الكلمة

كان النجاح الذي لاقاه اجتماعنا في 24 شباط 1920 مشجعًا لنا على عقد اجتماعات شعبية، وبعد أن كنا ننظم اجتماعًا واحدًا كل شهر أصبحنا ندعوا إلى الاجتماعات الحاشدة كل أسبوع .وقد فاق نجاح اجتماعاتنا الأسبوعية كل تقدير، إذ أصبح عدد المستمعين كبيرًا جدًا .وقد تطرق خطباؤنا إلى القضايا التي تشغل الأذهان بعد أن وضحوا مبادئ الحزب، وقد بدأوا بتعيين المسؤولين الحقيقيين عن الحرب ونتائجها مبرزين مساوئ معاهدة فرساي، هاتين القضيتين التين انفرد حزبنا بإثارتهما في ذلك الوقت، لأن مجرد البحث فيهما كان يعتبر خيانة للجمهورية وتعلقًا بالرجعية والملكية .فكان الذين ضللتهم الماركسية يتصايحون حين يسمعوا أحدنا يتعرض لمعاهدة فرساي فيقاطعوه قائلين" :ومعاهدة برست ليتوفسك ."وقد صادفتنا صعوبات كبيرة في بادئ الأمر حين حاولنا إفهام الجمهور بأن معاهدة فرساي قد ألحقت العار بألمانيا. وقد ترتب علينا إزاء موقف الجمهور المتصلب أما أن نتوقف عن الحملة مراعاة لهم أو نستمر بها ولو كلفنا هذا ابتعاد الشعب عن حزبنا.

كانت مصارحة الشعب بالحقائق في ذلك الوقت مغامرة كبرى. فالحزب الذي يقاوم التيار يغامر بشعبيته. وقد رأينا البورجوازية تتجنب مقامة الأكثرية مفضلة أن تتركهم في ضلالهم. أما نحن فقد زادنا عناد الجمهور

www.vnbus.com

تصلبًا ورغبة في الكفاح، ومضينا في طريقنا هادفين إلى إزالة الأوهام العالقة في أذهان الشعب عن معاهدات الصلح وخاصة معاهدة فرساي. فيولي حركتنا ثقته ولا يبخل عليها بالتشجيع. كنا متأكدين أن شعبنا سيدرك الحقائق وسيستحيل بغضه لنا حبًا.

كانت مهمتنا صعبة جدًا، فقد كنا نعلم أننا نتوجه إلى أناس تشبعت عقولهم بأفكار وآراء مناقضة لآراءنا .وكان عليَّ أن أقف أمام الجماهير وألقي فيهم خطابًا لمدة ساعة أو ساعتين محاولاً نسف الأسس التي قامت عليها أفكارهم ومن ثم أحاول اقناعهم بصحة مبادئنا وأدعوهم إلى اعتناقها.

لقد دخلنا المعركة ونحن مصممين على كشف الحقائق المجردة. وأدركت من خلال الاجتماعات الأولى أنه يجب علينا أن نبادر إلى انتزاع السلاح من يد خصمنا .فقد لاحظت أن اعتراضات الماركسيين تكاد تكون نفسها في كل اجتماع، فصرت أفند الاعتراضات المحتمل سوقها قبل أن أبدأ بعض الموضوع، وبذلك قطعت الطريق أمام المشاغبين الذين حفظوا الدور الذي لقنه لهم أسيادهم اليهود. وبفضل هذه الطريقة استطعت أن أكسب تأييد بعض أصحاب النيات الحسنة.

وانسجامًا مع هذه الخطة بدأت أشرح أحكام معاهدة برست ليتوفسك في معرض حملتي على معاهدة فرساي، لأنني اكتشفت أن الناقمين على المعاهدة الأولى لا يعرفون عنها شيئًا، فقد أدخلت الدعاية الماركسية في عقولهم أن ألمانيا فرضت تلك المعاهدة على الشعب الروسي لذلك كانت

www.ynbu3.com

معاهدة فرساي كرد فعل لما ارتكبه الألمان بحق الروس. لقد كان علي أن أدحض المزاعم الماركسية بإجراء مقارنة بين المعاهدتين، وقد وفقت إلى عرض مساوئ معاهدة فرساي ومحاسن معاهدة برست ليتوفسك، في محاضرة ألقيتها واستغرقت ساعتين. ومن ثم ألقيت عدة محاضرات في هذا الموضوع ضاربًا على الوتر نفسه وكانت مكافأتي هي تحرير ألوف المواطنين من الأوهام التي أدخلتها الدعايات الماركسية في رؤوسهم.

ونتيجة لهذه الاجتماعات ملكت ناصية الكلام وأتقنت فن الخطابة واذكاء حماس الجماهير. ولم نكتفِ بالخطب كوسيلة لتنوير الشعب، بل عمدنا إلى إصدار النشرات وإذاعة البيانات التي ضممنا بها رأي الحزب في معاهدة فرساي وفي العوامل التي أدت إلى نشوب الحرب. لكن مجهودنا الأكبر كان مركزًا على الخطب والمحاضرات اقتناعًا منا بأن الكلمة هي التي تثير حماسة الجمهور وتترك في نفسه أكبر الأثر.

منذ أسابيع أثيرت هذه المسألة في الصحف المحلية، فسخرت صحف البورجوازيين من الرأي بأن الكلمة لها التأثير الكبير. ولم أستغرب هذا الموقف من جانب طبقة تعيش في برجها العاجي وتحاول أن تتصل بالجمهور بواسطة أقلام مفكريها البعيدين عن عامة الشعب بعد الأرض عن السماء.

لا تعلم البورجوازية أن الخطيب يكيف كلماته حسبما يقرأه على وجوه مستمعيه، ولكن الكاتب يدفع إلى جمهور لا يعرفه بكتابات ربما تصادف

www.ybu3.com

هوى لدى القراء أو ربما لا تكون منسجمة مع آراء قرائه فيعزفون عنها. ولا ننسى أن أبناء الشعب ينفرون بطبيعتهم من قراءة ما لا يتفق وآراءهم أو مع ما كانوا يتوقعونه. أما إذا أراد الكاتب أن يستدرج الشعب إلى الوقوف على رأيه المكتوب فعليه باعتماد النشرات والبيانات القصيرة كوسيلة لنشر رأيه، لأن الجمهور يقرأ ما يقدمه له بهذه الطريقة بدافع الفضول لا أكثر. وما يمكن كتابته في البيانات ينطبق على الصور والأشرطة التي تعطي فكرة سريعة عن الموضوع بوضوح نسبي. والكاتب يتمكن من التلاعب بعواطف الجمهور كالخطيب إذا استعمل اسلوبًا جذابًا وصاغ ألفاظه بطريقة مفهومة لدى الطبقات الشعبية. لكن اختبار تأثير الأسلوب الكتابي يستغرق وقتًا طويلاً وجهودًا متواصلة أما الخطيب فإنه يطالع في وجوه المستمعين مدى تأثير كلماته، فيقرأ في هذه الوجوه ما إذا كان المستمعون يفهمونه بوضوح، وإذا كانوا يتتبعون باهتمام ما يبسطه لهم بإسهاب، وإلى أي حد نجح في إقناعهم بوجهة نظره. وإذا لاحظ أنهم لم يفهموا اعتمد طريقة أخرى بحيث يتقرب من مفهومهم العقلي قدر المستطاع، وإذا قرأ في وجوه البعض أن آراءه لم تقنعهم عمد إلى دحض الاعتراضات التي يفترض وجودها في خواطرهم، ثم يكرر الأدلة والأمثلة الحية إلى أن يرى من الإمارات المرتسمة على وجوههم أنهم بدأوا يقتنعون.

ومن المعلوم أن المطلوب اقناعهم هم في أغلبيتهم من المواطنين الذين ذهبوا ضحية الدعايات الخبيثة، فصاروا يتصرفون بدافع عاطفة وهمية لا

www.ybus.com

بدافع التفكير والاقتناع.

في ألمانيا صحف بورجوازية يوزع منها يوميًا ملايين من النسخ، ولكن هذا الانتشار الكبير لم يمنع الشعب من الالتفاف حول الحركات المضادة للبورجوازية. أما السبب في ذلك إما أن يكون نتاج المفكرين وحملة الأقلام البورجوازيين عقيمًا لا يحمل جديدًا إلى الناس، وإما أن تكون الكلمة المكتوبة مقصرة عن النفاذ إلى قلوب الناس.

زعمت إحدى الصحف في برلين أن الأدب الماركسي ومؤلفات كارل ماركس فعلت في الشعب فعل السحر. فما أبعد هذا القول عن الحقيقة، فإن ما استحوذ على عقول عامة الشعب هو كثرة الدعايات الشفوية التي عرف الماركسيون كيف يوجهونها. ولم يكن لمؤلفات كارل ماركس أو غيره من اليهود التي تدس السم في الدسم أي شأن في هذه الناحية. ولن تجد مئة عامل من أصل ألف تصفحوا كتاب كارل ماركس. فكتاب ماركس لم يكتب ليكون في متناول عامة الشعب، بل كتب ليكون دستورًا للحركة اليهودية العاملة على اخضاع العالم لسيطرة "الشعب المختار" وتولت الصحافة مهمة الدعاية للمباديء التي تضمنها تطبع الماركسية بطابع اجتماعي إنساني يبهر الطبقات المحرومة.

إن نجاح الماركسية في اجتذاب ملايين العمال مرده إلى الدعايات الطويلة التي يقوم بها آلاف المحرضين. وقد حرص الدعاة من مفكرين وخطباء على معايشة عامة الشعب للوقوف على أحوالهم والتعرف إلى مواكب

www.vnbu3.com

التظاهرات التي كان يمشي فيها عشرات الألوف من الصعاليك تدفعهم الرغبة بإظهار تضامنهم وإفهام الملأ أنهم يؤلفون قوة هائلة تستطيع فرض سيطرتها واخضاع العالم البورجوازي لمشيئة البروليتاريا. هذه المظاهر هي التي خدمت الماركسية وجذبت إلى صفوفها السواد الأكبر من الشعب.

وقد أحسن الماركسيون في اختيار الدعايات المكتوبة. فكانت تبدو صحافتهم كأنها ناطقة أكثر منها مطبوعة، فبينما كان الأساتذة والكتاب والأدباء في الأحزاب البورجوازية يلجأون أحياناً إلى الكلام، نجد في الحزب الماركسي أن الخطباء يلجأون أحياناً إلى الكتابة، يساعدهم في ذلك اليهود الذين يتولون الدعاية المكتوبة لحساب الماركسية، فاليهودي بارع في كتابة الأكاذيب المضللة، فكان يبدو خطيباً أكثر منه كاتبًا. فلا عجب إذن أن تظل الصحافة البورجوازية مقصرة عن بلوغ مستوى الصحافة الماركسية في حقل الاقناع واستمالة الجماهير إلى آرائها.

وقد استخرجت من الاجتماعات الحاشدة التي كنت خطيبها الرئيسي أمثولة سبقني الماركسيون إلى استخراجها. فقد تعلمت أن محاضرة في موضوع معين يلقيها المحاضر ليلاً يكون لها وقع أشد مما لو ألقاها في النهار.

أذكر أننا دعونا إلى اجتماع شعبي في ميونخ، وقررنا الاجتماع في الساعة العاشرة من صباح الأحد. وكان الاقبال عظيمًا لأن اليوم كان يوم أحد ولأن موضوع خطابي كان "اضطهاد الألمان في المناطق المحتلة". وبالرغم من

www.vnbus.com

أن الاقبال كان شديدًا فقد ظل المستمعون محتفظون بوقارهم فلا تحركت أيديهم بالتصفيق ولا بطلب الاستيضاح أو حتى الاعتراض. وأحزنني أن يقابل خطابي بهذه اللامبالاة. فكررت الاجتماعات النهارية، لكن النتيجة كانت فيها جميعًا مخيبة للآمال.

وأخيرًا غيرنا المواعيد، وألقيت خطابًا في أول اجتماع ليلي، ففعلت كلماتي في نفوس المستمعين فعل النار في الهشيم، وطالعت في وجوههم أني سحرت منهم الألباب وقد حيرني هذا الانقلاب المفاجيء، فالجمهور لم يتغير وكذلك الخطيب وموضوع الخطاب. ولكن ما لبثت أن أدركت سر هذه الظاهرة عندما نصحني أحد الأصدقاء بمشاهدة تمثيلية "الشعب المتحرر " وقال أنه شاهد المسرحية مرتين وأن انطباعاته كانت في المرة الثانية غيرها في المرة الأولى، وأعرب عن اعتقاده أن المشهد التمثيلي في الليل يترك في النفس أثرًا أعمق من الأثر الذي يتركه في النهار.

وهنا تذكرت قول أستاذي "البرخت": أن قوى الإرادة عند الإنسان تقاوم في النهار كل محاولة تحاول اخضاعها لإرادة أخرى. فإذا استهدفتها المحاولة نفسها ليلاً فلا تلبث أن تخضع للسيطرة. ذلك أن قوة الإرادة تضعف في آخر النهار. وإننا نلاحظ أن الكنيسة الكاثوليكية تصطنع الظلال في المعابد لتسبغ عليها جوًا من الرهبة والجلال، هذا الجو يجعل المؤمنين في حالة نفسية يسهل معها على الواعظ أن يتلاعب بقلوبهم وعواطفهم.

حضرت ذات يوم اجتماعًا في ميونخ، وكان الحزب الذي دعا إليه قد جعل

www.vnbus.com

الدخول مباحًا، وكان الخطيب أستاذًا في إحدى الجامعات وجلس حول المنصة ثلاثة رجال باللباس الأسود، عرفت فيما بعد أنهم يؤلفون اللجنة التنفيذية.

كان الخطاب مكتوبًا، فبدأ الأستاذ يقرأه متمهلاً، وما هي إلا عشرون دقيقة حتى شعرت بالتململ بين الحضور فكثر المتثائبون، وبدأ التسلل من القاعة، وكان يجلس بقربي ثلاثة رجال من العمال، فرأيتهم يتغامزون ويتبادلون الابتسامات الساخرة، وما لبثوا أن غادروا القاعة. وعندما انتهى الخطيب من إلقاء خطابه، وقف أحد الثلاثة من اللجنة التنفيذية فشكره باسم الحاضرين وقال إن المحاضرة تعد حدثًا داخليًا خطيرًا، لهذا فهو يدعو الحاضرين إلى إنشاد النشيد الوطني الألماني، فوقفوا وأنشدوا النشيد، وما إن انتهوا حتى تدافعوا نحو الباب يتنفسون الصعداء في الهواء الطلق ويطردون السأم الذي استحوذ عليهم.

شكرت الله لأن هذا لم يكن جو اجتماعاتنا نحن، فقد كنا نحرص أن تكون خطاباتنا ومحاضراتنا حافلة بما يثير العواطف ويهز المشاعر ويستفز الخصوم للدخول معنا في مناقشات طويلة. فقد كان الحزب الشيوعي يرسل العشرات من المشاغبين ليشوشوا ويصفروا أثناء الخطابات، كما يستفزونا إلى العراك كي يتدخل البوليس وينهي الاجتماع ويعطله لبعض الوقت.

وكان العديد من الماركسيين يحضرون اجتماعاتنا وهم يعتقدونها اجتماعات شيوعية، لأننا اخترنا للافتاتنا اللون الأحمر. وقد ذهل

www.vnbus.com

البورجوازيون لاختيارنا اللون الأحمر، فزعموا أننا ماركسيون مموهون وأن اشتراكيتنا زائفة. أما سبب اختيارنا هذا اللون فكان لاستفزاز اليساريين المتطرفين واستدراجهم إلى حضور اجتماعاتنا ولو للتشويش والمشاغبة، لأن هذه كانت أفضل طريقة لنشر مبادئنا بين صفوفهم.

وقع الماركسيون في الشرك الذي نصبناه لهم، فأقبل العمال على حضور اجتماعاتنا، لكن رؤساءهم، بعد أن اكتشفوا اللعبة، حرموا عليهم حضورها ولكن بعضهم لم يتقيد بأمر رؤساءهم فداوم على الحضور وتنكر لتعاليم كارل ماركس واستجلب معه من أمكنه اقناعه .عند ذلك قرر الرؤساء ارسال أعوانهم الحمر، فصار العمال يحتلون القاعات التي تعقد فيها اجتماعاتنا قبل الموعد بنصف ساعة. وكانت نيتهم دخول القاعة ومقاطعة الخطباء وتحطيم المقاعد، إلا أنهم كانوا يخرجون وقد بدأوا يشكون في صحة العقيدة الماركسية.

خيبت هذه النتائج آمال الرؤساء، لأن مباديء حزبنا زعزعت إيمان العمال بالماركسية، فعاد الرؤساء إلى منع العمال من الحضور تحت عقوبة الطرد .فحرك هذا المنع فضول الذين وقفوا من حركتنا موقف اللامبالاة، فصاروا يغشون القاعات سرًا ولا يأتون بأي حركة اعتراض أو تشويش خوفًا من افتضاح أمرهم. وقد أتاح سكوتهم هذا للخطباء فرصة عرض مباديء الحزب في جو هاديء، وبذلك حرروا العديد من الألمان من أوهام نسجتها حولها اليهودية العالمية بدقة وإحكام.

www.yabus.com

أما الصحافة الحمراء فقد وقفت موقف المتجاهل لحركتنا في بادئ الأمر، ولكن وبعد اشتداد ساعد الحركة عمدت إلى مهاجمتنا على صفحاتها الأولى ولكن الحملات أعطت نتائج عكسية لهم فقد لفتت الأنظار إلينا بشكل لم نكن نتوقعه نحن، فما كان من الصحافة الحمراء إلا أن خففت من لهجتها واجتهدت في الحط من شأن الحركة بادعائها أن الحركة سخيفة لا تقوم على أساس علمي .

ولكن "سخافة "حركتنا لم تمنع الصحف الماركسية من الاستمرار في مهاجمتنا مما أثار فضول الناس وحملهم على التساؤل عن السبب في هذه الحملات ما دامت حركة الوطنيين الاشتراكيين سخيفة لا ترتكز على أساس علمي. وأدرك الماركسيون هذا الخطأ فغيروا من اسلوبهم واعتمدوا الطريقة اليهودية التي تجعل من الخصم هدفًا لحملة من الافتراءات لا تنتهي .فزعموا أننا منظمة إرهابية وأن زعماء الحزب يغذون الحقد والبغضاء في الصدور. ولكن رغمًا عن ذلك لم يتحول الناس عنا ولم تؤثر ادعاءاتهم في نمو حركتنا وانتشارها .وبذلك نكون قد سخرنا أعداءنا أنفسهم للدعاية لنا.

وجدير بالذكر أن خصومنا عجزوا عن تعطيل اجتماعاتنا وذلك بفضل دوائر استخباراتنا التي أنشأناها، فقد كنا نعلم بخططهم في الوقت المناسب فنتخذ التدابير اللازمة لإفساد تلك الخطط. وقد كنا نحمي اجتماعاتنا بطرقنا الخاصة، لأن الاستعانة بالبوليس كانت تعطي نتائج عكسية، إذ تعمد السلطات إلى فض الاجتماع حين تصلهم أخبار التصادم، وهذا ما كان

www.ynbus.com

يريده خصومنا بالذات فقد جرى البوليس على خطة تتنافى مع أبسط قواعد الحرية، فحين تصله الأخبار بأن جماعة المشاغبين تنوي تعطيل أحد الاجتماعات، يعمد البوليس إلى منع هذا الاجتماع المنوي الاعتداء عليه بدلاً من أن يتخذ التدابير اللازمة لحماية المجتمعين ومعاقبة المشاغبين والمحرضين. وبفضل هذه الطريقة الفذة أصبح في إمكان أي شقي أن يشل نشاط الرجل الشريف في الميدان السياسي، أو أن يفرض عليه رأيًا معينًا، فإذا لجأ هذا الرجل إلى البوليس طالبًا تدخله، عمد إلى الموافقة لمشيئة الشقي باسم النظام والأمن. وينصح الرجل بأن يتجنب مظاهر التحدي والاستفزاز.

وهكذا وجدنا السلطة في كل مرة يهدد النقابيون بتعطيل اجتماعاتنا تبادر إلى منعنا من عقد الاجتماع بدلاً من أن تعتقل هؤلاء وتلاحقهم قضائيًا. فتأكد لدينا أن السلطة لن تحمي نشاطنا الحزبي، لذلك وجب علينا أن نحمي أنفسنا بأنفسنا .وكان تجاهل السلطة حمايتنا من حسن حظنا، لأن كل اجتماع يحميه البوليس يظهر تجاه الشعب بمظهر ضعيف، فالقوة وحدها هي التي تنال اعجاب الجمهور وتبهره. لذلك قررنا الدفاع عن كيان حزبنا بالقوة وسحق إرهاب خصومه بوسائلنا الخاصة، وقد تم لنا ذلك بفضل إدارتنا الحازمة وشجاعة رجالنا الذين عهدنا إليهم الحفاظ على النظام.

لا أنكر أننا وقبل أن نخطط أنظمة الاجتماعات وحمايتها، راقبنا نشاط البورجوازيين والماركسيين في هذا المضمار وأخذنا منهم دروسًا وعبر.

www.vnbus3.com

فهم يتحلون بروح نظامية ممتازة، ويقوم الرجال بتنفيذ تعليمات رؤسائهم بدقة. لذلك لم يكن تعطيل اجتماعات البورجوازيين الشغل الشاغل للحمر. فقد استطاعوا اقناع النقابيين أن كل اجتماع غير ماركسي هو ضد البروليتاريا وكانت الصحف الماركسية تناشد السلطات منع الاجتماع خوفًا من الاصطدامات الدامية، فإذا كانت السلطات ضعيفة تبادر فورًا إلى إلغاء الاجتماعات حفاظًا على الأمن والنظام. أما إذا كان الحاكم ألمانيًا حقيقيًا لا يتأثر بأقوال الصحف، عندئذ تتوجه الصحافة إلى العمال أنفسهم مناشدة إياهم تعطيل اجتماعات "أعداء الشعب الرجعيين."

لقد كان موقف البورجوازيين ضعيفًا تجاه الحمر. فقد كانوا يلغون أكثر اجتماعاتهم خوفًا من اعتداء العمال. وإذا عقدوا اجتماعًا افتتحه الرئيس بكلمة موجهة إلى "السادة المعترضين" مؤكدًا لهم أن الحزب يرحب بحضورهم ويسعده أن يرى بين المستمعين مواطنين لا يشاطرونه رأيه. ثم يرجوهم ألا يقاطعوا الخطباء "فالمحاضرة قصيرة وليس بها ما يجوز اعتباره إهانة لخصومنا أو اقلالاً من شأن حركتهم السياسية وأهدافهم الوطنية". لكن الحمر قلما كانوا يتأثرون بهذه الكلمات، فما أن يبدأ الخطيب إلى النزول عن المنبر ويسود القاعة الهرج ويتسابق البورجوازيون إلى الانسحاب طلبًا للنجاة.

لذلك وجد الحمر أنفسهم وهم يحتكون بنا، أنهم أمام حزب قوي يعرف كيف ينظم اجتماعاته ويحميها. فقد حرصنا منذ اللحظة الأولى على إفهام الحضور أننا لن نسمح لأي كان أن يقاطع الخطباء أو يشوش عليهم، وأن

www.vnbu3.com

بوليس الحزب يقوم بحفظ النظام ولن يتردد في إخراج المشاغبين بعد أن يؤدبهم.

لقد كان لنا بوليس مدرب على قمع أعمال الشغب، أما الأحزاب البورجوازية فقد كانت تعهد بمهمة حماية الاجتماعات إلى رجال ضعاف قاربوا عتبة الشيخوخة، آملين أن يحترم المشاغبون شيبتهم ويتهيبوا وقارهم. وقد فاتهم أن الحمر لا يقيمون وزنًا لهذه الاعتبارات.

لقد جندنا "بوليس الاجتماعات" من الرجال الأشاوس والجنود المسرحين، وقد اخترتهم من الشباب المفتولي السواعد، وحرصت على إفهامهم قبل أن يقسموا اليمين أن القضية التي تجندوا للدفاع عنها هي قضية نبيلة تستحق أغلى التضحيات، وأن الإرهاب لا يسحقه إلا الإرهاب. وأن فكرتنا لن تنتشر ما لم تدعمها القوة وتوفر لها الحماية اللازمة، وأن ربة السلم لا تقوى على الظهور ما لم يأخذ بيدها إله الحرب. ولن أنسى ما حييت كيف كان رجال الحرس ينقضون على خصومهم، غير حافلين بالأخطار وبالتفوق العددي لخصومهم. فقد كانت مهمتهم حماية الحركة وإزالة كل عقبة تعترضها.

****

في ربيع 1921 توسعت دائرة نشاطنا، فأصبح علينا أن نعزز الحرس بعناصر جديدة، وقد اضطرنا تنظيم الوحدات النظامية إلى خلق شارة أو راية للحزب، وما إن قررنا أن يكون للحزب راية خاصة ترمز لرسالته،

www.ynbu3.com

حتى انهالت علينا التصاميم والاقتراحات. فدرسناها ولم نأخذ بها إلى أن عرض علينا طبيب أسنان مشروعًا لا بأس به لكن الألوان التي أخرجها كانت متنافرة، فوفقت أنا بين الألوان وقدمت للرفاق المؤسسين راية الحزب: دائرة بيضاء في قماشة حمراء، وفي وسط الدائرة صليب معقوف باللون الأسود. فتبنى الرفاق رمز الحركة الوطنية الاشتراكية واختاروا في نفس الوقت شكل الشارة المعدنية ولون ربطة الذراع التي ستوضع على أذرع رجال الحرس.

لقد كانت الراية حقًا رمزًا لحركتنا وأهدافها السامية، فاللون الأحمر يرمز إلى الناحية الاجتماعية من الحركة، واللون الأبيض إلى الفكرة القومية والصليب المعقوف يرمز إلى النضال المرير في سبيل انتصار الآري وانتصار فكرة العمل المنتج. وفي عام 1922 عندما جعلنا من الحرس نواة وحدة مقاتلة اخترنا للوحدة علمًا خاصًا بها.

بعد اتساع حركتنا ضاعفنا عدد الاجتماعات فأصبحنا نعقد ثلاثة اجتماعات أسبوعيًا وذلك في أكبر قاعات ميونخ، وكان البوليس يتدخل كل مرة لمنع الازدحام واقفال الأبواب وارجاع الناس.

وفي شتاء 1921 وجدت ألمانيا نفسها أمام معضلة جديدة، فقد أنذرتها لندن وباريس بوجوب دفع مئة مليار مارك ذهبًا عملاً بأحكام الاتفاقات المعقودة. وفي 21 كانون الثاني من العام نفسه اجتمعت الأحزاب المسماة "عنصرية" وقررت القيام بتظاهرة مشتركة في ميونخ احتجاجًا

www.vnbu3.com

على الحلفاء، كما دعي حزبنا لارسال مندوبين عنه لحضور اجتماعات اللجنة التنظيمية. وقد قررت اللجنة أن تبدأ التظاهرة من ميدان "كونسيغ" ولكنها عدلت عن رأيها، وبعد ثمانٍ وأربعين ساعة عدلت عن فكرة التظاهرة وقررت عقد اجتماع كبير في قاعة كنو كيلز. وطال تردد اللجنة، فطلبت منها باعتباري مندوبًا عن الحزب، اتخاذ قرار نهائي قبل أول شباط، فاستمهلوني وفي اليوم المحدد شعرت مجددًا بترددهم، فانسحبت ورفاقي من الاجتماع بعد أن صرخت فيهم بأننا سننظم الاجتماع وحدنا.

وظهرت النشرات ظهر الأربعاء 2 شباط 1921 تدعوا الشعب إلى حضور اجتماع في ملعب كرون مساء 3 شباط. وكانت هذه البادرة خطرة جدًا، إذ أن الملعب كان كبيرًا واسع الأرجاء، وربما لا ننجح باجتذاب العدد اللازم لملئه، كما أن الحرس في ميونخ ليسوا من الكثرة بحيث يتمكنوا من المحافظة على النظام في مكان كبير كملعب كرون.

وفي صباح يوم الاجتماع هبت رياح شديدة وهطلت الأمطار، فساد التشاؤم دوائر الحزب لأن الناس لن تتمكن من الحضور في ذلك اليوم العاصف. لكن الجو مال إلى الصحو قليلاً بعد الظهر، فاقترحت تسيير شاحنتين تجوبان شوارع ميونخ، وهي مزدانة بالأعلام الحمراء يتوسطها الصليب المعقوف وعليها عشرون رجلاً وفتاة من أنصار الحزب يوزعون النشرات ويدعون الناس إلى الاجتماع. فشاهد السكان لأول مرة سيارتين كبيرتين ترفرف عليهما الأعلام دون أن يكون ركابهما ماركسيين ووقف البورجوازيون يرقبون هذا المشهد مذهولين، أما الحمر فقد استبد بهم

www.vnbu3.com

الغضب لهذا التحدي السافر.

ما إن أزفت الساعة السابعة مساءً حتى غصت القاعة الرئيسية بالحضور، وبدأت القاعات الأخرى تستقبل الوافدين. ولما وصلت إلى الملعب في الساعة الثامنة وجدت جمهورًا غفيرًا يقف في الساحة الخارجية لأن المكان ضاق بالوافدين مما اضطر الحرس إلى منع المئات من الدخول، وقال لي أحد معاوني أن شباك التذاكر باع خمسة آلاف وخمسمائة بطاقة، وأن أكثر من ألف عاطل عن العمل دخلوا مجانًا، فأصبح عدد الحاضرين ستة آلاف وخمسمائة شخص.

كان موضوع المحاضرة "يجب أن نبني الغد أو لنتوارى" وقد استغرقت محاضرتي ساعتين ونصف. وقد شعرت منذ اللحظة الأولى بالتقارب بيني وبين المستمعين، وقد حاول البعض مقاطعتي في أوائل المحاضرة، ولكن ما انقضى عشرون دقيقة حتى كانت ثلاثة عشر ألف كف تقاطعني بالتصفيق وتتلقف كل كلمة ألفظها بلهفة وإيمان.

دام نجاح الاجتماع حديث ميونخ لمدة أسبوع كامل. ونشرت الصحف المستقلة صورًا ناطقة لهذا النجاح، أما الصحف البورجوازية فقد أشارت إليه إشارة عابرة وقصدت إغفال ذكر اسم الخطيب. وحرصًا مني على الإفادة من هذا النجاح، فقد نظمت اجتماعًا آخرًا في الاسبوع التالي في الملعب نفسه، فحضره سبعة آلاف وقفت منه خمسمائة في الساحة الخارجية، وقد تركنا الأبواب مفتوحة ليتسنى لهم سماع المحاضرات. وقد

www.ynbus3.com

شجعني النجاح على زيادة الاجتماعات. فازداد بالتالي عدد الأنصار والمؤيدين.

لم يقف خصومنا مكتوفي الأيدي حيال هذا النجاح الساحق فقرروا إرهابنا بشكل نعجز فيه عن عقد الاجتماعات.

وقد مهد الخصوم لهذه الخطة الإرهابية بحادث افتعلوه وحاولوا أن يلقوا بمسئوليته علينا ففي إحدى الأمسيات أطلق "مجهول" النار على النائب الاشتراكي" ارهارد اوبر" ولكن الرصاص لم يصبه وهرب المعتدون. وصدرت الصحف الماركسية واليهودية في اليوم التالي تحمل علينا بشكل سافر وتطلب وضع حد لما دعته "نشاط العصابة الإرهابية التي عاثت فسادًا في ميونخ" وقد اتهمت حزبنا بالحادث. ومما ذكرته الجريدة الناطقة بلسان الحزب الاشتراكي البافاري، أن تدابير حازمة ستتخذ قبل أن تناطح الأشجار السماء، وأن معاول العمال ستهوي على هذه الأشجار وتلقي بها على الأرض.

وبعد أيام قام خصومنا بمحاولتهم، ولكن الأشجار العالية الشامخة لم تقع أرضًا .ففي 2 تشرين الثاني 1921 دعونا إلى اجتماع يعقد مساء 4 منه في قاعة "هوفبروهوس ."وعلمنا قبل نصف ساعة من الموعد أن الحمر مصممون على تعطيل الاجتماع وأنهم جهزوا له مئات العمال .فلم نتمكن من اتخاذ الاحتياطات اللازمة لضيق الوقت، لذلك اكتفينا بسواعد ستين رجلاً من رجال الحرس .ولما وصلت أخبرني رئيس الحرس أن

www.ynbu3.com

القاعة ملأى بالمشاغبين ولم يتمكن رجالنا من الدخول وبقي معظمهم خارج القاعة .فسارعت إلى جمع الحرس وزودتهم بالتعليمات اللازمة، وصارحتهم بأن الوضع خطير وأنه ربما سقط منهم بعض القتلى. لكني قرأت في عيونهم ما أشاع الطمأنينة في نفسي، وعندما دخلت القاعة الكبرى وجدتها غاصة بالناس، وقد استقبلني الذين عرفوني بالشتائم والتهديدات من نوع "سنصفي حسابكم اليوم" و"سنضع حدًا لثرثرتكم وسنريح ألمانيا منكم."

وقفت وراء الطاولة التي توسطت القاعة لألقي محاضرتي على جمهور من المستمعين يحتسي الجعة وبحالة عصبية ظاهرة.

تكلمت ساعة كاملة غير آبه بالصياح والشغب، وخيل إلي أني أصبحت سيد الموقف فانتهرت أحد المشاغبين الحمر، وكانت هذه هي الغلطة الفادحة، فقد استغل الحمر هذا الحادث البسيط لينفذوا خطتهم المرسومة، فوقف رجل طويل القامة وهتف ثلاث مرات للحرية، فردد "أنصار الحرية " الهتاف وقلبوا الطاولات وعمدوا إلى الزجاجات الفارغة يرشقون بها أنصارنا، فتعالى الصراخ واختلط الحابل بالنابل. ولم أغادر أنا مكاني بل رحت أراقب رجال الحرس وأنا مطمئن إلى النتيجة، فرأيتهم يهجمون على الخصوم وفي مقدمتهم "موريس "أمين سري الخاص و"هيس" الذي تولى قيادة الهجوم. وما هي إلا دقائق حتى كانت جموع الحمر تتراكض مندفعة إلى الأبواب منخزية أمام أبطالنا الشجعان، وبقي محصورًا حوالي خمسين ماركسيًا فهجم عليهم رجالنا محاولين اخراجهم بالقوة، وفجأة دوى انفجار

www.vnbu3.com

هائل سقط على أثره خمسة من رجال الحرب .فألهب هذا الحادث شعور أنصارنا حتى النساء والشيوخ فهرعوا لنجدة الحرس وهجموا على المشاغبين وتمكنوا من اخراجهم وتطهير القاعة بعد أن سقط تسعة جرحى من صفوفنا يقابلهم ثلاثة وعشرون من الحمر.

وبينما كان الرفاق ينقلون الجرحي، وقف هرمان ايسر رئيس الاجتماع وأعلن استئناف الجلسة ودعاني إلى إلقاء محاضرتي، ففعلت وتركت مكاني بعد ذلك لأقف في الصف الأمامي لأشارك في الأناشيد القومية التي اعتدنا أن نختم بها اجتماعاتنا، فاقترب مني أمين السر وهمس في أذني أن قوة كبيرة من البوليس قد وصلت. ودخل ضابط البوليس في هذه اللحظة وأعلن بصوت جهوري أنه يفض الاجتماع بأمر السلطة.

www.ybus.com

القوي قوي بنفسه

ذكرت في الفصل السابق عن قيام تعاون أو شبه ذلك بين الأحزاب "العنصرية" في ميونخ، بحيث تقوم هذه الأحزاب بمجهود مشترك في سبيل الهدف المشترك.

لا شك أن التعاون بين الأحزاب المتقاربة الأهداف أمر مرغوب فيه، لكن يخطىء من يعتقد أن هذا التقارب يقوى على زيادة العمل الذي يرفع من شأن كل منهما. فقد تعلم حزبنا أن الهدف يجب أن يصل إليه الحزب الذي كان السابق إلى اختياره، فإذا عجز عن تحقيق هذا الهدف جاز للأحزاب التي تعمل لنفس الهدف أن تعمل عوضًا عنه علها تنجح حيث أخفق هو. أما إذا تغلب الحزب الأول على الصعاب، فبقاء الأحزاب الأخرى منفصلة عنه يعتبر خيانة لهذه الفكرة واضعافًا للحركة حتى لو قام تعاون وثيق بينهما.

وقد حاولنا نحن عام 1922 أن نتعاون مع المنظمات "العنصرية" على أساس توحيد الخطط ما دام الهدف واحد، ولكن سرعان ما أدركنا خطأنا، لأن حلفاءنا أرادوا من هذا التعاون تقوية منظماتهم على حسابنا، فكانت النتيجة أن عمت الفوضى وانعدمت المسؤولية وقامت الأنانية والمطامع الشخصية لتبعد الحركة الموحدة عن أهدافها السامية. عند ذلك طلبت من حزبنا أن يضع حدًا لهذا التعاون المضر بحركتنا، وكانت حجتي أن حركة

www.ynbu3.com

قوية كحركتنا ستخسر من قوتها بتعاونها مع حركات أضعف منها. وبينت لهم مطامع زعماء المنظمات بانضمامهم إلى حركتنا.

***

كانت قوة الدولة قبل عام 1018 تعتمد ثلاث دعائم: النظام الملكي والجيش وهيئة الموظفين الاداريين. وقد قوضت ثورة عام 1918 الدعامة الأولى، وسرحت الجيش، وأفسدت الموظفين. وبذلك فقدت سلطة الدولة مقوماتها الأساسية.

إن الأساس الأول الذي ترتكز عليه السلطة هو الشعبية، ولكن السلطة تبقى ضعيفة إذا كانت الشعبية مرتكزها الوحيد، لأن سلامتها واستقرارها يبقيان مضطربين. لذلك كانت القوة مرتكز السلطة الثاني، ولكن القوة وحدها لا تضمن الاستقرار والسلامة. ومن هذه المرتكزات الثلاث يمكن انبثاق سلطة قوية الأركان متينة.

لكن الثورة جعلت توفر المرتكزات الثلاث مستحيلاً، فهي قد نزعت التقليد من كل سلطة حين قضت على النظام الملكي، كما لطخت سمعة الموظفين عندما سمحت للسياسيين أن يعينوا ويعزلوا وينقلوا من يشاؤون تدفعهم إلى ذلك نزعاتهم ومصالحهم السياسية. كما أزالت الثورة معالم القوة حين سرحت الجيش، رمز القوة. ففقدت السلطة بذلك مرتكزها الثاني، ولم يبقَ للثورة إلا الشعبية، وهذا المرتكز كان غير مستقر في بلد ضعضعته الهزيمة وأطاحت الحرب بالتوازن الطبيعي الذي جعل من شعبنا مثلاً للشعوب.

www.ynbu3.com

فالشعب الألماني، ككل الشعوب، يتألف من ثلاث فئات. فئة النخبة ذات الميول الوطنية المتطرفة، وهي تتحلى بالترفع والاخلاص والشجاعة ونكران الذات، وفئة تضم حثالة البشر كالغاوين والأنانيين والخونة، وبين هاتين الفئتين نجد الفئة الثالثة المتوسطة التي تترفع عن ما يشين الفئة الثانية، ولكنها لا تتمتع بفضائل الفئة الأولى. فإذا تقدم مجتمع بشري نحو الرقي كان بفضل الفئة الأولى، وإذا نما هذا المجتمع نموًا طبيعيًا في ظل الهدوء والنظام كان بفضل الفئة المتوسطة التي تميل بطبيعتها إلى الاعتدال، أما حين يدرك المجتمع الانحلال وتنهار فيه القيم فهذا يرجع إلى تسلط العناصر الفاسدة من الفئة الثانية.

وجدير بالذكر أن الفئة المتوسطة وهي الأغلبية الساحقة لا تتمكن من السيطرة إلا حين يكون التنافس على أشده بين الفئتين المتطرفتين، ولكن إذا انتصرت إحداهما فسرعان ما تخضع الأغلبية للمنتصر، ولكنها تؤيد المنتصر الشرير ولا تعارضه بنفس الوقت. لأن هذه الفئة المتوسطة لا تتميز بروح النضال.

قلت أن الحرب أطاحت بالتوازن بين الفئات الثلاث، فقد ضحت النخبة بدمائها وسقط آلاف الشهداء من الفئة المتوسطة بينما بقي الأشرار يوفرون أنفسهم للثورة ولطعن ألمانيا في ظهرها .كان المسؤولون يذيعون النداءات مناشدين المواطنين على التطوع لأداء مهمات معينة، واستمرت النداءات طيلة أربع سنوات ونصف فكان يلبي النداء شباناً دون السابعة

www.vrbus.com

عشرة من عمرهم وشيوخاً تجاوزوا الخمسين، تدفعهم وطنيتهم الصادقة وشجاعتهم النادرة، ليلقوا بأنفسهم في جحيم النيران المشتعلة.

فالذين سقطوا في معارك 1914 كانوا أبناء الفئتين الخيرة والمتوسطة، فاختل التوازن لمصلحة الفئة الشريرة التي أتاح لها تراخي السلطات أن تبقى بمأمن من الخطر، فما إن أصيبت جيوشنا بالنكسة حتى قامت هي بمهمة لغم الجبهة الداخلية بثورة جارفة لم تقف في طريقها أية عقبة لأن البقية الباقية من العناصر الطيبة كانت أضعف من أن تقاومها.

فالقول بأنها ثورة شعبية قول عاري عن الحقيقة. فالذين قاموا بالثورة كانوا أعداء للشعب لأنهم استغلوا الهزيمة أبشع استغلال بعد أن تسببوا فيها.

لقد رحب جنودنا بانتهاء القتال، ورحبوا بالعودة إلى بيتوهم. ولكنهم ظلوا غرباء عن الثورة ومسبيبها، لأن المحرضين عليها ما أوحوا للجنود غير الحذر والحيطة، ولأن الحرب وويلاتها لم تتسم بالضرر والعبث الذين يتميز بهما نشاط الأحزاب السياسية في البلاد. أما المواطنون القلائل الذين رحبوا بالثورة فقد استبشروا بما ستأتيه من جديد ولم يرحبوا بها هي. وعلى هذه القلة ارتكزت الثورة، ولكن هذا المرتكز الشعبي كان من الضعف بحيث وجد الماركسيون أنفسهم بعد أشهر من قيام الجمهورية، مضطرين إلى ايجاد مرتكز جديد لسلطتهم قبل أن تنظم الفئات الخيرية نفسها وتخرج البلاد من عهد الفوضى والفساد.

www.ybu3.com

كانت الجمهورية عام 1919 بعيدة عن الاستقرار. ولم يخفَ على "أبطال" الثورة أن المرتكز الشعبي لسلطتهم سينهار عند أول زوبعة من زوابع النقمة. لذلك راحوا يبحثون عن رجال يمكنهم حماية الجمهورية بقوة السلاح.

وجدت الجمهورية التي سرحت الجيش نفسها في أشد الحاجة إلى جيش يدافع عنها. لكن مرتكزها الوحيد الذي هو شعبيتها كان يستمد أصوله من أوساط اجتماعية لا تؤمن بالمثل ولا ينتظر منها أن تضحي ولو بالقليل في سبيل مثالية جديدة. فالأوساط كانت تضم اللصوص والمحتالين والخونة والمغامرين، أي فئة الأشرار التي لم تقم بالثورة جنودًا يدافعون عن الثورة. هذه الفئة التي جعلت همها الوحيد نهب الجمهورية التي قامت على أنقاض الملكية.

أما أصوات الاستغاثة التي انبعثت من ممثلي الشعب فلم تسمعها تلك الفئة العابثة. لقد استغاث هؤلاء لأنهم شعروا أن الشعب الألماني بدأ يتململ، وأن هناك من يدعو إلى قلب النظام القائم ووضع حد للسرقات والخيانات.

أما الذين لبوا النداء في شتاء 1919، وأخرجوا بزاتهم المهترئة وحملوا بنادقهم من جديد، فقد فعلوا ذلك بدافع الوطنية لا حرصًا على الجمهورية. فقد كان الأمن والنظام بحاجة إلى من يحفظه، وكان الوطن بحاجة إلى من يرد عنه مؤامرات أعدائه الداخليين. فانتظموا في وحدات

www.vnbus.com

ارتجلت ارتجالاً، وعملوا مخلصين لدعم الجمهورية مع نفورهم من هذا النظام والذين أقاموه.

لقد أدرك منظم الثورة الفعلي، اليهودية العالمية، الموقف على حقيقته، فالشعب الألماني لم يهبط إلى مستوى الشعب الروسي ليتمكن من جره لأوال المستنقع البولشفي. ويمكن القول أن ضعف البولشفية في ألمانيا مرده إلى وحدة العرق التي ربطت رجال الفكر الألمان بالعمال الألمان. وهذه ظاهرة اجتماعية موجودة في أغلب البلدان الأوروبية الغربية ولكن لا أثر لها في روسيا. فهم لا يشعرون بقضايا الطبقة العاملة ولا يعانون مشاكلها، ولم يكن هناك من يقوم بربط الصلة بين المفكر والعامل، علما أن مستوى الأغلبية الفكري والخلقي كان منخفضًا قبل الحرب، لذلك لم يجد المحرضون عناءً في حمل الملايين من الجهلة والأميين على رفع الراية الحمراء وخدمة أغراض أسيادهم اليهود الذين موهوا دكتاتوريتهم حين زعموا أنها دكتاتورية صعاليك.

أما ما حدث في ألمانيا فهو الآتي:
لم تنجح الثورة في ألمانيا إلا بعد انحلال الجيش، وإن هذا لا يعني أن الجندي في الجبهة كان وراء تلك الثورة ووراء انحلال الجيش وتفككه. فالذين عملوا للثورة وبثوا روح التذمر في الجيش كانوا من الذين لم يذهبوا إلى الجبهة، أما لأنهم إداريين لا يستغنى عن خدماتهم، أو لأن السلطة انخدعت بهم واعتبرتهم أخصائيين في الشئون الاقتصادية والمالية. يضاف إلى هؤلاء ألوف الفارين الجبناء الذين تمكنوا من الهرب

www.ynbu3.com

بفضل تسامح القوانين.

إن الجبان يخاف الموت الذي يبرز أمامه في ميدان المعركة بأشكال مختلفة مرات عديدة في اليوم. ولكي نمنع الجنود الجبناء من الفرار، يجب علينا إفهامهم أن المرء يمكن أن يموت في الجبهة، أما الجبان الفار فسيموت حتمًا حين يهرب.

إن أداء الواجب فضيلة كبرى لا يتحلى بها، مع الأسف، المواطنين كافة، والمواطن المثالي هو الذي يؤدي واجبه من تلقاء نفسه، أما المواطن العادي فليس هذا شأنه، لذلك كان وجود الحافز الإرهابي ضروريًا.

لندلل على ذلك بمثل القوانين الموضوعة لقمع اللصوصية. إن هذه القوانين لم تسن لإرهاب الشرفاء، بل لتخويف ضعفاء الإرادة العاجزين عن مقاومة التجربة والغرائز، فلولا هذه القوانين التي ترهب هذه الفئة ولولا العقوبات الزاجرة التي تنزل بها لقامت نظرية تقول أن الرجل الفاضل الشريف هو إنسان أبله، والأفضل للمرء أن يسرق بدلاً من أن يبقى صفر اليدين.

إذن كان من قصر النظر حين ظن المسؤولون أن باستطاعتهم التغاضي عن تدبير هام أثبت جدواه طيلة قرون. أعني به الإعدام. فعقوبة الإعدام تفرض نفسها كتدبير احترازي وإرهابي حين يكون المقاتلون مزيجًا من الأبطال والأفراد العاديين الذين فرضت عليهم الجندية. ففي صفوف هؤلاء

www.ybu3.com

هناك الجبان والأناني الذي يرى أن حياته أثمن من حياة المجتمع الذي ينتمي إليه، لذلك وجب قيام إجراء رادع لضمان بقاء هؤلاء المقاتلين في ساحة القتال حيث هم أو لحثهم على ملاقاة الموت ومواجهة العدو.

لقد ترتب على إلغاء عقوبة الإعدام عندنا. انتشار جيش من الجبناء الهاربين في المؤخرة. وقد عرف الخونة من الداخل كيف يستغلون هؤلاء الجبناء ويستخدمونهم لتنفيذ مآربهم ويتخذون منهم وقودًا لثورة 1918 .

وبعد وقف القتال. ولما عاد الجيش إلى أرض الوطن، استحوذ القلق على رجال الثورة وأصبحت معرفة رأي العائدين بالذي حدث شغلهم الشاغل، فهم يريدون التأكد من رغبة الجيش في التعاون معهم. لذلك وخلال الأسابيع الثلاثة التي مضت بين إعلان الهدنة ووصول القوات الألمانية إلى الوطن عمد الثوريون إلى تبديل اتجاه الثورة، إذ أن فرقة واحدة من الجيش تقوم لطرد الحمر من البلاد تكفي لينضم إليها عشرات الفرق خلال أيام معدودة، وقد أدرك اليهود هذه الحقيقة فبدلوا الإتجاه المتطرف واعتنقوا شعار الاعتدال والهدوء.

لذلك كانت الدعوات الحارة للتعاون مع السلطات، وخاصة النداءات إلى كبار القادرة العسكريين للعمل على انهاض ألمانيا من كبوتها. فاليهود وحلفاؤهم كانوا بأشد الحاجة إلى العسكريين للإستفادة من خدماتهم من جهة ومن جهة ثانية إتقاءً لشرهم وقطع الطريق أمامهم لمقاومة الوضع

www.vnbu3.com

القائم.

لقد نجحت هذه المناورة اليهودية نجاحًا باهرًا. لكن المتطرفين، بعد أن لزم أسياد العهد جانب الحكمة والاعتدال، حاولوا مقاومة هذا الاتجاه الجديد لكن اليهود استطاعوا تشتيت قواهم وذلك بإحداث انقسام خطير في صفوف أكبر حزب ماركسي: "الحزب الاشتراكي الديمقراطي". فقسم اقتنع بالوضع الجديد وقسم عارضه، وترتب على هذا الانقسام قيام معسكرين الأول شعاره الهدوء والثاني الإرهاب. أما البورجوازية فكان عليها أن تختار بين الاثنين فانتقلت إلى المعسكر المعتدل.

وهكذا أصبح الموقف في مطلع شتاء 1919 كما يلي:
كانت الثورة من صنع فئة شريرة من الشعب، تبعتها بعد ذلك الأحزاب الماركسية كلها. ولكن الذين استولوا على الحكم بدلوا مناهجهم وقرروا مبدأ الاعتدال مما أغضب المتطرفين فقاموا بسلسلة من الأعمال الإرهابية في طول البلاد وعرضها. ولمواجهة هذا الخطر تعاون أنصار الوضع الجديد مع أنصار الوضع القديم لمجابهة الإرهاب القائم.
وهكذا نظم أعداء الجمهورية أنفسهم لمحاربة الجمهورية كنظام حكم متعاونين أيضًا مع الذين يحاربون الجمهورية لأنها توشك أن تغرق البلاد في الفوضى لا لأنها نظام حكم.

وقد أيد هذا التحالف تسعة أعشار الشعب الألماني، وفي الوقت الذي كان المتطرفون من الجانبين يقتتلون كانت الفئات المتوسطة وهي الأغلبية

www.vnbus.com

الساحقة تقبض على الزمام. ولم تتأثر الجمهورية بالاشتباكات الدامية، فقد أدى التقاء الماركسية والبورجوازية إلى تقوية مركزها مع أن البورجوازيين قبيل الانتخابات بدأوا يتوددون إلى الملكيين متظاهرين بالحنين إلى العهد السابق، لأنهم كانوا بحاجة إلى أصوات المحافظين.

كيف تمكنت الثورة من النجاح بالرغم من افتقارها إلى مقومات هذا النجاح؟ والجواب على ذلك هو:

1- تحجر نظرتنا إلى الواجب والطاعة.

2- سلبية أحزابنا المحافظة.

ويعود تحجر نظرتنا إلى الواجب والطاعة إلى تربيتنا الوطنية التي تركز على مفهوم الدولة ولا تعتني بالقومية. وقد نجم عن هذا النقص عجزنا عن تمييز الواسطة من الغاية، وفاتنا أن الشعور بالواجب وأداء الواجب ليست غاية بحد ذاتها، وكذلك الدولة. ولو لم نسهَ عن هذه الحقيقة لكان موقفنا من مسببي الكارثة غير هذا الموقف المخزي الذي أساء إلى سمعتنا إساءة بالغة. ففي الوقت الذي كان شعبنا يقاسي من الهوان والعذاب من جراء الخيانات، كانت الطاعة لهؤلاء إجرامًا بحق الوطن. ولو تجاهل البعض تنفيذ الأوامر المعطاة له وتصرف حسبما يمليه عليه واجبه ومسؤوليته الشخصية لتغير الوضع تمامًا. ولكن ماذا نفعل بالبورجوازيين ونظرتهم إلى الدولة؟ فالطاعة العمياء هي أول واجبات البورجوازيين ولو كانت على حساب الشعب، أما نحن الوطنيين الاشتراكيين فإننا نقدم طاعة الرؤساء الضعاف، ونرى أن مسؤولية الشخص تجاه أمته تصبح في

www.vnbus.com

الظروف الحرجة أقدس الواجبات.

أما عن سلبية الأحزاب المحافظة فنقول:
لقد نتج عن تساقط الفئات الخيرة في ميدان القتال تجريد أحزاب اليمين من العنصر الوحيد الذي كان باستطاعته حمايتها وحماية النظام الذي تحرسه. وقد شاء البورجوازيين، بعد أن أضاعوا القوة المادية، أن يتولوا الدفاع عن مبادئهم على صعيد الفكر وبالأسلحة الفكرية. علمًا أن خصمهم قد استعاض عن تلك الأسلحة وقرر فرض مبادئه بالقوة والعنف وقد أثبت الماركسيون بعد نظرهم، فكانت قوتهم سيدة الموقف، بينما ضاعت بلاغة البرلمانيين البورجوازيين بين الضجيج وأزيز رصاص الحمر. وبعد الثورة عادت الأحزاب البورجوازية بأسماء جديدة وبرزوا إلى الميدان بسلاحهم القديم وأهدافهم القديمة: الاستيلاء على كرسي الحكم.

لقد أصيب البورجوازيون بهزائم شنعاء في البرلمان وفي الشارع، وعندما قدمت الحكومة للبرلمان مشروع قانون حماية الجمهورية عارضه خطباء أحزاب الميمنة والوسط معارضة شديدة. وعلم الماركسيون أن المشروع لن ينال أكثرية الثلثين فأوعزوا إلى رجالهم بالتظاهر أمام البرلمان، فقدم حوالي مئتي ألف ماركسي، وباشروا الهتافات والصياح والتهويل، فجبن المعارضون وتخاذلوا وأضحت النتيجة إقرار المشروع بأكثرية ساحقة.

وهكذا قامت الدولة الجديدة دون أن تلاقي أية مقاومة جدية. وكان هناك منظمات قامت لتقف في وجه الماركسية بشجاعة وهي "الكتائب الحرة"

www.ybu3.com

و"الحرس المدني" و"عصبة الدفاع عن التقاليد "و"عصبة المحاربين القدماء."

لكن هذه المنظمات لم يكن لها أي تأثير لأسباب عديدة :
فلم يكن لهذه الأحزاب المعتدلة أي سلطة في البلاد لافتقارها إلى العناصر المناضلة. وقد كان للمنظمات اليمينية وحدات صدام منظمة ومع ذلك بقي تأثيرها ضعيفًا لأنها لم تكن ذات مبادىء وليس لها أهدافًا سياسية واضحة.

لقد فاز الماركسيون وانتصروا على العقبات بفضل الترابط بين الإرادة السياسية والتصميم وبين شراستهم في العمل. ولو اجتمع لألمانيا القومية هذا الترابط بين الشراسة والإرادة القومية لما تمكنت الماركسية من الانفراد بتقرير مصير البلد. فقد كان للأحزاب القومية إرادة قوية ولكنها كانت بحاجة إلى القوة لفرض إرادتها هذه. أما المنظمات فقد كانت تتمتع بالقوة وكان بإمكانها أن تفرض سيطرتها على الشارع وعلى الدولة ولكن كان ينقصها الدافع والهدف السياسي، وقد استغل اليهود هذا النقص المزدوج وعملوا جاهدين لإقناع المواطنين بقبول الأوضاع الحالية باعتبارها مناسبة، فقد راحت الصحافة، بإيعاز من اليهود، تظهر الطابع الغير سياسي للمنظمات اليمينية وبالتالي تمتدحه، كما كانت تمتدح الذين "يقابلون التحدي والعنف بالأسلحة الفكرية". وقد تبنى ملايين الألمان هذه النظرية السخيفة ولم ينتبهوا للخدعة اليهودية التي جردتهم من كل سلاح حين اعتمدوا الفكر وحده سلاح وحيد في معركة الحياة أو الموت،

www.ybu3.com

فأصبحوا بذلك تحت رحمة اليهود وعصاباتهم الشرسة.

هناك تفسير آخر لضعف الأحزاب البورجوازية والمنظمات اليمينية، فقد نزلت إلى المعركة ولا مثالية لها، وفي التاريخ أكثر من مثال على حركة من هذا النوع، فهي لا تتحلى بروح النضال الذي تتحلى به الحركات ذات الرسالة. فالإيمان بانتصار فكرة ما يعطي لرسل هذه الفكرة حق اللجوء إلى العنف حتى أقصى درجاته.

لقد نجحت الثورة الفرنسية لأن إعلان حقوق المواطن بهر الجماهير، فتبنته وتعصبت له وناضلت في سبيله. وقامت الثورة الروسية بفكرة لاقت صداها الحسن عند الجماهير، فآمنت بها واستماتت في الدفاع عنها. كما أن الفشستية استمدت قوتها من رسالتها الإصلاحية.

***

بقيام الحزب الوطني الاشتراكي قامت في ألمانيا حركة غايتها إعادة بناء الدولة على أساس عنصري. وقد قرر الحزب اعتماد الوسائل الفكرية لنشر مبادئه، مع الاحتفاظ بمبدأ القوة لدعم هذه المبادئ إذا لزم الأمر.

قلت في فصل سابق أنه لا يمكن التغلب على حركة يدعمها الإرهاب باعتماد الأسلحة الفكرية، فلا بد من مواجهة تلك الحركة بحركة ذات عقيدة تعتمد أيضًا سلاح الإرهاب.

فقد ظلت الدولة الألمانية هدفًا لهجوم ماركسي عنيف طوال سبعين عامًا، ولم تنجح في صد هذا الهجوم بالرغم من جهودها المريرة وكفاحها

www.ynou3.com

الشاق. فلم تنجح في سحق المبادئ الهدامة بالرغم من تدابيرها الصارمة بحق زعماء تلك المبادئ .وهذا يرجع إلى كونها اتخذت تدابير سلبية عوضًا عن مقابلة هذه المبادئ بمذهب فلسفي يقضي على مبرر وجودها.

فالدولة التي ألقت السلاح في 9 تشرين الثاني 1918 وتركت للماركسيين حرية العمل والاستيلاء على زمام الحكم، لا يرتجى منها خيرًا خاصة بعد وصول البورجوازيين إلى الحكم في ظل النظام الجديد. فمنذ عام 1921 والحكومة البورجوازية تلاطف الحمر زاعمة أنها لا تريد إغضاب البروليتاريا. فهذا الخلط بين الماركسية والطبقات الكادحة هو تزوير للتاريخ يتحجج به الحاكمون لتغطية فشلهم في إنقاذ البلاد من مخالب المغامرين الدوليين.

تجاه هذا الخضوع للماركسية، أخذت الحركة الوطنية الاشتراكية على نفسها مهمة إنقاذ ألمانيا، فاتخذت على مسؤوليتها تدابير وقائية لتواجه بها الإرهاب الأحمر. وقد ذكرت أن حركتنا قد أنشأت وحدات هجومية لحماية اجتماعاتنا، وبعد أن توسعت دائرة نشاطنا جعلنا من الوحدات نواة ما دعيناه "الحرس الخاص" واتبعنا نظام المنظمات اليمينية في تنظيم الحرس التي عرفت باسم "منظمات الدفاع" ولكن وجه الشبه لم يتعد التنظيم. فالمنظمات اليمينية كانت تعمل معنا، كما تقدم، بدون هدف سياسي واضح. أما "الحرس الخاص" الذي أنشأناه فكانت مهمته حماية حركتنا القومية التي ترفض تكريس الوضع القائم وتناضل في سبيل خلق ألمانيا جديدة.

***

www.ynbu3.com

بعد معركة قاعة هوفمبروهوس أطلقنا على وحدة الحرس اسمًا جديدًا هو "فرقة الهجوم" وقد شعر الماركسيون بخطر حركتنا الزاحفة فزادوا من قوة نشاطهم محاولين بالإرهاب وباستعداد السلطات تعطيل اجتماعاتنا. وكانت الصحافة الماركسية تلعب دورها في التحريض علينا وفي التهليل والتصفيق لكل محاولة يحالفها التوفيق.

لكن ماذا نقول عن الأحزاب البورجوازية التي كانت تفرح لفرح الماركسيين حين يتمكن هؤلاء من تعطيل أحد اجتماعاتنا؟ فقد كان يفرحهم أن ينهزم حزبنا أمام الماركسي الذي كان قد هزمهم في السابق. وماذا نقول في الموظفين والإداريين ومدراء البوليس، وحتى الوزراء المتظاهرين بالوطنية الذين يتسابقون لخدمة الماركسية حين تصطدم بحزبنا الوطني الاشتراكي؟ هذه العقلية المريضة هي التي أجبرت مدير البوليس السابق بوهنر، هذا الموظف المثالي، على القول للذين أرادوا رشوته" :لقد حرصت في حياتي أن أكون ألمانيًا قبل أن أكون موظفًا، وأنا كألماني صميم لا أسمح لأحد بأن يشك في نزاهتي وطهارة ذيلي، وإذا كان لدينا موظفون يقبلون الرشوة فهؤلاء هم حثالة شعبنا، وإن الدم الذي يسري في عروقهم ليس دمًا ألمانيًا نقيًا."

لأسباب كهذه كان علينا أن نوسع نطاق منظمتنا الدفاعية. وقد حرصنا على إظهار فرقة الهجوم بمظهر يستهوي الجماهير، كما حرصنا على أن نجعل منها قوة معنوية مشبعة بالمثالية الوطنية الاشتراكية، فلا يكون لها طابع الجمعية السرية ولا عقلية المنظمات البورجوازية المنشأة لأغراض دفاعية.

www.vnbus.com

وقد قام هذا الحرص للاعتبارات التالية:

إن التربية العسكرية لدى المنظمات الخاصة تعتمد على المساعدات المالية التي تقدمها لها الدولة. يضاف إلى ذلك أن هذه المنظمات الخاصة تكتفي بالنظام الاختياري، وهذا معناه عدم تمكين القيادة من معاقبة من يجب معاقبته.

لقد كان إنشاء "الوحدات الحرة" ممكنًا في ربيع 1919 لأنها أنشأت من المحاربين القدماء والجنود المسرحين حديثًا، وكلهم سبق وتخرجوا من مدرسة النظام والانضباط أي الجيش الألماني. أما النظام والانضباط ففضيلتان لم تتوفرا لدى رجال" المنظمات الدفاعية البورجوازية"، فهي لم تضم من الجنود والمسرحين إلا بنسبة عشر بالمئة. وقد كان تدريب المتطوع في تلك المنظمات يجري بصورة شكلية، فالمتطوع الذي لم يحمل بندقية من قبل، كان يخضع لتدريب لمدة ساعتين اسبوعيًا على أن تنتهي مدة تدريبه خلال ستة أشهر.

عندما اقترح بعض الرفاق على جعل منظمتنا الهجومية ذات طابع سري عارضت هذا الاقتراح بشدة، لأن المنظمات السرية ستبقى ضمن نطاق محدود وضيق خوفًا من افتضاح أمرها تجاه السلطات. علمًا بأن شعبنا يميل إلى الثرثرة، فالمحافظة على سرية القرارات المتخذة أمر صعب جدًا، خاصة وأن للسلطات مؤسسات بوليسية تتزود بالمعلومات الأولية من المخبرين والجواسيس البارعين في فن الكذب والتلفيق. فحركتنا لم تكن بحاجة إلى مئة متآمر شجاع، ولكنها تحتاج إلى جيش يضم آلاف

www.ybus.com

المناضلين المتعصبين العاملين في وضح النهار ليبهروا الجماهير بمظاهر القوة وحسن التنظيم .وحركتنا لن تنتصر ما دام الشارع تحت أسياد الشارع القابضين على الزمام.

أما خطر المنظمات السرية فيكمن في ظاهرة شائعة في أيامنا. فأعضاء هذه المنظمات لا يدركون عظمة مهمتهم، وكل ما يدركوه أن مصير شعب من الشعوب يمكن أن تقرره جريمة قتل.

ويمكن الأخذ بنظرية الاغتيالات حين يكون الشعب خاضعًا لحكم طاغية مستبد، ففي هذه الحالة يمكن أن يبرز مواطن من صفوف الشعب ويغمد خنجره في صدر الطاغية، ولا ننسى أن شيلر مجد في "غليوم تل" جريمة من هذا النوع.

كان يخشى بين عامي 1919 و1920 أن تلجأ المنظمات السرية إلى سلسلة اغتيالات للإنتقام من مسببي الكارثة ومن مستغلي محنة الوطن، ولو أنها فعلت ذلك لجاء هذا الإنتقام في غير محله .إن أن الماركسية لم تنجح بفضل عبقرية قادتها، بل نجحت لأن العالم البورجوازي أفسح لها مجال العمل بانطوائه على نفسه. وأستطيع أن أفهم كيف يلقي البورجوازي الفرنسي سلاحه أمام رجال من طراز روبسبير ودانتون ومارا، ولكن أليس من العار أن ينحني البورجوازي الألماني أمام أشباه الرجال أمثال شيدمان وارزبرجر وفردريم الببرت وغيرهم من أقزام السياسة؟ لذلك فاغتيال زعيم أو أكثر لن يعود على القضية القومية بأية فائدة ما دام هناك من يستطيع

www.ybu3.com

أن يأخذ مكانه. جميع هذه الاعتبارات جعلتني أعارض مشروع جعل "فرقة الهجوم" ذات طابع سري، وحرصت منذ ذلك الحين على أن لا يعمل أنصارنا في الانتظام في منظمات تعمل في الظلام.

بعد أن قررنا ازالة الطابع السري عن" فرقة الهجوم" وابعادها عن المنظمات الدفاعية، انصرفنا إلى العناية بأمور ثلاثة هي :التدريب، وعلنية الاجتماعات والاستعراضات، واللباس الخاص.
أما التدريب فلم ننظر إليه من ناحية عسكرية بحتة، بل حرصنا على جعله منسجمًا ومصلحة الحزب، فمثلاً أولينا الأفضلية للتمارين الرياضية بدلاً من التمارين العسكرية، فقد كان رأيي دائمًا أن الملاكمة والمصارعة اليابانية أفضل من التدريب على الرماية تدريبًا ناقصًا.

ولإزالة الطابع السري عن الفرقة فقد حظرنا على الرجال التستر والتآمر بعد أن وسعنا نطاقها، وحرصنا على توسيع أفكارهم حتى يشعروا أنهم حماة فكرة مثالية وأعداء عقيدة غريبة تريد بالوطن شرًا.
أما بالنسبة للباس الخاص فقد حرصنا على جعله لائقاً بالرجال من حيث اللون والزي ونوعية القماش.
وفي أواخر صيف 1922 جاءت ثلاث مناسبات كانت بمثابة امتحان للفرقة، فاجتازتها بنجاح باهر أدى إلى نموها وعاد على الحركة بالفوائد الكثيرة. أما المناسبات الثلاث فكانت:
أولاً :التظاهرة التي قامت بها الهيئات الوطنية في ساحة كونيفس في ميونخ احتجاجًا على قانون حماية الجمهورية.

www.ybu3.com

فقد اشترك حزبنا في التظاهرة، ومشى الرجال في صفوف متواصلة، منتظمة وكانت فرق الهجوم الخاصة بمدينة ميونخ تتقدم الصفوف بنظام بديع تحمل على سواعدها خمسة عشر راية. وقد استقبل الشعب هذه الفرق لدى دخولها استقبالاً حماسيًا رائعًا. وكان لي شرف الكلام باسم الحزب فتلوت خطابًا جريئًا ألهب شعوب ستين ألف مستمع.

وفي ذلك اليوم بالذات حاول الحمر التعرض لموكبنا، فتصدت لهم فرقة الهجوم وصفت حسابهم في دقائق. وهكذا أثبتت حركتنا أنها قادرة على النزول إلى الشارع وفرض سيطرتها عليه مزيلة ما كان باقيًا من أوهام في أذهان الشعب حول قوة الحمر في ميونخ.

ثانيًا: زيارة مدينة كوبورغ.

قررت المنظمات "العنصرية عقد مؤتمر ألماني في كوبورغ في تشرين الأول 1922، وقد تلقيت دعوة للحضور مع الرجاء بأن أصطحب معي نفرًا من أنصار الحزب الوطني الاشتراكي. فقررت أخذ ثمانمائة من رجال فرقة الهجوم ونقلهم بقطار خاص من ميونخ إلى كوبورغ. وبناءً على التعليمات المرسلة إلى أنصار الحركة في الأماكن التي مر بها القطار، كان يستقبلنا في كل محطة وفود الوطنيين الاشتراكيين ومعهم أعلامهم، مما كان له أكبر التأثير في نفوس السكان.

ولكن في محطة كوبورغ كانت تنتظرنا مفاجئة مزعجة. فقد استقبلتنا لجنة تنظيم المؤتمر وأبلغتنا أن النقابات المحلية والحزب الاشتراكي المستقل والحزب الشيوعي والسلطات المحلية قررت بالاشتراك مع منظمي المؤتمر

www.vnbus3.com

عدم السماح بدخول المدينة إلا بمجموعات صغيرة بدون أي مواكب أو أعلام. وقد رفضت دون تردد هذه الشروط الغريبة قائلاً أن هذا المسلك غير مشرف وصرحت لهم أن فرق الهجوم ستدخل المدينة صفوفًا متراصة تتقدمها الأعلام والموسيقى. وهكذا كان.

وقبل أن نغادر المحطة وصلت جماهير غفيرة كانت تنتظر إشارة من خصومنا لتتحرش بنا، وراحت تكيل لنا الشتائم لكن فرقنا لم تلتفت إليها واستمرت في تنظيم صفوفها، ووصلت قوات من البوليس ورافقت الموكب إلى قاعة هوفمبروهوس في وسط المدينة، وقد لحقت بنا الجماهير الغاضبة دون أن ترتد عن التحرش بنا. وما إن دخلنا القاعة حتى هجم المشاغبون يريدون اقتحامها، لكن البوليس سارع إلى اقفال الأبواب كمن يريد وضع الاجتماع تحت حمايته، فجمعت الرجال فورًا وطلبت منهم أن يكونوا على استعداد تام ثم طلبت فتح الأبواب حالاً وقلت لقائد البوليس بأننا قادرين على حماية الاجتماع بطريقتنا الخاصة عندما يحين الموعد وأفهمته أننا نريد الذهاب إلى مركز الحزب في كوبورغ. فأمر بفتح الأبواب وسلكنا طريقًا آخرًا متجهين إلى المركز منشدين الأناشيد القومية. ولما وجد الحمر وحلفاءهم أن الشتائم لم تخرجنا عن وقارنا عمدوا إلى رشقنا بالحجارة، فنفذ صبر الرجال وشمروا عن سواعدهم القوية وهجموا على المعتدين وفي أقل من عشر دقائق خلت الشوارع من المشاغبين.

وقد حصلت اصطدامات عنيفة في الليل في عدة أحياء من كوبورغ. وقد اعتدى الحمر على إخوان لنا من أبناء المدينة بشكل وحشي، ولكن رجال

www.vnbus.com

فرقة الهجوم أعادت الكرة عليهم ونظفت الشوارع منهم وسحقت إرهاب الحمر الذي سيطر على كوبورغ لسنوات.

لكن الماركسيون لم يكتفوا بما حصل، فدعوا إلى تظاهرات شعبية يمشي فيها ألوف العمال، وزعمت نشراتهم أن "الوطنيين الاشتراكيين دخلوا المدينة ليقوموا فيها بحملة إرهابية ضد العمال المسالمين" ولما علمت بالخبر أمرت فرق الهجوم بتجهيز ألف وخمسمائة رجل بالاشتراك مع الأنصار المحليين، ومشيت على رأس هذه القوة إلى قلعة المدينة مرورًا بالميدان الذي دعى العمال إلى التجمهر فيه، وقد كان هدفنا تحدي الخصوم وتلقينهم درسًا لا ينسوه. لكننا لم نجد في الميدان إلا بضع مئات من الرجال والنساء والأولاد، فمررنا بهم تتقدمنا الأعلام والموسيقى دون أن يحركوا ساكنًا أو تبدو من أحدهم بادرة عداء.

كان لمظاهرتنا فعل السحر في نفوس السكان، فبعد أن كانوا غير مكترثين لنا وقفوا على الأرصفة يحيونا ويهتفون لحركتنا، كما أنهم شيعونا في المساء لغاية المحطة. وهناك فوجئنا برفض الموظفين المختصين قيادة القطار العائد بنا إلى ميونخ، وكان هذا بتحريض من النقابيين الماركسيين الذين تجمهروا حولنا ليراقبوا تطور الموقف. ولكني فاجأتهم بقولي بأنني لن أتورع عن احتجاز العشرات منهم في إحدى عربات القطار الذي سنتولى نحن قيادته بالرغم من عدم معرفتنا بالقيادة، وإذا تدهور القطار سنهلك ويهلك معنا الذين احتجزناهم، وهذا الاقتراح ينسجم مع مبدأهم في المساواة حتى في الموت. وكان لهذا التهديد نتيجة حسنة إذ تحرك بنا

www.vnbus.com

القطار من المحطة في الموعد المحدد ووصلنا ميونخ في اليوم التالي سالمين.

لم تظهر نتائج رحلتنا إلى كوبورغ دفعة واحدة، ولكن رجال "فرقة الهجوم" عادوا من رحلتهم وقد ازدادت ثقتهم بأنفسهم وبرؤسائهم وكذلك الذين استخفوا بحركتنا في بدايتها، فقد بدأوا ينظرون إلى الحزب الوطني الاشتراكي كمؤسسة قوية ستتمكن يومًا ما من الوقوف في وجه الوباء الماركسي في ألمانيا.

أما انتصارنا في كوبورغ فقد شجعنا على مواجهة الإرهاب الأحمر في كل مدينة وقرية، وتمكنا من سحقه حتى في المناطق الخاضعة لسيطرة الحمر .وهكذا أعاد حزبنا حرية عقد الاجتماعات وتنفس الناس الصعداء في بافاريا لسقوط كابوس الماركسية الرهيب. وما إن انتهى عام 1922 حتى أصبح لدينا أفواجًا جديدة ألفنا منها ومن الأفواج السابقة "جيش الهجوم."

ثالثًا: في آذار 1923 احتل الفرنسيون منطقة الروهر. فأجمعت الأحزاب والمنظمات ذات الطابع القومي على ضرورة جعل المنظمات الدفاعية كوحدات عسكرية ذات طابع هجومي. وقد ساهمنا نحن في ذلك وأتحنا لجيش الهجوم فرصة المساهمة في الدفاع عن شرف الوطن. وما إن انتهى هذا التدبير المؤقت حتى أعدنا لجيش الهجوم طابعه الأول: جندي الحركة وعنوان قوتها وحامي مثاليتها.

www.vnbu3.com

القناع الفيدرالي

كان الشعب في غفلة عن دسائس اليهود، وفي شتاء 1919 حاولنا تنوير الأذهان إلى الخطر اليهودي المتفاقم لكن الناس استنكروا هذه الحملة ونعتونا بالمتعصبين. ولا بد من الاعتراف أن الفضل الأكبر في إثارة المسألة اليهودية يرجع إلى "عصبة الدفاع والهجوم" التي نشأت في العام المذكور، والتي تبنى فكرتها الحزب الوطني الاشتراكي وجعلها محور حركة شعبية واسعة النطاق لكن اليهود علموا بهذا الخطر الجديد فبادروا إلى حماية أنفسهم معتمدين طريقتهم التقليدية. فأثاروا القضايا المذهبية في ثلاث صحف مأجورة ووقفوا يتفرجون على الجدل العقيم بين الكاثوليك والبروتستانت، وعلى ما نجم عن هذا الجدل من انقسام بين صفوف العنصريين القائمين بالحركة اللاسامية.

نسي الكاثوليك والبروتستانت عدوهم المشترك ليقاتلوا بعضهم البعض، نسوا هذا الغريب ذا الشعر الأسود والأنف الطويل الذي يعيش عالة عليهم ويدبر لهم المؤامرات ويلطخ دمهم الآري. نسوا أن اليهودي الوسخ هو عدو المسيحية لا فرق عنده بين كاثوليكي وبروتستانتي، وهو الذي يتجاسر على هدر كرامة الآري النبيل حامل مشعل الحضارة عبر الأجيال.

نسوا كل هذا ليدخلوا في جدل عقيم حول قضايا بعيدة عن جوهر الدين بعد

www.ynbu3.com

الأرض عن السماء، وقامت الصحافة الماركسية والملحدة لتزيد النار اشتعالاً بنشرها آراء الطرفين السخيفة. وبدلاً من أن يبادر العنصريون إلى إخماد النار نزلوا إلى المعترك وأدخلوا الحركة العنصرية في النزاع الديني القائم .وفي هذه الأثناء كان اليهودي يتابع تلويث دم شعبنا وهدر كرامته وتحطيم مصالحه، وكان أعداؤنا في الخارج يقسمون العالم فيما بينهم ساخرين من مشاكلنا الداخلية الحقيرة.

اضطر الحزب الوطني الاشتراكي إلى تحديد موقفه من النزاع القائم بين الفدراليين وأنصار الدولة الموحدة. فقد وجب عليه إبداء رأيه في هذا النزاع دون أن يتدخل تدخلاً فعليًا.

كان علينا والحالة هذه، أن نحدد مفهومنا للدولة الاتحادية لأن هذا التعبير قد أسيء فهمه حتى في عهد بسمارك.

فالدولة الاتحادية هي مجموعة دول مستقلة اتحدت فيما بينها وتنازلت لهذا الاتحاد عن بعض حقوقها كدول ذات سيادة. وهذا التعريف لم يطبق عمليًا في الدول الاتحادية الموجودة، فالولايات المتحدة الأمريكية مثلاً لم تنشأ عن اتفاق دول ذات سيادة باعتبار أن هذه الولايات التي تألف منها الاتحاد لم تكن دولاً ذات سيادة أصلاً، حتى أن بعضها جاء نتيجة الاتحاد نفسه، كذلك الولايات لم تمارس أية سيادة لا قبل الاتحاد ولا بعده، فهي تمارس الحقوق التي حددها لها الدستور وأصبحت كامتيازات محلية.

www.vnbus.com

كذلك لا ينطبق هذا التعريف على ألمانيا انطباقاً تامًا، رغمًا عن كون الدول التي يتألف منها الاتحاد قد سبق قيامها إنشاء الاتحاد. فالرايخ الألماني لم ينشأ عن اتفاق بين الدول الألمانية أو نتيجة تعاون متساوي بينها، بل كان نتيجة تفوق أحدها على بروسيا.

فبروسيا كانت من حيث المساحة أكبر الدول الألمانية، وأكثرها عطاءً، فكان من البديهي أن تتزعم حركة تكوين الدولة الاتحادية، يضاف إلى ذلك أن سيادة الدويلات الألمانية كانت إسمية فقط، وبذلك يمكن القول أن هذه الدويلات تنازلت للاتحاد عن حقوق لم تمارسها أو ربما مارستها جزئيًا.

ليس هناك مجال لبحث قضية هذه الدويلات، وتكفي الإشارة إلى ضعف تركيب هذه الدويلات أن نذكر أن إنشاؤها كان لاعتبارات سياسية محضة وفي أسوأ العهود التي مرت بالرايخ، أي عهود ضعفه وانهياره.

عندما أنشأ بسمارك الرايخ الألماني أخذ هذه الحقائق بعين الاعتبار، فجعل تمثيل دول الاتحاد في مجلس "البوندسرات" متناسبًا مع أهمية كل منها . وكان معتدلاً في تعزيز سلطة الرايخ على حساب الدويلات التي يتألف منها، فما أخذ منها إلا ما كان الاتحاد بحاجة ماسة إليه، كما حرص في نفس الوقت على احترام العادات والتقاليد المحلية. وقد شاء المستشار الحديدي مداراة الدويلات الألمانية تاركًا للزمن إتمام ما بدأ به هو، لأن الطفرة غير مضمونة العواقب، وبذلك برهن عن بعد نظره وسلامة تفكيره. وهكذا نما الرايخ نموًا كبيرًا على حساب الدويلات الألمانية.

www.vnbus.com

أما بعد الحرب والهزيمة، فكان من البديهي أن تفقد الدويلات الألمانية أهميتها بمجرد زوال الأنظمة الملكية، ورأينا الكثير من هذه "الدول الوهمية" تندمج في دول أخرى مجاورة لها أو تتعلق بركابها.

وبالاضافة إلى الضربة القاصمة التي وجهت إلى نظام الرايخ الاتحادي نتيجة لانهيار النظام الملكي، فقد أجهزت على هذا النظام الشروط والالتزامات التي فرضتها معاهدة الصلح. إذ أن الرايخ جرد الدول الألمانية من صلاحياتها المالية عندما فرضت عليه التزامات مرهقة لا يتمكن من احتمالها بالاعتماد على الوسائل العادية المتوفرة لديه. ولم يكن تأميم السكك الحديدية والبريد سوى نتيجة حتمية لسياسة التخاذل التي تبعها الرايخ حيال المنتصرين فقد اضطرته الحاجة الماسة إلى المال ليقوم بالتزاماته إلى أن يضع يده على موارد البلاد كلها.

فلو عرفت الأحزاب الألمانية كيف تنهي الحرب نهاية حسنة لما اضطر الرايخ إلى الاستئثار بالسلطة وتجريد الدول الألمانية من معالم سيادتها إرضاءً للمنتصرين. لكن الأحزاب تجاهلت حقوق الرايخ ومصالحه إبان الحرب وذلك لتلتفت لخدمة مصالحها الخاصة.

إن الذين يبكون اليوم على السيادة الضائعة والحقوق السليبة هم من المنافقين الذين يحاولون تغطية مساوئهم، فهم ساهموا مساهمة مباشرة في القضاء على الأسس التي وضعها بسمارك للدولة الفدرالية، وقاموا

www.vnbu3.com

اليوم باتهام الرايخ بالأنانية ليبرئوا أنفسهم تجاه الناخبين. والأدهى من ذلك أن الأحزاب تحاول أن تضع اللوم على الحكومة الاتحادية في برلين وتعتبرها المسؤولة عن إشراف الرايخ على مالية الدويلات الألمانية، هذا الإشراف الذي أثار الحقد في الأوساط الشعبية.

إن الشعب الألماني لم ينقم على الرايخ لأنه انتزع من الدويلات التي يتكون منها مقومات سيادتها، بل هو نقم عليه لأنه لم يعبر عن أمانيه، وقد بقي الرايخ الحالي منقومًا عليه من الألمان، ولإن تكن القوانين الاستثنائية والتدابير الإرهابية ضامنة لسلامة المؤسسات الجمهورية، لكن هذه القوانين لن تنجح في تقريبها من قلوب الشعب.

كيف نطلب من الشعب أن يتعلق بالدولة، حينما يشعر أن دولته خاضعة تمام الخضوع للقوى الدولية التي تسببت في خراب بلاده وجرتها إلى هذه النهاية المؤسفة، فقد كان الشعب فخوراً بانتمائه إلى الرايخ الألماني السابق وكان يجد فيه الطمأنينة في الداخل كما يجد فيه مظاهر العظمة والقوة في الخارج. أما الجمهورية فتضطهد المواطن في الداخل بينما تتخاذل حيال الخارج.

إن الدولة القومية النشيطة ليست بحاجة إلى سن القوانين العديدة في الداخل، فالمواطنون يحترمونها ويريدونها وبالتالي يبعدون عن كل ما يسيء إلى سمعتها. لكن الدولة ذات الطابع الدولي تسخر رعاياها بالقوة وتعاملهم معاملة العبيد، لذلك فالنظام الحالي في ألمانيا لا يمكن أن يصف

www.ynbus.com

مواطنيه بأنهم "مواطنون أحرار" فهذا كان شأنهم أيام الرايخ السابق، أما الآن فالجمهورية تستعبد شعبها لخدمة الأجنبي وليس لديها مواطنين ولا هي تملك علمًا قوميًا. أما الرمز الذي اختارته فقد احتقره الشعب ولم يعترف به.

تجد الدولة الحالية نفسها مضطرة إلى تجاهل حقوق الدويلات الألمانية لا لاعتبارات مادية فحسب، بل لاعتبارات سيكولوجية. فهي حين تتبع طريقة إرهاق الشعب بالضرائب والكبت والتضييق على الحريات تخشى انفجار النقمة الشعبية يومًا ما وتتحول إلى ثورة مكشوفة، وهي تجنح تدريجيًا إلى الاستئثار بالسلطة كلها منتزعة من حكومات الدويلات الألمانية البقية الباقية من معالم السيادة.

من الواضح أن دول العالم المتمدن تتجه إلى المركزية، وألمانيا لن تشذ عن هذا التطور. فالتشبث بسيادة الدويلات في الرايخ الألماني هو السخف بعينه، سيما والدويلات هذه قد فقدت أهميتها ومرتكزها الأساسي لسيادتها "الملكية". فالنظام الفدرالي كان له ما يبرره حين كانت وسائل النقل والمواصلات بطيئة، أما اليوم فبفضل المخترعات الحديثة اختصرت المسافات الطويلة وأصبح بالامكان الانتقال من ميونخ إلى برلين في ساعات معدودة.

إذن فالاتجاه نحو المركزية هو تطور لا بد منه. أما نحن الوطنيين الاشتراكيين نجد أنفسنا مجبرين على محاربة هذه المركزية حين تتم في

www.ynbus.com

الوقت الحاضر لمصلحة دولة تسيء استعمال سلطتها .فالرايخ الحالي لم يؤمم مثلاً السكك الحديدية تمشيًا مع نهج قومي واضح نبيل، لكنه اعتمد التأميم لينفذ شروط المنتصرين وينزل عند رغباتهم.

لذلك وجد حزبنا نفسه معاديًا للمركزية. وهناك سبب آخر لمعاداة المركزية، فهي قد تؤدي إلى تقوية نظام حكم معين كان ولم يزل وبالاً على الأمة الألمانية. ولما كان هدفنا الرئيسي القضاء على النظام "الديمقراطي اليهودي" وإقامة دولة عنصرية يتوفر فيها للشعب جو العمل والإبداع، فقد قررنا والأحزاب البافارية، التي بدأت تتبرم بازدياد صلاحيات الرايخ الجديد، وتعادي المركزية. وقد حاولنا رفع القضية إلى مستوى رفيع يجعل منها قضية قومية وألمانية بعكس ما يريدها "حزب الشعب البافاري" قضية محلية ذات طابع خاص.

وهناك سبب آخر لا يقل أهمية عن السببين السابقين، فقد تجمع لدينا أكثر من دليل على أن اليهود هم وراء جنوح برلين نحو المركزية المطلقة، وأن ما يدعى" بالتأميم من أجل الرايخ الألماني" لم يكن في الحقيقة إلا محاولة لسحب المشروعات الكبيرة من الدويلات ليتمكن اليهود والأحزاب التي يوجهونها من استثمار تلك المشاريع بأنفسهم ولمصلحة مؤيديهم. فبعد تأميم البريد قامت السلطات بطرد موظفي الإدارة القدامى وعينت مكانهم أشخاصًا تثق بهم وبولائهم للجمهورية، وعهدت لفريق من الخبراء اليهود بعملية الاشراف على الاستثمار.

www.ybus.com

يجب أن لا نفسر محاربتنا للمركزية بأنها محاربة للمبدأ بحد ذاته، فنحن من محبذي توسيع صلاحيات الرايخ، لأن الدولة نفسها ليست أكثر من شكل، أما الجوهر الذي يحتويه هذا الشكل فهو الشعب. ومن الواضح أن مصلحة الدولة يجب أن تخضع لمصلحة الشعب وتنسجم معها. ولما كانت النزعات الخاصة لكل دويلة من الدويلات الألمانية تتعارض ومصلحة الشعب الألماني، فنحن نكون ضد هذه النزعات ولا نعترف للدويلات بحقوق الدولة ذات السيادة، ونطالب بمنعها من تبادل الممثلين الدبلوماسيين مع الخارج. باعتبار أن هذه النزعة الخاصة تكشف عن ضعف الرايخ في العواصم الأجنبية وتغري به الطامعين.

فالدولة القومية التي نطمح إليها إنما هي دولة موحدة لن تعتبر المركزية كوسيلة للاستئثار بالمنافع، ولن تعمل على القضاء على ميزات البافاريين وأبناء الساكس والبروسين وغيرهم. فهي ستشجع مثلاً بقاء ميونخ عاصمة الفن الألماني الرفيع، وليزيغ عاصمة العلوم، ولكنها بنفس الوقت لن تسمح بأن يكون لبافاريا جيش ذو طابع بافاري وللساكس جيش ذو لباس وأعلام خاصة به. فالجيش الألماني في الدولة القومية يجب أن يبقى بعيدًا عن التيارات الخصوصية لأن الدولة القومية ستجعل منه بوتقة تنصهر بها النزعات المختلفة، فينسى الجندي البافاري أن له وطنين، بافاريا والرايخ، فيعتز بأنه ينتسب إلى الأمة الألمانية.

قلت أن الحزب الوطني الاشتراكي هو ضد المركزية التي تتم لمصلحة الرايخ الحالي. لكن الحزب يرحب بكل خطوة تخطوها الجمهورية لتنظيم

www.vnbus.com

الجيش واخضاعه للمركزية. أليس من العار أن يبقى الجندي البافاري في ثكنة ميونخ والجندي من وارتمبوغ في ثكنات شتوتغارت وأبناء إمارة فرنكوني في ثكنات نورمبرغ؟ ألا يكون أفضل للبافاري أن يتاح له فرصة زيارة بلاده فيرى تباعًا رينانيا وستفاليا ومنطقة بحر الشمال؟ وأن نتيح لابن هامبورغ رؤية الألب ولابن بروسيا الإقامة في ميونخ لبعض الوقت؟

إن الدولة التي ندعوا لها بالمركزية هي التي تكمل ما بدأه بسمارك دون أن تتعرض للطابع الخاص لكل جزء من أجزاء الوطن الألماني، وهي التي تحمل هذه الأجزاء على التنازل بمحض إرادتها واختيارها عن آخر حق من حقوقها في السيادة.

هذه الدولة التي نطلب هي الدولة العنصرية التي تسود فيها العقيدة الوطنية الاشتراكية.

أخيرًا يتهمنا الانفصاليون في بافاريا أننا نعمل لمصلحة برلين بينما يتهمنا الحمر بأننا انعزاليون متعصبون، كذلك تتهمنا برلين بأننا نقف في طريق المركزية التي تريدها.

إن الحركة القومية تسخر من الحدود المصطنعة والنزعات المفتعلة لأنها تعمل على تحقيق الوحدة الألمانية الشاملة، والسير بالأمة الواحدة في طريق المجد والعظمة.

www.ynbus.com

هتلر والحركة النقابية

الدعاية والتنظيم

كان لعام 1921 معنىً خاصًا بالنسبة لي شخصيًا وبالنسبة إلى الحركة الوطنية الاشتراكية. فبعد أن أصبحت عضوًا في حزب العمال الألماني اضطلعت بمهمة تنظيم الدعاية للحزب والاشراف على توجيهها، وذلك بعد مضي بضعة أشهر على انضمامي إلى الحزب. وقد أدركت منذ اللحظة الأولى أن مسئوليتي ستتعدى التنظيم والاشراف من الناحية الإدارية، بل ستتعداها إلى نشر الفكرة نفسها، فالدعاية يجب أن تسبق التنظيم لتجمع حول الفكرة أكبر عدد ممكن من الناس. ولم أبدل رأيي هذا فيما بعد لاقتناعي أن الترتيبات المرتجلة لا يمكن أن تنبثق منها منظمة حية، لأن المنظمات تستمد وجودها من كائن عضوي ينمو نموًا طبيعيًا مستمرًا.

عندما يتبنى فريق من الناس فكرة ما نراهم يسارعون إلى تنظيم جمعية أو حزب ينضمون إليه، وهذا التطور السريع له ميزته الكبرى، ولكن في أغلب الأحزاب تبرز في هذه المنظمة أو الحزب شخصية موهوبة تصلح للزعامة فتفرض نفسها والحركة لا تزال في بدايتها وتعمل على رسم سياستها وتوجيهها. لكن هي الاستئثار قبل أن تنتشر الفكرة بشكل كافي يؤدي في أغلب الأحيان إلى نتائج سيئة ويكون وبالاً على الفكرة وعلى الحزب الذي يأخذ بها.

www.vnbus.com

لذلك يجب العمل على نشر الفكرة أولاً، وحين تجمع حولها عددًا ضخمًا من المؤيدين، يمكن البحث عن الأشخاص المؤهلين للزعامة. ويخطئ من يعتقد أن العلوم النظرية تكفي للشخص بأن يصبح مؤهلاً لاحتلال مركز الزعامة، فالمفكرون لم يصلحوا للتنظيم لأن عظمة المفكر ومؤسس المنهج تقوم على المعرفة وسن القوانين لكن المنظم يجب أن يكون رجلاً عمليًا مطلعًا على نفسية البشر ليعالج القضايا بشكل موضوعي، ولا يسقط من حسابه، في محاولته إنشاء منظمة حية، الضعف البشري والنزوات الحيوانية.

من النادر أن نجد صاحب فكرة مؤهلاً للزعامة. ولكن باستطاعتنا إيجاد زعماء بين صفوف المحرضين مثلاً لأنهم يكونون أعلم من غيرهم بنفسية الجماهير نتيجة احتكاكهم بها. فالمفكر دائمًا منطوي على نفسه مستغرق في تأملاته بمعزل عن الناس. فالتوجيه والقيادة يعنيان تحريك الناس أو الشعب. أما موهبة خلق النظريات والمباديء فإنها لا تؤهل صاحبها للزعامة.

لقد اجتهد فريق من المتناظرين أنفسهم في نقاش طويل حول مسألة عقيمة هي: من يستحق شكر الإنسانية، صاحب الفكرة أم منفذها؟ وقد سهى عن بالهم أن أعظم الأفكار تبقى بدون قيمة إن لم يخلق لها زعيم يتمكن من جذب الجمهور إليها، كما أن أقدر الزعماء وأذكاهم يبقى عاجزًا عن توجيه حركة لا يضع أهدافها رجل مفكر. ولكن إذا اتفق واجتمعت في شخص واحد مواهب الفكر والتنظيم والزعامة، وهذا نادر، انبثق من هذا

www.ybu3.com

الاجتماع الرجل العظيم- الفوهر-

قلت أنني انصرفت إلى تنظيم الدعاية وقد وضعت نصب عيني توفير نواة العتاد البشري الذي يمكن اعتماده كأساس للعمل المنظم. وبتوفر النواة تألفت العناصر الأولى للمنظمة، فقسمناها إلى قسمين: الأنصار والأعضاء. وأصبح من واجب الدعاية حشد الأنصار، ومن واجب المنظمة نفسها كسب الأعضاء أما الفرق بين الأنصار والأعضاء فهو أن الأنصار تؤيد مبادئ الحركة وأهدافها، أما الأعضاء فهم الذين يجاهدون في سبيل هذه الحركة.

إن عمل الدعاية هو في كسب الأنصار، وعمل الأعضاء هو اختيار الأنصار وجعل المناسب منهم عضواً في الحركة ولا يتطلب من الأنصار أكثر من الأخذ بالفكرة ولكن العضو عليه أن يمثل هذه الفكرة ويدافع عنها وينشرها. لذلك كان الأعضاء قلة في المنظمة وكان الأنصار أكثرية ساحقة.

كان على الدعاية التي عهد إلي بتنظيمها وتوجيهها أن تجمع الأنصار للفكرة، وبعد ذلك تختار الحركة الأعضاء من بين هؤلاء الأنصار، ولم يكن على الدعاية أن تعرقل هؤلاء الأنصار وتصنفهم حسب كفاءاتهم ومعارفهم، فهذه الغربلة من اختصاص المنظمة نفسها التي يمكنها اختيار الأعضاء الصالحين لتوجيه الحركة والسير بها إلى النصر.

****

تعمل الدعاية على نشر فكرة ما بين الشعب كله، أما المنظمة فلا تدخل

www.vnbu3.com

لديها إلا الذين لا يستطيعون، لأسباب سيكولوجية، أن يقفوا حجر عثرة في طريق انتشار الفكرة.

***

تدخل الدعاية في ذهن الشعب فكرة من الأفكار وتعمل على ترسيخها في أذهانهم معدة إياهم ليوم النصر .أما المنظمة فتكافح في سبيل النصر معتمدة على هؤلاء الأنصار وخاصة على الذين يتصفون بالشجاعة والإقدام.

***

يتوقف انتصار الفكرة على مدى النجاح الذي تحرزه الدعاية في كسب الأنصار. أما انتصارها فيبقى مرتبطًا بتنظيم الهيئة التي يعهد إليها قيادة النضال.

تظل الحركة بحاجة إلى العديد من الأنصار مهما بلغ عددهم، ومتى تمكنت الدعاية من اقناع شعبًا كاملاً تتمكن بالتالي المنظمة من استغلال هذا النجاح بقبضة من الرجال. لذلك فإن كل خطوة موفقة تقوم بها الدعاية تخفض من عدد الأعضاء العاملين، أما وبحال فشلت الدعايات المنظمة فإن الحركة ستحتاج إلى جهاز أكبر من الموظفين والأعضاء. لذلك يمكن القول أن عدد الأنصار يزداد نتيجة فشل الدعاية وينقص نتيجة نجاها.

***

أول مهمات الدعاية اجتذاب الناس إلى الحركة، وأول مهمات المنظمة كسب هؤلاء الناس ليتابعوا الدعاية وثاني المهمات الدعائية هي إثارة النقمة على الأوضاع السائدة واقناع الناس باعتناق العقيدة الجديدة. أما

www.ybu3.com

مهمة المنظمة الثانية فهي الجهاد من أجل القوة لاستخدامها في تهديم أسس الأوضاع السائدة ونصرة العقيدة الجديدة.

***

يضمن النجاح لحركة ثورية جديدة إذا مهد لها بتعليم الشعب كله مفهومًا جديدًا للكون والحياة. أو حتى بفرض هذا المفهوم فرضًا عند اللزوم، ففي كل حركة ذات أهداف انقلابية يجب على الدعاية أن تقوم بنشر مباديء تلك الحركة وتشرحها وترسخها في عقول الناس، أو على الأقل تسعى لزعزعة العقائد القديمة .والدعاية بحاجة إلى مرتكز قوي يمكن توفيره بواسطة قوة المنظمة التي تعتبر كمرتكز للدعاية وعلى المنظمة أن تختار أعضاءها من بين الأنصار الذين استمالتهم الدعاية إلى صفوف الحركة الجديدة. وتشتد قوة المنظمة حين يقبل الناس على اعتناق الفكرة كما يتسع نشاط الدعاية حين يكون وراؤها منظمة قوية.

***

على المنظمة أن تسعى دائمًا لمنع ظهور أي خلافات بين أعضائها، تلك الخلافات التي من شأنها إحداث شقاق يؤدي إلى إضعاف الحركة، وبالتالي عليها أن تسهر على الإبقاء على روح الكفاح مشتعلة لتقوى وتزداد يومًا بعد يوم. ولتحقيق هذا الغرض المزدوج لا تحتاج المنظمة إلى زيادة مطردة في أعضائها، لأن الحزم والشجاعة هما من صفات القلة المختارة، وفي التاريخ أكثر من دليل على ما آلت إليه الحركات التي نمت بسرعة من ضعف وتفكك، لأنها فتحت ذراعيها بعد نجاحها للذين رفضوا الاعتراف بها ومساعدتها قبل أن تبلغ هذا النجاح.

www.vnbus.com

إن الحزب ذو الأهداف الانقلابية سيفقد طابعه الثوري حين يزداد عدد أعضائه بصورة غير طبيعية على أثر احرازه انتصارًا حاسمًا. لأن الجبناء والأنانيين الذين وقفوا موقفًا لا مباليًا من الحركة أثناء كفاحها الأول لا بد لهم بعد انتصارها من التزلف لها وخطب ودها. فإذا هي قبلت بهم وأدخلتهم في منظمتها فسرعان ما يحولوها عن أهدافها الحقيقة ويسخروها لخدمة مصالحهم الخاصة.

لذلك كان على إقناع رفاقي بوجوب إقفال الباب في وجه الجمهور حين نحرز أول انتصار حاسم لنا، لنتمكن من المحافظة على النواة السليمة والخيرة التي أوكلنا إليها مهمة القيادة والتوجيه والسعي لتحقيق أهداف الحركة.

***

باشرت بإعداد الأفكار الجديدة للحركة الوطنية الاشتراكية .بصفتي مديرًا للدعاية في الحزب، وحرصت في نفس الوقت على تصفية العناصر المائعة والمترددة والخائفة وإقصائها عن اللجان التنفيذية والهيئات العاملة. وقد أقر لي المئات من الأنصار أنهم مع كونهم مخلصين للحركة كأعضاء عاملين، وذلك لاعتبارات شخصية أو خوفًا من المتاعب التي هم بغنى عنها. فلو فتحنا مجال الدخول لعضوية الحزب أمام هذا النوع من الأنصار المترددين لكنا فضينا على الحركة في مهدها ولأصبحت حركتنا حركة إخاء وحب وتقوى.

وقد ترتب على إعطاء الشكل النضالي الحي لحركة الدعاية التي تسلمتها،

www.ynbus.com

ترتب على ذلك اظهار الحركة الوطنية الاشتراكية بمظهر التطرف، مما أقصى عنها الاتكاليين والوصوليين والانتهازيين وضعفاء النفوس، وجعل عضويتها وقفًا على المتصفين بالجرأة والإقدام.

في صيف عام 1921 لجأ فريق من العنصريين النظريين إلى الاتفاق مع رئيس الحزب لوضع أيديهم على الحركة والانحراف بها عن غايتها. لكننا أحبطنا المحاولة وانتخبتني الجمعية العمومية رئيسًا للحركة وأعطتني صلاحيات مطلقة للعمل. وفي نفس الوقت وافقت الجمعية العمومية على مشروع نظام يخول الرئيس المنتخب صلاحيات جديدة ويحد بالتالي من صلاحيات اللجان والهيئة المركزية أي مكتب الحزب. وقد بدأت عهدي الجديد بإعادة تنظيم الحزب لأن الحركة كانت قد تبنت الأنظمة التقليدية ووزعت السلطة بشكل ضاعت معه المسؤوليات.

ففي عامي 1920 -1919 قامت بإدارة الحركة لجنة انتخبتها مجالس الأعضاء. وكانت هذه اللجنة تتألف من رئيس ورئيس ثاني وأمين صندوق وأمين ثاني وأمين سر ومعاون، يضاف إليهم جميعهم لجنة من الأعضاء ورئيس شئون الدعاية وغيرهم وغيرهم.

وكانت هذه اللجنة المنتدبة صورة مصغرة لما كانت الحركة تحاربه، أي النظام البرلماني. وكانت اجتماعات اللجنة صورة طبق الأصل عن جلسات البرلمان، فالقرارات تتخذ بالأغلبية والمسؤولية تائهة ضائعة وكذلك المؤهلات.

www.ybus.com

وكان للجنة أمناء سر وأمناء صندوق وهيئة لتنشئة الأعضاء الجدد وهيئة للدعاية وغير ذلك. وكان هؤلاء يشتركون جميعهم في دراسة القضايا المعلقة ويصوتون عليها. وهكذا كان الرجل المختص في شئون الدعاية والتنظيم.

لقد انتقدت هذه الفوضى حين كنت عضوًا عاديًا، وبعد أن كلفت بشئون الدعاية انقطعت عن حضور الاجتماعات، ومنعت أعضاء اللجنة من التدخل في الحقل الذي أفردته الحركة لنشاطي.

وما إن انتخبت رئيسًا وخولت الصلاحيات الكاملة بموجب النظام الجديد حتى باشرت بوضع حد للفوضى السائدة، وحصرت المسؤوليات بي شخصيًا .وابتداء من شهر أيلول 1921 أصبح الرئيس الأول هو المسؤول الوحيد عن الحركة. فهو الذي يكلف أعضاء اللجنة بمهامها، ويختار معاونيه ويوجههم ويعتبر كلاً منهم مسؤولاً تجاهه عن المهمة التي كلف بها، وسرعان ما ألفت الحركة مبدأ المسئولية المطلقة. أما الأقلية التي لم ترق لها الأوضاع الجديدة فقد طردتها من الحزب وبلغت جميع الفروع بوجوب طرد كل عضو يحن إلى مبدأ الأكثرية، لأن الحركة التي أخذت على عاتقها محاربة النظم البرلمانية يجب أن تحرر نفسها من تلك النظم قبل تحرير البلاد. وقلت في خطابي الذي ألقيته في الجمعية العمومية أن الحركة التي تقوم في زمن طغى فيه مبدأ الأكثرية على مبدأ مسؤولية الفوهرر، هي الحركة المؤهلة لتغيير الأوضاع القائمة وإنشاء

www.vnbus.com

نظام جديد يصلح ما أفسدته الأنظمة القديمة.

عندما انضممت إلى الحزب في خريف 1919، كان عدد الأطباء المؤسسين ستة فقط. ولم يكن للحزب مكتب ولا موظفين حتى ولا أدوات للكتابة، وكانت اللجنة المؤسسة تعقد اجتماعاتها في المقاهي أو الحانات. ولكن منذ أن انضممت إلى الحزب حاولت أن أجد مكانًا يصلح لعقد الاجتماعات. وكان علي أن أراعي حالة الحزب المالية فلا أرهق ميزانيته في المصاريف، فوجدت حانة سترينكر في شال" ثال" حجرة كانت ملتقى مستشاري "الامبراطورية المقدسة" في بافاريا كلما أرادوا عقد اجتماع سري.

كانت الغرفة مظلمة تطل نافذتها الوحيدة على زقاق ضيق، حتى أننا كنا نلاقي صعوبة في تبين طريقنا إلى الباب في النهار. ولم يكن باستطاعتنا استئجار مكان أنسب منه باعتبار أن وضع صندوق الحزب لا يسمح بذلك. ومع هذا كان ما حققناه في هذا المضمار يعتبر خطوة لا بأس بها. ولم تمضِ مدة طويلة حتى أوصلنا الكهرباء إلى الغرفة المظلمة وكذلك حصلنا على هاتف خاص كما تبرع بعض الرفاق المقتدرين بشراء مكتب وبضعة كراسي وخزانة صغيرة. ولما لم يكن للحزب موظفون للأعمال الروتينية فقد اقترحت تعيين أمين سر للحزب فوقع اختيارنا على أحد أصدقائي القدامى وهو جندي قديم يدعى شوسلر الذي اضطلع بأعباء المهمة دون أن ينفك عن عمله. فكان يعمل في المكتب ساعتين يوميًا من السادسة صباحًا حتى الثامنة، ثم ازدادت مسؤولياته كأمين سر وذلك بازدياد نشاط

www.vnbus.com

الحزب واتساع نطاق عمله فترك عمله الخاص وحصر نشاطه في خدمة الحزب، واستجلب آلة ناسخة كان يمتلكها ووضعها في المكتب لتساعده في عمله، ولكن الحزب اشتراها منه بأموال التبرعات، كما اشترى صندوقًا حديديًا لحفظ الملفات والوثائق الهامة.

وفي نهاية عام 1920 انتقلنا إلى مكتب جديد في شارع كورينوس مؤلف من ثلاث غرف وقاعة كبيرة. وفي شهر كانون الأول من العام نفسه عمل الحزب الوطني الاشتراكي على اصدار جريدة، فأخذ على عهدته إصدار جريدة "فولكيشر بيوباختر" التي كانت تعطف على النزعة العنصرية فبدأنا بإصدارها نصف اسبوعية إلى أن أصدرناها في مطلع عام 1923 يومية وبحجم كبير .لكنها كانت الجريدة الوحيدة ذات الميول العنصرية في بلد تتلاعب بعقول سكانه الصحافة اليهودية المضللة .وقد شعرت في اللحظة الأولى لانتقال الجريدة إلى الحزب أنها أضعف من أن تثبت ضد حملات الصحف المعادية وأن تنافسها من حيث الانتشار والرواج. أما سبب الضعف فيعود إلى قلة الامكانات المالية وقصر نظر القائمين على إدارة الصحيفة. فقد اعتقد هؤلاء أن جريدة الحزب يجب أن تكتفي بمواردها الخاصة، أي بما تجنيه من أجور اشتراكات واعلانات ومبيعات. أما أنا فقد اعتبرت الجريدة مشروعًا تجاريًا وقد ناقشت اللجنة المركزية مرارًا إلى أن أقنعتها وحملتها على الأخذ بوجهة نظري، فعملت بعد ذلك على اختيار مدير تجاري لجريدة الفولكيشر بيوباختر. وشاءت الظروف أن يضع في طريقي أحد الرؤساء في خط النار "ماكس امان" وهو

www.vnbus.com

رجل يتمتع بمواهب تنظيمية خارقة، وكان الحزب في ذاك الوقت يجتاز مرحلة دقيقة ويعاني أزمة مالية خانقة. فناشدته أن يدير شئون الحزب المالية والتجارية، فوافق بعد تمنع كثير بسبب مشاغله الكثيرة الناجحة التي كانت تأخذ كل وقته. لكنه اشترط للاضطلاع بهذه المهمة أن تطلق يده في العمل، فلا تتدخل اللجنة في عمله ضمن الحزب.

وقد تولى ماكس امان الاشراف على الجريدة من الناحية المالية، ولم تمضِ ثلاثة أشهر حتى كانت مالية الحزب منتظمة على أساس تغطية النفقات العادية بالعائدات العادية، وانفاق المداخيل الاستثنائية في الوجوه الاستثنائية. وقد نظم ماكس العمل في الحزب كأنه ينظم عملاً تجاريًا، فأبعد العناصر التي تنقصها الكفاءة من الوظائف في الحزب وفي الجريدة، واستعان في بعض الحقول بأشخاص لهم من الكفاءات والمؤهلات ما ينسجم والمصلحة المالية، رغمًا عن كونهم غرباء عن الحزب. وقد عارض المسؤولون هذا الاسلوب، لكن ماكس لم يلتفت لمعارضتهم هذه باعتبار أن الانتساب للحزب لا يؤهل المنتسب لأداء مهام هو غير كفؤ لها. إلا أن هذا لم يمنعه من الاستغناء عن خدمات الغرباء حين يجد بين الأعضاء من تتوفر فيه الشروط المطلوبة.

وبفضل حزم المدير الجديد للحركة استطاع الحزب أن يتخطى الأزمة المالية بسلام، فازدهرت جريدة "الفولكيشر بيوباختر" وتصدرت مكانها اللائق بين الجرائد الرئيسية في بافاريا، وبعد أن انتخبت رئيسًا للحزب تخلص ماكس نهائيًا من مداخلات اللجنة لأن النظام الجديد وزع

www.vnbus.com

الاختصاص توزيعًا دقيقًا انتفى معه تعارض الصلاحيات، وأصبح كل عضو مسؤولاً عن الحقل الذي تعود إليه إدارته .

وعندما حلت السلطات الحزب يوم التاسع من أيلول عام 1923
وصادرت أمواله وممتلكاته بما فيها جريدة "فولكيشر بيوباختر" بلغت قيمة هذه الممتلكات 170 ألف مارك ذهبي.

www.ybu3.com

الحركة النقابية

في عام 1922 اضطرنا نمو الحركة إلى تحديد موقفنا من قضية لم تظفر حتى يومنا هذا بحل نهائي.

فحين كنا نبحث عن الوسائل التي تمكننا من غزو قلوب الشعب كنا نصطدم باعتراض لا سبيل إلى إنكار أهميته: لا يتمكن العامل أو أي شخص كادح آخر أن ينذر نفسه للحركة التي ندعوا إليها طالما أن مصالحه الاقتصادية ممثلة في أشخاص تختلف آراؤهم السياسية عن آرائنا.

ذلك أن أي عامل أو ذي حرفة لا يتمكن من ممارسة أي عمل خارج النطاق النقابي، فضمن نطاق النقابة يشعر بالاطمئنان إلى وجود حماية له ولحرفته. وعند ظهور حركتنا كان هناك ثمانين بالمئة من العمال وأصحاب الحرف منتظمين في نقابات وجمعيات تعاونية ناضلت طويلاً في سبيل رفع الأجور وتخفيض ساعات العمل.

وقد وقف البورجوازيون، أحزابًا وأفرادًا من الحركة النقابية موقف المتفرج اللامبالي، ولكن ما إن اشتد ساعد النقابات وسيطرت عليها الماركسية حتى وقف البورجوازيون لمحاربتها على الصعيد النظري البحت، عوضًا عن معالجة هذه القضية بروح إيجابية محاولين استمالة هذه الحركة الجديدة إلى جانبهم ليستخدموها في مكافحة الماركسية.

وقد دافعت، في فصل سابق، عن الحركة النقابية واعترفت بحق الطبقات العمالية في التحالف والتكتل والدفاع عن مصالحهم وحقوقهم ما دام هناك

www.vnbus.com

أرباب عمل أنانيون لا يهمهم إلا الكسب المادي ومراعاة مصالحهم الخاصة. ولم تتغير وجهة نظري مذ ذاك الحين لأن عقلية أرباب العمل لم تتغير، لذلك وجب على الحزب أن يحدد رأيه وموقفه من هذه القضية قبل أن يحاول استمالة العمال إلى صفوفه لا سيما النقابيين.

فإن علينا أن نفصل في القضايا التالية:

1- هل من الضرورة قيام النقابات؟

2- أينبغي للحزب النازي أن يعتبر نفسه هيئة تعاونية أم يجوز له أن يعمل على إدخال أعضائه في إطار نقابي معين؟

3- إذا أنشأ الحزب نقابة نازية محضة، فما هي أهداف تلك النقابة وما هي واجباتها؟

أظن أنني وضحت رأيي في المسألة الأولى. حين اعترفت بضرورة قيام النقابات في الأوضاع الراهنة. لأن المؤسسات النقابية تأتي في طليعة المؤسسات ذات الأثر في حياة الأمة اجتماعيًا واقتصاديًا لأن شعبنا يؤمن لسد حاجاته الحيوية ضمن نطاق مؤسسة نقابية معترف بها، لهو شعب قادر على الانتصار في معركة البقاء بفضل تمتعه بقوى روحية ومادية ضخمة.

ولا ننسى أهمية النقابات في البرلمان الاقتصادي الذي يجب أن تؤلفه الغرف التجارية والاقتصادية في الدولة العنصرية.

إن الاعتراف بضرورة قيام الحركة النقابية يجعل المسألة الثانية سهلة

www.ynbu3.com

الحل. فالحركة النازية (وقد أسميناها كذلك منذ عام 1922) التي تهدف إلى إنشاء الدولة العنصرية لن تسمح بوجود مؤسسات على هامش الدولة، بل ستحرص على قيامها جميعًا من صميم الدولة. لكن حركتنا لن تقع في الخطأ الذي وقع فيه سواها، فتحاول إعادة تنظيم الأجهزة قبل أن تحصل على العناصر المؤهلة للتنظيم، لأن القيام بخطوة حاسمة في هذا السبيل يجب أن يسبقه اختيار رجال مشبعين بالفكرة مؤمنين بها. نعم، من الممكن فرض مبادئ زعيم أو دكتاتور على جهاز اجتماعي ما، لكن هذه المبادئ تبقى ضعيفة إذا لم يأخذ بها جيش بشري منتخب وقادر على تحقيق فكرة الفوهرر.

لم تقع النازية في الأخطاء التي وقعت بها الأحزاب في العهد الجديد _العهد الجمهوري_ فقد اعتقدت تلك الأحزاب أن مجرد سنها دستورًا جديدًا للبلاد سيضمن لها الاستقرار والبقاء. وقد رأيناها ترتجل دستور "فيمار" وتقدمه هدية إلى الشعب الألماني، ثم وجدناها تهدم المؤسسات القائمة وتشيد على أنقاضها مؤسسات جديدة تتوكأ عليها الدولة كأسس لسلطتها.

سيكون للدولة النازية مؤسساتها، ولكنها لن ترتجل هذه المؤسسات لأن الحركة الوطنية الاشتراكية لن تبنى على الرمال، ولكنها تنظم نفسها منذ الآن كما لو أنها دولة بكل ما في هذه الكلمة من معنى. وكل مؤسسة نازية تقوم الآن تكون بمثابة النواة لأن تصبح فيما بعد إحدى دعائم الدولة النازية، وهكذا تصبح حركتنا بمنظماتها ومبادئها ومفاهيمها المؤسسة الكبرى التي نعتبر تحقيقها المبرر الوحيد لقيام حزبنا.

www.vnbu3.com

لذلك وجب على الحركة النازية أن تنظم نفسها على أساس التعاون، أو أن تؤسس تعاونيات نازية صرفة، كما ينبغي للحركة النازية أن تربي العمال وأصحاب العمل تربية نازية مسهلة للطرفين سبيل التعاون ضمن إطار المصلحة المشتركة، فبغير هذا التقارب يبقى الجهد المبذول في سبيل بعث الجماعة الشعبية حبرًا على ورق.

بقيت لدينا المسألة الثالثة:
لن تكون الحركة النقابية النازية كجهاز للنضال الطبقي، بل ستكون جهازًا للتمثيل الحرفي. فالدولة النازية لا تعترف بالطبقات ولكنها تعترف من الناحية السياسية فقط بوجود بورجوازيين متساوين في الحقوق والواجبات العامة، وكذلك بوجود رعايا لا يتمتعون من الوجهة السياسية بالحقوق المعترف بها للمواطنين.

فالتعاونية لا تعني بالنسبة للحزب الوطني الاشتراكي أو النازي أداة للنضال، لكنها تعني ذلك بالنسبة للماركسية التي سخرتها في الصراع الطبقي كأداة لتفكيك روابط الجماعة الشعبية، كما استخدمتها اليهودية العالمية في الوقت نفسه كأداة لهدم أسس الاقتصاد القومي لكل دولة مستقلة ليتسنى لها استعباد الشعوب الحرة.

لن يكون الإضراب بالنسبة للنقابات النازية، وسيلة لتخريب الانتاج القومي وتقويض أسسه، بل سيكون الإضراب وسيلة من وسائل الازدهار لهذا

www.vnbus.com

الإنتاج، فبفضل جهاد النازية وكفاحها ضد العوامل المصطنعة التي تفوت على الاقتصاد القومي فرصة الإفادة من نشاط السواد ستبعث بذلك الازدهار والنمو للإنتاج القومي.

يجب علينا أن نرسخ في عقل العامل النازي أن ازدهار الاقتصاد القومي، يفسح له الفرصة للتمتع بالبحبوحة المادية.

يجب علينا أن نفهم رب العمل النازي أن ازدهار مشاريعه تتوقف على اطمئنان عماله إلى مستوى معيشتهم وارتياحهم إلى وضعهم.

في الدولة النازية يمثل أرباب العمل والعمال الشعب الألماني في الميدان الذي يعملون فيه، ويتمتعون بقدر كافي من الحرية الشخصية، لأن إنتاج الفرد يزداد في حال أعطيت له حرية العمل ضمن الحدود التي ترسمها المصلحة العامة.

لكن حق الإضراب تنكره قطعًا الدولة النازية على النقابات إذا كانت أسباب الرفاهية والطمأنينة متوفرة للعامل. ويوم تتجاهل الدولة _سواءً كانت نازية أو غير نازية_ حقوق العمال والكادحين وتعتبر نفسها حامية لمصالح أرباب العمل، يصبح عندئذ الإضراب واجبًا مقدسًا بل من أقدس الواجبات للتعاونيات النازية.

إن المنازعات القائمة اليوم بين ملايين البشر يجب أن توجد لها تسويات

www.ybu3.com

عادلة بواسطة الهيئات الحرفية والبرلمان الاقتصادي المركزي الذي سيضم في كنف الدولة النازية، ممثلين عن الصناعيين والتجار كما يضم ممثلين عن النقابات. وبقيام هذه المؤسسات يجب أن يزول التنازع بين البروليتاريا وأرباب العمل، وبالتالي سيمتنع العمال عن المطالبة برفع الأجور وتخفيض ساعات العمل، كي يتمكن ممثليهم في البرلمان الاقتصادي من حل هذه المشاكل بالاتفاق مع ممثلي الفريق الآخر وذلك لمصلحة الطرفين التي لا تتعارض مع مصالح الدولة.

ولكن كيف يمكننا إنشاء هذه التعاونيات التي تتوفر فيها الشروط المذكورة.

إن وضع الأسس في أرض بكر أسهل من وضعها في أرض سبق استعمالها للغرض نفسه. وليس هناك أسهل من فتح دكان في منطقة خالية من الدكاكين، ولكن فتح الدكان هذا في منطقة تشكو تضخمًا في الدكاكين لهو مغامرة كبرى، لا سيما إذا كان الدكان يبيع نفس البضاعة الموجودة في الدكاكين القديمة، ففي هذه الحالة يتوجب على الجديد أن يضاعف جهوده ليتمكن من الثباب، كما يتوجب عليه السعي لإزالة المزاحمين من طريقه. وهذا ينطبق على النقابات تمامًا، فقيام نقابة نازية إلى جانب نقابات أخرى لن تعطي ثمارها لأن هذه النقابات لن تتسامح مع النقابات الأخرى ولو كانت هذه النقابات صديقة، ولا تدخر وسعًا في سبيل القضاء عليها ليخلو لها الجو، لذلك فقد وجدت حركتنا نفسها أما أمرين.

1- إنشاء تعاونية نازية ومحاربة النقابات الماركسية القائمة.

www.ynbu3.com

2- التسلل داخل النقابات الماركسية ونشر مباديء حركتنا في صفوف النقابيين لكسبهم جنودًا لمثلنا.

لم يكن حزبنا في وضع مالي يمكنه من اعتماد الطريقة الأولى، وكان تدهور النقد الألماني بشكل مطرد من الأسباب التي لم تشجع الحزب على الاغراء بالفوائد المادية للذين تمكن دعوتهم إلى الانتظام في تعاونية وطنية اشتراكية صرفة. يضاف إلى هذا العامل الرئيسي عاملاً آخرًا لا يقل عنه أهمية هو افتقار حركتنا إلى شخصيات قوية يمكن الاتكال عليها في أمور تنظيم الحركة النقابية الوطنية الاشتراكية. ولو وجدت هذه الشخصية وقدر لها نشر فكرة التعاونية النازية والقضاء على النقابات الماركسية، لو وجدت هذه الشخصية لوجب علينا رفعها إلى مرتبة العظماء الألمان وأن نقيم لها تمثالاً في كل مدينة وقرية.

إن الذين يسيطرون على مقدرات النقابات الماركسية ليسوا أفذاذًا، وحتى الذين أنشأوا هذه النقابات ورسموا لها أهدافها لم يكونوا نوابغًا، علماً أن هذه النقابات حين تم إنشاءها لم يكن عليها أن تزيل المنافسين من طريقها، لذلك كانت مهمة الذين أنشأوها سهلة لكن الحركة النازية اليوم تواجه عملاقًا قويًا ثابت القدم متأكدًا من مقدرته على الكفاح الطويل.

إن قلعة التعاونية الماركسية يمكن أن يدير شئونها رجل عادي اليوم، ولكن لا يمكن اقتحام أسوارها بحملة من الهجوم العادي، ولكن يجب علينا للوصول إلى هذا الغرض، أن نسلم القيادة إلى رجل عبقري يتصف بالجرأة

www.ybus.com

والحزم. فإذا لم نجد رجلاً كهذا فلا لزوم لنا أن نجهد أنفسنا ونحاول قلب الأوضاع الراهنة.

ألا يكون أفضل التخلي عن مشروع ما بدلاً من تحقيقه بشكل ناقص لعدم وجود الامكانيات؟

كان وراء تخلينا عن اعتماد الطريقة الأولى أسبابًا أخرى منها اقتناعنا التام بأن إدخال الاقتصاد في نشاطنا النضالي من شأنه إضعاف هذا النشاط. إذ يكفي أن تقول الدعاية أنه بوسع الفرد الألماني يبني بيتًا إذا هو اقتصد قليلاً، يكفي هذا القول ليتحول الفرد الألماني بكل اهتمامه إلى هذه الناحية وينصرف عن السياسة انصرافًا كليًا، ويرفض أن يمد يد المعونة إلى الذين يناضلون في سبيل القضاء على اللصوص الذين يسلبون المواطنين أموالهم التي وفروها.

كان رأيي في الاجتماعات الحزبية أن حركتنا لا تزال فتية وطريق الكفاح أمامها لا يزال طويلاً، فعليها قبل أن تجابه الحركات النقابية الماركسية وغيرها من الذين يدورون في فلكها على الصعيد الاجتماعي الاقتصادي أن تعمل أولاً على نشر مبادئها ودعوة الشعب إلى اعتناق هذه المبادئ، ولن تتمكن الوطنية الاشتراكية من النجاح إلا بعد أن تجند جميع قواها لهذه المهمة، أما إذا وزعت قواها واعتنت بالاقتصاد والسياسة معًا، فإنها ستخسر المعركة في الميدانين.

بقيت الطريقة الثانية وهي ذات اتجاهين: فإما أن ندعوا الوطنيين

www.ybu3.com

الاشتراكيين إلى ترك التعاونيات التي هم أعضاء فيها، أو نطلب منهم البقاء فيها ليحاولوا بنشاطهم هدمها .وقد اقترحت الاتجاه الثاني، وكان رأيي دائمًا أن الاعتناء بالحركة التعاونية سابق لأوانه، أما حل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية فيجب أن يقوم بها الحزب بعد وصوله إلى الحكم.

وعندما أصر بعض الرفاق على وجوب إنشاء هذه التعاونيات النازية ودعمت الأكثرية هذا الاقتراح حدث الإنقلاب في الحزب وانتخبت أنا رئيسًا له. فاستبعدت الفكرة نهائيًا وأوضحت في نشرة دورية أن تعاونية نازية تكون مهمتها الوحيدة منافسة التعاونيات الماركسية لن تفيد حركتنا شيئًا، كما أن الحزب بوضعه المالي الراهن لا يتحمل أعباء مالية جديدة لإنشاء تعاونيات تصلح للوقوف في وجه الحركة النقابية اليسارية، لأنه يفتقر إلى المغريات ولأن أنصاره من الكادحين لم يتشبعوا بالفكرة الوطنية الاشتراكية بشكل كافي، بحيث يمكنهم فهم رسالتهم كنقابيين نازيين، بأنها كفاح مرير لأشد النقابات الماركسية كنقابات فحسب، بل كعقيدة يجب القضاء عليها.

وأوضحت في نشرة لاحقة أن خصوم الحركة يقولون أن الحزب النازي يناصب الحركة النقابية العداء لأنه ذو ميول رأسمالية، وقلت أن الحركة النازية لم تكن موجهة ضد النقابات من حيث أنها مؤسسات ترعى مصالح العمال، ولكنها ضد النزاع الطبقي وتحارب كل تجمع نقابي يقوم على هذا الأساس.

***

إن الأحزاب التي قامت بعد الحرب لم تكن تدري بهذه الحقائق التي

www.ybus.com

عرضتها، فحاولت أن تقلد الماركسيين في الحقل النقابي .وأنشأت بين 1919- 1922 ست نقابات يمينية ونقابتان مستقلتان، إحداهما نقابة عمال الصناعات الخفيفة. ولكن جميع هذه المؤسسات لم تدم طويلاً، لأنها كانت بحاجة إلى التنظيم وإلى المثالية، ولأن الذين أنشأوها كأداة لمحاربة الماركسيين لم يحسنوا تقدير قوة خصمهم الذي سحقهم سحقًا حين تحرشوا به، ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك.

www.ybu3.com

سياسة المحالفات

لم يكن لحكومات الرايخ أي نهج تسلكه في سياستها الخارجية، لم يكن لديها مبادئ ترتكز عليها سياسة المحالفات التي تنسجم ومصالح البلاد .

أما الثورة فلم تفعل شيئًا بل تركت الفوضى تدب في الصفوف، لأنه لم يكن من أهداف الماركسيين واليهود في وقت من الأوقات النهوض بالدولة الألمانية وتقويتها في الداخل والخارج باتخاذ سياسة بناءة مستوحاة من مصالح الشعب الألماني، بل كان أول أهداف مجرمي تشرين الثاني 1918 القضاء على الانتاج في ألمانيا واخضاع البلاد لسيطرة الرساميل الدولية. ولم يسهى عن بال رجال الثورة أن تخلص الرايخ من القيود التي فرضها عليه المنتصرون يعني زوال نجمهم هم، لأن تحرر البلاد من السيطرة الأجنبية يفسح أمامها طريق الحرية لتتمكن من إعادة الأمور إلى مواضعها وذلك بطرد الخونة والمغامرين الدوليين. ذلك أن الشعب الناهض لتحرير نفسه ينمو فيه الشعور الوطني نموًا عجيبًا وتستيقظ حواسه إلى كل نشاط للعناصر الغير قومية، فيحاربها دون هوادة. والشعوب تنتفض دائمًا هذه الانتفاضة كلما واجهت ضغطًا أجنبيًا يؤدي إلى تفجير الأحقاد الداخلية، فيصب الرأي العام جام غضبه على الفئات الموالية للأجنبي أو التي تقف في سبيل نهضته القومية.

وقد أدركت الطفيليات التي استغلت حوادث تشرين الثاني أن سياسة المحالفات إن كانت رشيدة فستقوي الشعور الوطني وتعيد الثقة إلى نفوس

www.ybu3.com

الألمان فيعيدونها إلى القعر الذي خرجت منه ويخلصون البلاد من آثامها. وهذا ما يبين لنا سبب تخبط السياسة الخارجية الألمانية بعد الحرب وسلوكها السبيل الأعوج، وسوء الإدارة الداخلية وتجاهلها لمصالح الأمة الحيوية.

لم تكن الحكومات مسؤولة لوحدها عن هذا الوضع الشاذ، فقد شجعها على تجاهل مصالح البلاد البرلمان المؤلف من أكثرية لا قومية، والشعب الذي ضرب رقمًا قياسيًا في الصبر وطول البال. ولا بد من الإقرار أن حزبنا لم يهتم بالسياسة الخارجية اهتمامًا كبيرًا وهو بعد حركة ناشئة تحاول أن تثبت وجودها. وكانت حجتنا أن كسر القيود التي فرضها الأجنبي لا يتم إلا بعد القضاء على الضعف الداخلي والإطاحة بالذين يستغلون هذا الضعف. لذلك ركزنا الاهتمام على الاصلاح الداخلي أولاً والشئون الخارجية ثانيًا.

وعندما قويت الحركة وازداد عدد أنصارها وجدت نفسها مضطرة إلى تحديد موقفها من المسائل التي كانت تثيرها معاهدات الصلح، وهي لم تكتف بهذا القدر، بل عمدت إلى وضع الأسس التي يجب أن تتمشى عليها السياسة الخارجية الألمانية، دون أن تبتعد عن المخطط العام الذي ترتكز عليه مفاهيمنا العقائدية.

كان على حركتنا أن تثقف الشعب وتدل المسؤولين إلى الطرق الواجب اتخاذها ليتمكن شعبنا من استخلاص حقوقه واستقلاله. وقد وضعنا أمامنا المبدأ الأساسي التالي:

السياسة الخارجية هي الواسطة لبلوغ غاية سامية. والغاية هي خدمة

www.vnbus.com

مصالح الشعب. فكل مسألة من مسائل السياسة الخارجية يجب أن تراعي بحلولها مصلحة الشعب في حاضره ومستقبله وأن تنبذ كل حل يعود بالضرر على هذه المصلحة.

هذا هو الاعتبار الوحيد الذي يجب علينا أن نقف عنده والذي تسهل أمامه جميع الاعتبارات الأخرى من دينية وإنسانية وغيرها.

***

قبل الحرب كان على السياسة الخارجية أن تهتم بتوفير الغذاء لشعبنا بتمهيد السبل الموصلة إلى هذه الغاية، وأن تؤمن للرايخ قوة إضافية باعتمادها نظام محالفات مستوحى من الاختبارات. وقد بقيت هذه المهمة عينها بعد الحرب مع فارق واحد، فقبل 1914 كان على ألمانيا أن تحافظ على كيان الشعب وتؤمن له مسببات البقاء، معتمدة على دولة قوية ومستقلة، أما اليوم فعلينا أن نعيد إلى شعبنا المقدرة على بعث الدولة القوية الحرة، فبدون هذه الدولة القوية لا يمكن ممارسة سياسة خارجية قادرة على صون كيان الشعب وتأمين غذائه وأسباب نموه.

ومجمل القول: يترتب على سياسة ألمانيا الخارجية في الوقت الحاضر أن تهيء للشعب الألماني السبل التي يجب عليه أن يعتمدها ليستخلص استقلاله ويسترد اعتباره وحريته .ولا يسهى عن بال الذين يهبطون العزائم بآرائهم السخيفة أن توحيد أراضي الدولة ليس بالشرط الأساسي لنجاح الثورة التحررية، فيكفي أن يحصل على الحرية جزء صغير من الدولة ليتولى إعداد العدة للكفاح واسترداد حقوق الشعب المسلوبة.

وعندي أن شعبًا يفضل العبودية على رؤية بلاده مجزأة هو شعب لا

www.vnbus.com

يستحق الحرية، وأفضل منه ألف مرة شعب ينهض القسم المتحرر منه لتحطيم الاستعمار وقيادة معركة الخلاص التي تزيح الكابوس عن الشعب كله. ولا يكفي أن يعلن القسم الحر الطليق أن الشعب متحد اتحادًا روحيًا وثقافيًا، بل عليه أن يتخذ الاجراءات الكفيلة بدعم بقية الشعب الذي يرزخ تحت وطأة الظلم فيمده بالسلاح ويدربه على استعماله ويحثه على العمل المشترك لجمع شتات الأمة.

وعندما يكون الأمر متعلقًا بدولة أضاعت جزءً من أرضها، يتوجب على الوطن الأم أن يبدأ باسترداد اعتباره واستعادة قدرته السياسية قبل أن يفكر باسترداد الجزء الذي أضاعته. وبكلمة أخرى أن مصالح الأراضي المفقودة يجب أن يضحى بها في مثل هذه الأحوال، وذلك للإلتفات إلى ناحية أهم وهي تحرير الوطن الأم. ذلك أن تمنيات الجزء المغتصب ومعارضة الأجزاء المتمتعة بالحرية لن تفيد شيئًا ولا تؤدي بالتالي إلى تحرير المناطق الخاضعة لسيطرة الأجنبي، فمهمة التحرير مناطة بالأجزاء المتحررة، ولكي تتمكن هذه الأجزاء من القيام بهذه المهمة ينبغي لها أن تقوي نفسها وتزيد من امكانياتها ليصبح في مقدورها يومًا ما أن تحمل السلاح في وجه العدو المستعمر وتجبره على الرحيل.

إن صناعة سلاح الإنتقام والتحرير يجب أن تقوم به سياسة الحكومة الداخلية. كما أن مهمة السياسة الخارجية فتكون في تمكين صانع السيف من العمل في جو يسوده السلام والطمأنينة.

***

www.vnbus.com

في الجزء الأول من الكتاب شرحت العوامل التي انحرفت بسياسة ألمانية الخارجية عن أهدافها قبل الحرب. فقد كان هناك أربع وسائل بإمكاننا اعتمادها كلها أو أحدها في محاولاتنا الحفاظ على كيان شعبنا وتأمين الغذاء له. وقد اختارت السلطة في ذاك الوقت إحدى الوسائل فنهجت سياسة استعمارية وتجارية ظنًا منها أن هذه السياسة لن تشكل خطرًا على ألمانيا ولن تضطرها بالتالي إلى مسك السلاح. ولكن النتيجة كانت اندلاع الحرب العالمية وهزيمة الرايخ.

كان على الرايخ أن يلجأ إلى وسيلة غير التي اتبعها. فكان بإمكانه التوسع في أوروبا نفسها وعلى حساب اوروبا نفسها ومن ثم يفكر بنهج سياسة الاستعمار. أما التوسع في أوروبا فيجب أن يسبقه تفاهم بين ألمانيا وانكلترا أو تخصيص موارد الدولة كلها على تعزيز الجيش بحيث تزداد قوتها العسكرية وتنمو على حساب نشاطها في بقية الحقول ولا سيما الحقل الفكري. لكن الرايخ لم يقدم على هذه الخطوة، وقد سهى عن بال المسؤولين أن النهضة الفكرية هي بنت الاستقلال السياسي، وأن الأمة التي تنتابها الهواجس ويستبد بها القلق على مستقبلها لن تتمكن من تقديم نتاجًا فكريًا ذا قيمة. فالتضحيات مهما كانت قيمتها فإنها تهون في سبيل حرية الأمة، ومتى توفر لدى الأمة قوة عسكرية ضخمة وذهب عنها الخوف أمكنها عند ذلك أن تعوض ما فاتها في ميادين الثقافة. فالنهضة الفكرية في عصر بيركليس جاءت بعد حروب طاحنة بين الاغريق والفرس. وقد رأينا الجمهورية الرومانية تنصرف إلى العلوم والفنون

www.vnbu3.com

وغيرها من ميادين التثقيف حالما تحررت من المخاوف والهموم التي سببتها الحروب.

ولكن هل كان منتظرًا من الأكثرية الجاهلة أو البرلمانيين الثرثارين والساسة الانتهازيين أن يقدموا الأهم على المهم وأن ينشئوا الإعداد العسكري الكافي، مضحين في هذا السبيل بما يعتبره الشعب الجاهل مصالح هامة.

كل هذا كان ممكن تحقيقه على يد رجل مثل فردريك الكبير الذي كان شغله الشاغل تقوية الرايخ، عسكريًا وسياسيًا. أما الذين كانوا يأملون من النظام البرلماني الديمقراطي اليهودي خطوة كهذه فقد كانوا أغبياء حقًا. لأن تقوية الرايخ عسكريًا وسياسيًا هو آخر ما يفكر به البرلمانيون الذين باعوا أنفسهم للشيطان.

دخلت ألمانيا الحرب العالمية دون أن تكون مستعدة لها، وعندما شعر المسؤولون بالضعف كان الأوان قد فات فاضطروا والحالة هذه، إلى البحث عن حلفاء يعتمدون عليهم ليسدوا هذا النقص ولكنهم بدلاً من أن يحالفوا الانكليز ليتوسعوا في الشرق أو يحالفوا الروس ليأمنوا شرهم ويتفرغوا لمقارعة الأعداء الغرب، أغضبوا الروس والانكليز معًا، ولم يجدوا من يحالفوه إلا آل هايسبورغ.

***

هكذا كانت سياسة ألمانيا الخارجية قبل الحرب العالمية. أما سياستنا

www.ybu3.com

الخارجية في هذا العهد فهي تتخبط في دياجير الفوضى ولا يعرف لها نهج ولا هدف.

إذا قمنا بدراسة أوضاع الشعوب الأوروبية من حيث قوة كل شعب منها، نطلع بالحقائق التالية:

إن أبرز ما نجده في تاريخ أوروبا منذ منتصف القرن السابع عشر إلى اليوم هو سياسة توازن القوى التي اتبعتها انكلترا، فهي توقع بين دول القارة الأوروبية من وقت لآخر لتتمكن من تحقيق أهدافها الاستعمارية دون عناء. ومنذ أن تولت الملكة اليزابيث تميزت الدبلوماسية الانكليزية بطابع تقليدي لا يزال لاصقًا بها وهو التصدي بجميع الوسائل لقيام دولة أوروبية قوية تستطيع اخضاع اوروبا لسيطرتها أو الوصول إلى مركز مرموق بين مجموعة الدول الأوروبية.

ولتنفيذ هذه السياسة اعتادت انكلترا اللجوء إلى وسائل عديدة، ولكن بعزم وقوة وإرادة لم تخذلاها أبدًا، فكانت تقوى وتتوسع بعد كل نزاع يدمي اوروبا ويستنفذ قواها. وعندما انفصلت عنها مستعمراتها في أمريكا الشمالية حرصت على حماية ظهرها، فبدأت بتصفية حساب هولندا وأسبانيا باعتبارهما دولتان بحريتان، بعد ذلك تفرغت للوقوف في وجه فرنسا ومنعها من السيطرة على القارة. وقد تم لها ذلك حين غاب نجم نابليون.

أما بالنسبة لألمانيا ومطامحها التي كانت تنمو ببطء لأن الشعوب الألمانية

www.ybus.com

لم تكن موحدة الكلمة، ولا تشكل بالتالي أي خطر أو عقبة تعترض مشاريع الدبلوماسية الانكليزية وأهدافها البعيدة. يضاف إلى هذا أن السلطات البريطانية تحرص دائمًا على اعداد الأفكار للخطوة التي يعتزمون القيام بها، حتى لا يفاجأ الرأي العام بهذا الاتجاه الجديد في السياسة، وكي لا يلقى الحكام عناءً كبيرًا في تبريره، أما هذا الاعداد فيستغرق بعض الوقت، لكن الدعاية تتولاه ببراعة.

حددت انكلترا موقفها من ألمانيا تحديدًا صريحًا بعد الحرب السبعينية مباشرة. أما ساستنا فقد ضيعوا فرصًا ثمينة في ذلك الوقت للتفاهم مع بريطانيا التي كانت تبحث عن حليف قوي يعتمد عليه في مواجهة روسيا الآخذة بالنمو، وأمريكا التي أقضت بنشاطها الصناعي مضاجع رجال الأعمال في العالم المتمدن .وعندما سحقت قواتنا الجيش الفرنسي في سيدان بعد أن تقدمت الصناعة في بلادنا بشكل جعلها تنافس بريطانيا، رأينا لندن تنظر إلينا بغضب وتخطط من جديد لسياستها الأوروبية جاعلة هدفها الجديد وضع حد لنمو ألمانيا الاقتصادي ومنعها من غزو العالم اقتصاديًا. وقد تكتلت الدول ذات القوة العسكرية ضدنا بتحريض من انكلترا تحت ستار المحافظة على السلم وحالفتها لأنها كانت مقتنعة أن هذه الدول لن تتمكن من الوقوف منفردة في وجه الجبار الألماني. أما الذين عابوا على انكلترا لجوءها إلى الخداع وتشويه الحقائق لحمل الدول الأوروبية على معاداتنا، فقد فاتهم أن كل وسيلة تصبح مشروعة عندما يكون الأمر متعلقًا بصون كيان الشعب وضمان مستقبله، وأن الترفع عن الخداع في

www.vnbu3.com

مثل هذه الأحوال هو تقصير في الواجب إن لم نقل خيانة له.

وجاءت الثورة الألمانية لتضع حدًا للقلق الذي راود انكلترا وهي تتابع نمونا المطرد فلم يعد لها من مصلحة في أن ترى بلادنا تتمرغ في الحضيض بعد أن حطمت الحرب أضلاعها وقصمت ظهرها. وقد فوجئت انكلترا، بعد الانهيار الألماني، الذي أدى إلى اختلال التوازن الأوروبي بشكل أفسد عليها خططها ومشاريعها البعيدة المدى، فهي قد عملت وناضلت طوال أربع سنوات لهذه اللحظة واستعدت الدول الكبرى على ألمانيا لتقلع الشوكة التي كانت تضايقها وها قد انهارت ألمانيا التي كانت تهدد بالسيطرة على أوروبا كلها، ولكن في هذه اللحظة برزت لها شوكة جديدة هي فرنسا.

لم يكن في وسع الدبلوماسية الانكليزية أن تفتح صفحة جديدة عندما فوجئت بهذا الواقع، ولا يمكنها تحويل الرأي العام، الذي أعدته الدعاية للوقوف ضد ألمانيا، لا يمكنها توجيه وجهة معاكسة بين ليلة وضحاها. يضاف إلى ذلك أن انكلترا خرجت من الحرب مثخنة بالجراح هي الأخرى، ولم يكن من الحكمة مناصبة فرنسا العداء في وقت كانت فيه فرنسا قد أخذت مكان الصدارة وراحت تفرض مشيئتها في مفاوضات الصلح وفي المؤتمرات الدولية، تساعدها في ذلك دويلات اعتادت السير في ركاب القوي.

كانت ألمانيا الدولة الأوروبية الوحيدة التي يمكن لانكلترا أن تعتمد عليها

www.vnbus.com

في مواجهة فرنسا والحد من مطامعها، لكن ألمانيا كانت في ذلك الوقت فريسة الحرب الأهلية، وكان ساستها يتسابقون إلى إرضاء فرنسا مسلمين بكل ما يطلب من بلادهم. ولما لم تجد انكلترا من تعتمد عليه اضطرت إلى العمل مع فرنسا يدًا بيد كي لا يفوتها القطار ويستقل الفرنسيون في العمل لوحدهم.

عندما اشتدت حدة التوتر قبيل الحرب، كانت بلادنا من الناحية العسكرية في وضع لا تحسد عليه، فقد كان في أوروبا دولتان بريتان قادرتان على سحق ألمانيا بتفوقهما العسكري هما فرنسا وروسيا، فكيف إذا تعاونتا مع انكلترا الدولة البحرية الأولى؟ إن مركز فرنسا اليوم هو غير مركز ألمانيا قبل الحرب ويختلف عنه اختلافًا كبيرًا، ففرنسا اليوم الدولة العسكرية الأولى في القارة الأوروبية وليس لها أي منافس قوي في هذا الحقل، ويحمي ظهرها من الجنوب حدود طبيعية تتحطم عليها كل محاولة يمكن أن تحاولها أسبانيا أو ايطاليا، وقد اطمأنت فرنسا إلى جانب ألمانيا بعد أن سقطت مكسورة الجناح، فضلاً عن أن فرنسا تشرف من سواحلها الغربية على المرافق الحيوية في الجزر البريطانية التي تمسي تحت رحمة المدافع البعيدة المدى وفي متناول السلاح الجوي بحال نشوب حرب مع انكلترا. ويمكن أيضًا للغواصات الفرنسية أن تضرب المواصلات البحرية البريطانية ضربات قاصمة من قواعدها المنتشرة على شواطئ المحيط الأطلسي والبحر المتوسط.

بذلك تكون انكلترا قد جنت على نفسها. فهي حين سعت إلى القضاء على

www.vnbu3.com

ألمانيا، أتاحت الفرصة لفرنسا في بسط سيطرتها على القارة الأوروبية، وفي نفس الوقت اضطرت إلى مسايرة الولايات المتحدة الأمريكية إذ اعتبرتها نداً لها باعتبارها دولة بحرية. أما في الحقل الاقتصادي فقد تنازلت لحلفائها عن مناطق كانت لها فيها مصالح حيوية ضخمة.

ومما يذكر أن أهداف الدبلوماسية الفرنسية كانت تتعارض والأهداف الدبلوماسية الانكليزية. فالانكليز يترصدون ميزان القوى في القارة حتى إذا ظهر لهم أن هناك دولة ستبدل من هذا النظام في ميزان القوى عمدت فورًا إلى إضعافها كي لا تتمكن هذه الدولة من الظهور على مسرح السياسة العالمية.

أما الفرنسيون فيسلكون نفس المسلك لكن على نطاق أضيق، فالمهم عندهم أن يمنعوا ألمانيا من الوقوف على قدميها، فقد علمتهم التجارب أن ألمانيا الموحدة تشكل قوة ضخمة لا يمكن التغلب عليها، لذلك اعتمدت الدبلوماسية الفرنسية إضعاف بلادنا بشتى الوسائل، متوسلة إلى ذلك بتشجيع الحركات الانفصالية وافتعال تيار يكون في مصلحة النظام الاتحادي على أساس اللامركزية، وهكذا يقوم بين الدويلات الألمانية توازن يشبه التوازن الأوروبي الذي تهتم به انكلترا.

***

نتيجة لما تقدم لست أرى أي طريق لألمانيا أن تسلكه في بحثها عن أصدقاء، أفضل من التقرب إلى انكلترا وكسب صداقتها .أنا لا أنكر أن سياسة الحرب التي اتبعتها انكلترا قد جرت علينا الويلات، ولكن ماذا

www.vnbus.com

سيفيدنا الحقد على دولة لم يعد لها أي مصلحة في القضاء علينا نهائيًا بعد أن وجدت هذه الدولة نفسها تجاه خطر جديد محدق بها هو خطر المطامع الاستعمارية الفرنسية التي تجاوزت كل حد؟

إن مصالح الشعبين الانكليزي والألماني يمكن أن تلتقي ما دام العدو مشتركًا. ولكي أحذر الساسة المسؤولين من مغبة التعلق بالأوهام، فقد تعود ساستنا أن يستسلموا للأحلام السعيدة كلما لمسوا عطفًا من زعيم أجنبي على القضية الألمانية. فليفهم الذين يتوهمون أن الإنصاف لن يأتي من رجل دولة أجنبي، أن الانكليزي يبقى انكليزيًا قبل كل شيء وكذلك الأمريكي والايطالي، لذلك من السخف التفكير باعتماد عطف رجال الدولة الأجانب كأساس للمحالفات فالشرط الأساسي لربط مصير شعبين هو الفائدة التي يمكنه أن يجنيها كل شعب منهما نتيجة لهذا الارتباط. إن رجل الدولة الانكليزي مثلاً يمكنه أن يعتمد سياسة انكليزية بحتة تعود بالخير والنفع على الشعبين الانكليزي والألماني معًا، دون أن يكون ملزمًا باعتماد سياسة تكون في مصلحة الشعب الألماني لوحده.

إن في أوروبا دولاً يقلقها بقاء ألمانيا مكسورة الجناح في حين أن فرنسا تنمو وتشتد ويبرز تفوقها العسكري والاقتصادي. ونحن الألمان لا نعرف لنا عدوًا لدودًا، عدوًا مميتًا لا يرحم سوى فرنسا وسواء حكم هذه الدولة البوربون أم اليعقوبيون، آل بونابرت أم الديمقراطيون البورجوازيون الجمهوريون المعتدلون أم الماركسيون، فهدفهم سيبقى هو لا يتغير : احتلال رينانيا وتجزئة ألمانيا بحث لا تقوم لها قائمة.

www.vnbu3.com

تكره انكلترا أن ترى ألمانيا تتقدم وتنمو وتزدهر أما فرنسا فتريد أن تزيل ألمانيا من خريطة اوروبا والعالم. والفرق بين ما تكرهه انكلترا وبين ما تريده فرنسا هو شاسع جدًا .واليوم لا نناضل في سبيل استرداد مكانتنا كدولة عظمى، بل علينا أن نعمل ما في وسعنا في سبيل ضمان كيان الوطن ووحدة الأمة وإطعام أولادنا. وإذا استعرضنا الحلفاء الذين يمكننا الاعتماد عليهم في أوروبا فلا نجد أمامنا إلا انكلترا وايطاليا. فانكلترا لا تريد لفرنسا أن تشتد وتقوى كي لا تهدد مصالحها وتعرقل لها مشاريعها وتفسد عليها خططها. ولا يعقل أن تقف انكلترا موقفًا لا مباليًا من استيلاء فرنسا على مناجم الحديد والفحم في أوروبا الغربية، لعلمها أن حليفة الأمس تستطيع بفضل هذه المناجم الغنية أن تلعب دورًا بارزًا في توجيه الاقتصاد العالمي. كما لا يعقل أن تقف انكلترا موقف المتفرج إزاء تزايد نفوذ فرنسا في القارة ومحاولتها تسيير دفة السياسة العالمية.

كذلك تراقب ايطاليا النفوذ الفرنسي في اوروبا بمزيد من القلق .
فالايطاليون يتطلعون إلى حوض البحر المتوسط ويطمحون إلى التوسع على حساب البلاد المجاورة لممتلكاتهم الأفريقية. فايطاليا لم تدخل الحرب لتشارك في إعلاء شأن فرنسا، بل دخلتها وفي نيتها توجيه ضربة قاضية إلى جارتها النمسا دون أن تنسيها رفقة السلاح أن في فرنسا منافسًا خطيرًا لا يقل خطورة عن جارتها الشرقية.

بناءً لما تقدم يمكننا اعتبار انكلترا وايطاليا الدولتان الوحيدتان اللتان لا

www.vnbu3.com

تمانعان في قيام أمة ألمانية موحدة باعتبار أن توحيد ألمانيا لن يمس بمصالحهما، بل ربما كان قيام هذه الأمة القوية والموحدة لصالح الدولتين.

عند دراستنا لمسألة العلاقات التي يمكن أن تقوم بيننا وبين الانكليز والايطاليين، ينبغى أن نأخذ بعين الاعتبار عوامل ثلاثة يتعلق أولهما بنا مباشرة أما العاملان الباقيان فإنهما يتعلقان بانكلترا وايطاليا.

هل ستقدم دولة ما على التحالف مع ألمانيا في وضعها الحاضر؟ هل يعقل أن تجازف دولة ذات أهداف هجومية بالتحالف مع دولة يحكمها منذ سنوات حكام غير أكفاء وتعمي بصائر الكثرة الساحقة من أبنائها المبادئ الديمقراطية والتعاليم الماركسية فيخونون شعبهم ووطنهم؟ وأي منفعة ستجنيها دولة قوية من التحالف مع دولة خانعة لا تتحرك للدفاع عن كيانها ولا تفعل شيئاً للتحرر من الأعباء الضخمة التي فرضت عليها، لأن امكاناتها أصبحت في قبضة حكام خونة غير صالحين، ولأن أيادي المغامرين الدوليين امتدت لتسرق مقدرات البلاد؟

إن دولة تحترم نفسها وتعتبر التحالف أكثر وأهم من صفقة تعقد مع برلمانيين يطمعون في الربح. إن دولة كهذه لا تقدم على التحالف مع ألمانيا في وضعها الحاضر.

كما لا يخفى أن أجهزة الدعاية في كل من انكلترا وايطاليا أعطت فكرة جداً بشعة عنا أثناء الحرب، وليس في تصرفنا اليوم ما يسهل مهمة هذه

www.ybu3.com

الأجهزة إذا حاولت تغيير مناهجها واقناع الرأي العام أن عدو الأمس يمكن أن يصبح اليوم حليفًا يعتمد عليه.

ولا ننسى أن اليهودية العالمية ترحب ببقاء ألمانيا دولة ضعيفة وتعتبر هذا الواقع منسجمًا ومصالحها وموافقًا لمخططاتها. ولم يعد خافيًا على الجميع أن سياسة انكلترا التقليدية تتعارض وسياسة المؤسسات المالية الخاضعة لسيطرة اليهود، فاليهود يريدون هدم أسس الاقتصاد والسياسة في ألمانيا، وقد رأيناهم يعملون بكل قواهم ودهائهم على بلشفة ألمانيا ليتسنى لهم وضع أيديهم على مفاتيح الاقتصاد القومي، ولما أحسوا بعجز الماركسية الألماني عن تقويض أسس الدولة القومية في ألمانيا، أشعلوا نار الحرب العالمية وبذروا بذور الثورة الحمراء داخل ألمانيا واستغلوا الكارثة في الوقت المناسب استغلالاً بارعًا.

لقد اختارت اليهودية العالمية بلادنا مسرحًا لدسائسها وهدفًا لمؤامراتها لأن بلشفة البلاد وتخريب الوجدان القومي الألماني يخضع الانتاج القومي لاشراف المؤسسات المصرفية اليهودية، مما يجعل من هذا الاشراف خطوة واسعة نحو اخضاع العالم بأجمعه للسيطرة اليهودية. ويستفاد من مضمون أحد وثائق "بروتوكولات حكماء صهيون" وهو دستور الحركة اليهودية، أن محور النضال اليهودي يجب أن يكون في ألمانيا لتحقيق حلمهم في السيطرة العالمية، فإذا تمكن "الشعب المختار" من اخضاع ألمانيا يكون قد تخلص من أهم العقبات الرئيسية التي تعترض طريقه.

www.ybus.com

واليهودية العالمية تتقلب حسب كل حال وحسب كل وضع، فهي حين تسعى إلى خداع الرأي العام وتسميم أفكار الأمم والشعوب، تعتمد طرقًا وأساليبًا كثيرة ومختلفة، فتخاطب كل أمة بطريقة خاصة تترك أثرًا عميقًا في نفسها، ففي ألمانيا حيث تكثر الاختلاطات الدموية، ينشر اليهود مبادئ خاصة مستخرجة من المثالية السلمية فيزعمون أنهم أمميو النزعة. أما في فرنسا فتستغل اليهودية النزعة الفردية والنفور من الأجانب، وفي انكلترا تضرب على وتر المصالح الاقتصادية واعتبارات السياسة العالمية.

ولإن يكن التناقض واضحًا بين مفاهيم السياسة القومية ومصالح اليهود العالمية في كل من انكلترا وايطاليا، فالتفاهم والانسجام موجود في فرنسا بين القوميين وملوك البورصة الممثلين باليهود، وهذا التفاهم يشكل خطرًا كبيرًا جدًا على ألمانيا، ويشكل من فرنسا عدوًا مميتًا لا يجب أن نسهى عنه أو نسقطه من حسابنا لحظة واحدة. فالشعب الفرنسي الذي يهبط تدريجيًا بمستواه إلى مستوى الزنوج، يعرض كيان الجنس الأبيض في القارة الأوروبية لخطر الزوال والانقراض بمسايرته مشاريع اليهودية العالمية في السيطرة على العالم.

ولا نظلم الفرنسيين حين نقول أن لهم يدًا في تلويث الدم الألماني في رينانيا، لأن هذا الشعب المتهتك لا يختلف عن اليهود برغبته في القضاء على حيوية شعبنا حين يشجع الأجناس المنحطة على تلقيح الألمان بدمها النجس.

إن الدور الذي تلعبه فرنسا، بدافع من الحقد وبتحريض من اليهود، هو

www.ybus.com

إجرام بحق الجنس الأبيض، وسيأتي اليوم الذي تتكاثف في الشعوب الأوروبية وتلقن هذا الشعب المجرم درسًا لن ينساه وتنزل به العقاب الصارم الذي يستحق.

يجب على ألمانيا أن تتناسى أحقادها وتمد يدها إلى انكلترا وايطاليا معًا، هاتين الدولتين اللتين تراقبان بكثير من القلق تزايد النفوذ وتضخيم المطامع الفرنسية.

***

من تتبع المراحل التي مرت بها السياسة الخارجية الألمانية منذ قيام الثورة، ومن راقب خاصة نشاط رجال الدولة، لن يتمالك نفسه من اليأس. فمنذ تشرين الثاني 1918 حتى اليوم لم يفعل هؤلاء الرجال أكثر من ترضية فرنسا والخضوع لها باعتبارها "الأمة العظمى"، والمبالغة في إكرام ممثليها لكسب عطفهم. وهذه السياسة المبنية على تقديرات خاطئة كانت تلاقي تشجيعًا من جانب الممسكين بالخيوط من وراء الستار لعلمهم أن خضوع ألمانيا واستسلامها يتفقان والخطط اليهودية، وأن تقرب ألمانيا من فرنسا يؤدي قطعًا إلى إزالة كل سياسة تحالف تتفق مع مصلحة الشعب الألماني.

وفي نفس الوقت تطوعت الصحافة الألمانية الخاضعة لنفوذ اليهود لزرع بذور الحقد في نفوس الشعب على انكلترا، كما حاولت تخويف انكلترا وتحريك هواجسها حين دعت السلطات إلى إعادة تكوين الأسطول الألماني، والمطالبة بالمستعمرات قبل تحرير البلاد وتقوية مركزها في القارة الأوروبية.

www.vnbus.com

لقد أجاد اليهود تمثيل أدوارهم وأتقنوا لعبتهم بشكل لائق :
فهم يلهون شعبنا الطيب القلب السليم النية بمسائل ثانوية جدًا، ويدفعونه إلى التظاهر والاحتجاج، في حين تمعن فرنسا في تقطيع الجسم الألماني وتضع الألغام تحت مرتكزات استقلالنا. ألم تتطوع الصحافة اليهودية في إثارة مسألة "التيرول" الجنوبي لتهلي الشعب الألماني، ألم تثر هذه القضية وتدعو الشعب إلى السير في مظاهرة سلمية صامتة وتطيير برقيات الاحتجاج إلى عصبة الأمم؟

و"التيرول" الجنوبي الذي يبكيه البرلمانيون اليوم، كنت أنا في عداد المدافعين عنه والمقاتلين في سبيله أبان الحرب العالمية، في حين كان المتباكون يلغمون الجبهة من الداخل، ويحرضون العمال في المصانع على الإضراب ليطعنوا الجيش في ظهره ويلحقوا الأذى والعار بالقضية القومية في الرايخ.

عندما كان" التيرول" الجنوبي ميدانًا للمعارك الدامية لم يكون بالإمكان استعادته إلا بالسلاح .وقد أبلت الجيوش الألمانية في هذا القطاع بلاءً حسنًا وبقيت صامدة إلى أن فوجئت بانهيار الجبهة الداخلية وانقطعت عنها الامدادات. فالذين سببوا الانهيار في الجبهة الداخلية قد خانوا التيرول وخانوا بقية الأراضي والأجزاء الألمانية، والذين يعتقدون اليوم أنه بالإمكان حل مسألة التيرول الجنوبي بالاحتجاجات والتظاهرات السلمية، هم إما مصابون في عقولهم أو سذج يصدقون كل ما يقال لهم. متى يفهم المواطن أن استرداد الأراضي السليبة لا يتم بالدعاء والابتهال إلى الله

www.vibu3.com

تعالى ولا بتطيير برقيات الاحتجاج إلى عصبة الأمم. إن استعادة الأراضي السليبة يكون على أيدينا حين نصبح قادرين على مجابهة أعدائنا .

والأدهى من ذلك أن الذين يتبجحون اليوم بأن خسارة "التيرول" الجنوبي كانت غلطة جسيمة وخيانة وطنية، لم يفعلوا للحفاظ عليه سوى ذرف دموع التماسيح والتشدق بثرثرات فارغة. ولو طلبنا منهم اليوم حمل السلاح لاسترداد الأراضي السليبة، لقبعوا في جحورهم يرتعدون خوفًا.

إن المتباكين على مصير التيرول الجنوبي من حملة الأقلام وأسياد الذين يطالبون بإعادته إلى الوطن الأم، هم أنفسهم الذين يدعون في خطاباتهم إلى الكف عن ازعاج المنتصرين، خاصة فرنسا، بمطالب لا يمكن تلبيتها. وقد رأيناهم بالأمس يدافعون عن معاهدة فرساي ويشجبون أعمال" كتائب التحرير" في نسف الجسور في الروهر. ولكن ألاعيب هؤلاء افتضحت، فهم طلعوا بنغمة التيرول حين شعر اليهود وأذنابهم بأن الشعب راغب في قيام تحالف مع ايطاليا وخاصة بين الأوساط التي تنظر بعين المصلحة إلى البعيد. ومن الطبيعي أن يعمد اليهود وأنصار آل هابسبورغ إلى قطع الطريق أمام كل محاولة تهدف إلى تقوية مركز ألمانيا الدولي.

وبدافع من الحقد على كل ما هو ألماني صميم، وانسجامًا مع طبيعة "الشعب المختار" الضليع في فن الكذب والتلفيق، راح المتباكون على مصير "التيرول "الجنوبي يكيلون التهم للقوميين الأقحاح ويصفونهم بالخونة ويقولون أن العسكريين البروسيين هم السبب في خسارة هذا

www.ynbu3.com

الجزء الهام من الوطن الألماني، فلهؤلاء المنافقين المتجنين على المخلصين أقول:

إن كل ألماني قادر على حمل السلاح ولكنه أمضى سنوات الحرب قابعًا وراء مكتبه ولم يقدم خدماته إلى وطنه هو خائن.

وكل ألماني لم يشارك خلال سنوات الحرب في تقوية المقدرة على النضال والثبات في نفوس الشعب الذي كان يواجه أعداء متفوقين عليه هو خائن.

وكل ألماني ساهم في ثورة تشرين الثاني إن بالأفعال أو بالسكوت عن المجرمين، محطمًا بسكوته السلاح الذي كان بإمكانه إنقاذ التيرول الجنوبي هو أيضًا خائن. لم يخن التيرول الجنوبي فقط بل خان الوطن الألماني كله.

كذلك الأحزاب وممثلوا الأحزاب الذين وقعوا معاهدتي فرساي وسان جرمان هم خونة بحق الوطن والأمة.

وللشعب الألماني أتوجه بالقول:

إن استرداد الأراضي السليبة لا يتم بالخطب النارية يتفوه بها من يتقن صناعة الكلام، فتحرير الوطن لا يتطلب ألسنة حادة بل يتطلب سلاحًا حادًا.

وليس معنى هذا أنني أطلب إشعال الحرب لإعادة التيرول الجنوبي، فأنا لا أوافق على هدر دماء الشعبين الألماني والايطالي في سبيل تحرير مئتي ألف مواطن، في وقت يرزخ فيه سبعة ملايين من إخواننا تحت نير الاحتلال الأجنبي في رينانيا.

فإذا كانت ألمانيا مصممة على تغيير هذا الوضع الذي من شأنه في حال استمراره أن يزيلها من خريطة أوروبا، عليها أن تتجنب الوقوع في الخطأ

www.vnbus.com

الذي وقعت فيه قبل الحرب عندما استعدت العالم كله لأنها لم تعرف كيف تختار أصدقاءها. لذلك عليها أن تعرف من هو عدوها الألد وتتفرغ له لتضربه بكل قواها، وتغض الطرف عن أعدائها الثانويين ولو كلفها ذلك بعض التضحيات.

يجب علينا نحن الوطنيين الاشتراكيين أن ننادي بالفكرة القائلة أنه يجب أولاً استخلاص حرية الوطن واستقلاله قبل البدء باسترداد الأراضي المغتصبة، وأن ندعوا دائمًا إلى وجوب نهج سياسة محالفات مستوحاة من الواقع الألماني والأوروبي معًا. فقد حكمنا عواطفنا حين تحالفنا مع آل هابسبورغ فأصبنا بالهزيمة الشنعاء. لذلك لن تسمح حركتنا لمحترفي السياسة في هذا العهد أن ينهجوا على صعيد السياسة الخارجية نهجًا يتعارض ومصلحة الأمة الألمانية.

****

أنتقل الآن إلى مناقشة الاعتراضات ضد المسائل الثلاث التي عرضتها في سياق هذا البحث:

1- هل تقدم الدول على التحالف مع ألمانيا وهي بوضعها الحاضر؟

2- هل يصبح أعداء الأمس في وضع يمكنهم من تغيير اتجاههم بحيث يحالفون اليوم الأمة التي أعطوا عنها بالأمس أبشع صورة؟

3- هل تتغلب النزعة القومية عند بعض الدول التي تتناسب مصالحها مع مصالح ألمانيا، على النفوذ اليهودي الذي يناهض قيام هذا التحالف؟

من البديهي أن ما من دولة تحترم نفسها وتغار على مصلحتها تقدم على التحالف مع ألمانيا بوضعها الراهن، وليس هناك من دولة تغامر في ربط مصيرها بمصير دولة لا

www.vnbus.com

توحي بأي نوع من الثقة.

يحاول بعض السطحيين أن يجد عذرًا للحكومات وتفسيرًا لمسلكها الشائن في تدهور الشعب خلقيًا وتدني معنوياته. لا أنكر أن معنويات شعبنا اليوم تفرح العدو، وهو مستسلم منذ سنوات لمشيئة القدر لا يحرك ساكنًا في الحقل الإيجابي، ولكن لا ننسى أن هذا الشعب نفسه كان لسنوات خلت مضرب المثل في الشجاعة والنبل وعلو المقام. فهو الذي أذهل العالم منذ عام 1914 إلى أن ألقى السلاح، هذا الشعب الذي أدهش العالم بثباته وفضائله الإنسانية. ولا أعتقد أن هناك من يذهب في التجني علينا إلى حد الزعم بأن الواقع المخجل الذي صرنا إليه اليوم هو نتيجة ما فطر عليه هذا الشعب من ميوعة واستسلام.

إن ما يجري حولنا، وما نكابده في قرارة نفوسنا، وما يدفع أعداءنا وأصدقاءنا على إساءة الظن بنا، كل هذا ناجم عن جريمة التاسع من تشرين الثاني عام 1918، وقد صدق القول القائل "لا يتولد من الشر إلا الشر" ومع ذلك يمكن القول أن السجايا التي يتحلى بها شعبنا لم تمت، إنها الآن ترقد في أعماق ضمائرنا، وتظهر في بعض الأحيان بشكل التماعات خاطفة تشق الفضاء المتشح بالسواد، وستذكر ألمانيا أن هذه الالتماعات تبشر بدخول ألمانيا دور النقاهة .وإنا لنجد اليوم آلافًا من الشباب على أتم الاستعداد لتقديم أرواحهم في ميادين التضحية في سبيل الوطن العزيز على قلوبهم، كما نجد ملايين من الألمان منصرفين إلى العمل البناء كأنه لم تكن هناك ثورة ولا خراب، فالحداد منهمك في عمله أمام عدته، والفلاح وراء محراثه، والعالم وراء مكتبه، والجميع يقومون بواجباتهم بكل إخلاص ونشاط. أما ما يعاب على الشعب الألماني من تخاذل واستسلام، فمسئول عنه الحكام الذين حكموا البلاد منذ عام 1918 .

وعلى الذين يرثون لحال أمتنا اليوم أن يتساءلوا:
هل جرب الحكام رفع معنويات الشعب، وهل حاولوا أن يوقظوا همه فما استجاب لهم الشعب؟ وماذا فعلت الحكومات الألمانية منذ عام 1918 إلى اليوم من أجل تقوية

www.vnbu3.com

الشعور الوطني، وهل أقدمت على خطوة من شأنها إثارة كبرياء الألمان وتفجير ما يختزن في صدرو الشعب من أحقاد؟

عندما فرض المنتصرون معاهدة الصلح عام 1919 أتاحوا للشعب الألماني الذي ضعضعته الهزيمة فرصة ذهبية للخروج من ذهوله، ذلك أن معاهدات الصلح التي تفرض على الشعب قيودًا ثقيلة تفعل في نفوس الشعوب فعل قرع الطبول في نفوس الجنود وهم يهمون بالانقضاض على مراكز العدو. لكن شعبنا كان بحاجة إلى من ينبهه ويفتح عينيه لكن الحكومة الألمانية كانت في شاغل عن هذا الواجب الوطني، يصرفها عن اهتمامها تأميم المرافق الحيوية في البلاد وعصر الشعب لتقدم للمنتصرين ما فرضوه من ضرائب.

لو كان هناك دعاية منظمة لاتخذت من معاهدة الصلح المرهقة أداة لإثارة نقمة الجمهور، بإبرازها تدابير الأعداء الوحشية وأساليبهم البربرية. لكان بإمكانها، لو كان هناك دعاية منظمة، أن تحول عدم الاكتراث عند الشعب إلى استنكار ثائر، ولو غذته في الوقت المناسب فسيتحول إلى نقمة جارفة تنضج في صدور ستين مليونًا من الرجال والنساء فتستيقظ السلطات على صراخهم "سلحونا فنحن أمة لا تنام على الضيم."

نعم، فقد كان ممكنًا اعتبار معاهدة الصلح النقطة الأخيرة التي تطفح بها الكأس، ولكن هذا يعني تسخير كل مطبوعة وكل كتيب يوضع بين أيدي التلاميذ حتى أرقى جريدة، كما يعني أيضًا تسخير السينما والمسرح في تنوير الجمهور ورفع معنوياته، فيمتنع عن الابتهال إلى الله صباحًا مساءً: "اللهم أعد إلينا حريتنا" ليقول: "أيها الرب القدير بارك أسلحتنا، وشدد من عزائمنا، واجعل لنا النصر على مضطهدينا."

إن الشعب الألماني ملوم، ولكن أكثر اللوم يجب أن يكون على الحكومات الألمانية التي تظهر الدولة إلى العالم الخارجي بصورة بشعة بتصرفاتها المعيبة وباستسلامها الذي يكشف عن ضعف الإرادة. ولكي يصبح شعبنا مؤهلاً لمحالفة الشعوب التي تماشي مصالحه مصالحها يجب عليه أن يسترد اعتباره، ولن يتمكن من ذلك إلا بعد أن تقوم ألمانيا سلطة حاكمة، تظهر من الشعب وتحس بأحاسيسه لكي تعبر عن ما يختلج في

www.vnbu3.com

صدوره فتستند على إرادة شعبية تطلب الحرية.

لست أنكر أنه من الصعب جعل أعداء الأمس أصدقاء اليوم بين ليلة وضحاها. فقد أجهدت الدعاية نفسها أثناء الحرب في تلطيخ سمعة الأمة الألمانية وتشويه تاريخها. ولن يزول بسهولة هذا الشعور بالكراهية نحو كل ما هو ألماني إذا لم يسترد الرايخ الألماني بفضل الوعي القومي معالم الدولة القادرة على تمثيل دورها في القارة الأوروبية، وعندئذ فقط تطمئن الدول إلى سلامة أوضاعنا فتمهد الطريق أمام التحالف وإيانا بحملة من الدعاية تعد النفوس لتقبل الخطوة الجديدة. لكن هذا الإعداد يتطلب وقتًا طويلاً، لذلك وجب التمهل في كسب ود أعداء الأمس، لئلا يترتب على استعجال الأمور إفساد المخطط الذي ترسمه الدعايات في البلد الآخر للحصول على النتيجة المبتغاة.

أقول وأكرر القول أنه لا يحق لألمانيا النظر إلى ما وراء حدودها قبل أن يبرهن الألمان، حكومة وشعبًا، على أنهم أمة حية مستعدة للتضحية بل قادرة عليها في سبيل استعادة حريتها السليبة.

وهناك نقطة هامة لا يجوز أن نهملها :
فقد يمر وقت طويل قبل أن يدرك الشعب المطلوب إعداده لتقبل الفكرة الجديدة عن عدو الأمس، أهداف حكومته وذلك أما لأن الحكومة تفضل إخفاء هذه الأهداف أو لأن الرأي العام نفسه بطيء الفهم لنقص في تنشئته الوطنية، وفي هذه الحالة يقوم بين المطلعين من يحارب هذه الفكرة الجديدة ويحمل الشعب على اتباعه، ولما كان شعبنا ميالاً إلى الثرثرة الفارغة وكانت أحزابنا ومنظماتنا تمارس السياسة في المقاهي والأندية، فإن كل خطأ يرتكب يضع سلاحًا في أيدي خصوم التقارب من الجانب الآخر ليستخدموه في نسف المحاولات المبذولة.

ولا شك في أن العقلاء من المواطنين استسخفوا الدعوة إلى تحرير التيرول الجنوبي وإنشاء الاسطول الألماني والمطالبة بالمستعمرات، وقد لفتت حركتنا الأنظار إلى الأثر السيء الذي تتركه هذه الدعوة في نفوس الانكليز والايطاليين وإلى العراقيل التي تضعها

www.ybu3.com

مثل هذه الدعوات في طريق الداعين إلى نسيان الماضي وإقامة العلاقات بين الشعب الألماني والشعبين الانكليزي والايطالي على أسس جديدة.

كانت الدعايات اليهودية تستغل أخطاءنا في الحقل الخارجي، وثرثراتنا التي لا فائدة منها، واليوم يدفعنا اليهود إلى ترديد النغمة التي تغضب الذين يفترض فينا كسب ودهم، لذلك يجب أن نضع حدًا لهوس المهووسين ودسائس الدساسين قبل أن يعود أعداء الأمس إلى التجمع ضدنا، ولا يسهى عن بالنا أننا خسرنا الحرب لأننا أغضبنا الله والناس أجمعين وقد كان علينا أن نراعي الأقربين والأبعدين لنتمكن من حصر جهودنا في جهة واحدة.

أما إذا جارينا الداعين إلى معاداة انكلترا لأنها سلبتنا مستعمراتنا، وإلى مقاطعة ايطاليا لأنها تحتل التيرول الجنوبي. وإذا جارينا الناقمين على بولونيا وتشيكوسلوفاكيا لأنهما بولونيا وتشيكوسلوفاكيا، فلن يبقى عندنا من حليف نحالف إلا فرنسا، التي نسي غلاة "المواطنين" أنها هي الأخرى سلبتنا الألزاس واللورين.

إن فرنسا هي عدوتنا الحقيقية في اوروبا. لكن انكلترا وبقية الدول الأوروبية، لم تكن عداوتها لنا إلا عداوة مؤقتة، لذلك يمكننا أن نحولها إلى دول صديقة حين نبهر شعوبها بنهضتنا وحيويتنا ونجعل من ألمانيا حليفًا ثمينًا يتراكض عليه الباحثون عن حلفاء.

*****

بقيت المسألة الثالثة وهي مقدرة ممثلي المصالح القومية في الدول التي تتناسب مصالحها مع مصالح شعبنا على تحدي اليهود والتخلص من سيطرتهم والقضاء على نفوذهم.

إن الحملة التي تنشئها ايطاليا الفاشيستية للقضاء على الأسلحة الرئيسية الثلاثة لليهودية العالمية هي أحسن دليل على ما يمكن للحركات القومية المنظمة أن تفعله في هذا المضمار. أما التدابير التي تنادي باتخاذها فهي:

حل الجمعيات السرية كالمحافل الماسونية وغيرها، وملاحقة الصحافة الماركسية بعد

www.ynbu3.com

القضاء على الأحزاب اليسارية، وتثبيت المفهوم الفاشستي للدولة .
هذه التدابير ستدعم من مركز الحكومة الايطالية قوميًا ودوليًا وستتمكن بالتالي من حماية مصالح شعبها سواءً أحب اليهود ذلك أم لا.

لكن الحال في انكلترا يختلف عن ايطاليا. ففي انكلترا حيث يمارس اليهودي دكتاتورية مطلقة، تقوم المنازعات المتواصلة بين ممثلي المصالح القومية أي مصالح الدولة الانكليزية وبين دعاة الدكتاتورية العالمية التي يمارسها اليهود. وقد رأينا هذا النزاع يتفاقم بعد انتهاء الحرب العالمية حين تعارضت وجهات النظر بين الحكومة من جهة وبين الصحافة الخاضعة للنفوذ اليهودي من جهة أخرى، حول كيفية العلاقات بين انكلترا واليابان.

بعد انتهاء الحرب العالمية مباشرة عاد إلى الظهور خلاف أو عداء تقليدي بين أمريكا واليابان. ومن الطبيعي أن لا تقف الدول الأوروبية موقف المتفرج من هذا العداء الذي يهدد السلام. وكان على انكلترا أن تراعي ارتباطاتها مع أمريكا والصلات الأخرى العرقية التي كانت تربطها بأمريكا، كان عليها مراعاة هذه الارتباطات قبل أن تحدد موقفها من الدولتين المتنازعتين، لكنها ترددت في الانحياز نحو أمريكا باعتبار أن نمو هذه الدولة وتقدمها الهائل أصبح مصدر قلق لانكلترا، وكيف لا يقلقهم تطور المستعمرة السابقة تطورًا هائلاً يمكنها من سيادة العالم في سنوات معدودة؟

بحثت انكلترا عن حليف يمكنها الاعتماد عليه في الأوقات العصيبة يوم تضطر إلى الدفاع عن مركزها الدولي وسيادتها البحرية، فلم تجد أنسب من اليابان لهذه المهمة باعتبار أن العداء القائم بين طوكيو وواشنطن سيجعل من اليابان حليفًا ثمينًا يمكن الاعتماد عليه في تقوية مركز الامبراطورية تجاه المطامع الأمريكية.

وفي الوقت الذي كانت فيه الحكومة الانكليزية تسعى جاهدة للإبقاء على الروابط التي تشدها إلى الحليفة الآسيوية كانت الصحافة اليهودية في انكلترا وفرنسا تهاجم هذه السياسة. فاليهود بعد أن صفوا حساب ألمانيا بطريقة تتفق ومصالحهم كشعب يقاوم كل

www.vnbu3.com

نزعة قومية في بلد متمدن، وجدوا أن اليابان الدولة الآسيوية العظمى لا يمكن أن تخضع لسيطرتهم إلا بعد أن يصفوا حسابها في ميدان القتال، واليهود أذكى من أن يحاولوا إفساد الدم الياباني بمثل السهولة التي أفسدوا بها الدم الفرنسي والانكليزي والأمريكي. لذلك يجب إضعاف اليابان بطريقة أخرى هي الحرب، لأن بقاء اليابان دولة قومية وحيدة وسط مجموعة كبرى جردتها الدسائس اليهودية من معالم قوميتها تسهيلاً لاستبعادها يشكل خطرا على مشاريع اليهود الذين يحلمون ببلشفة العالم. فحلم اليهود لا يتحقق ما دام هناك دولة قادرة على سحق الطغيان بقوى الفكرة القومية.

إن الصحافة اليهودية في العالم وخاصة في انكلترا تحاول الآن أن تستعدي اليابان كما سبق أن استعدتها على ألمانيا، وقد بدأت تضعف مقاومة الحكومة الانكليزية للذين يقفون ضد التحالف الانكليزي الياباني، وسيأتي اليوم الذي تتزعم فيه انكلترا حملة صليبية ضد الدولة الصفراء اقتناعًا منها بأن النزعة القومية في اليابان تشكل خطرًا على السلام العالمي.

إن الحركة الوطنية الاشتراكية ستسعى جهدها لتنبيه الشعوب الآرية حتى الشعوب المعادية لنا، إلى ما يبيته اليهود لنا ولها، وستخطط للشعب الألماني سبل الخلاص بحيث يكون كفاح شعبنا في سبيل التحرر من سيطرة اليهود المشعل الذي يضيء الطريق أمام الشعوب الأخرى الراغبة في التخلص من جرثومة اليهود.

www.ybu3.com

الاتجاه نحو الشرق

يدفعني إلى بحث موضوع العلاقات الألمانية الروسية سببان هنا:
أولاً: إثارة هذا الموضوع في الصحف الماركسية في معرض حديثها عن عقد محالفات يقوى بها ساعد ألمانيا.
ثانيًا: الاستخفاف الذي يعالج به المثقفون قضايانا الخارجية.

إن حركتنا لا تجد صعوبة في إزالة ما يعلق في أذهان اليساريين من جراء الدعايات الماركسية، لأن هذا الفريق من المواطنين لم يأخذ بوجهة نظر الماركسيين إلا لأنه لم يجد من يوجهه ويرشده إلى الطريق القويم فيما يجب أن تكون عليه سياسة ألمانيا الخارجية. وقد وجد آلاف اليساريين في حركتنا المشعل الذي أضاء أمامهم ظلام الطريق. وقد وجدنا بقية باقية لديهم من الوعي القومي وغريزة حب البقاء مما سهل مهمتنا في إرشادهم.
لكن هذه المهمة لم تكن سهلة لدى المثقفين. فقد كان علينا اقناع رجال خدرت وعيهم القومي مثاليات مضطربة، فضحوا على مذبح الموضوعية آخر ما تبقى لهم من عزة قومية وغريزة حب البقاء. وقد حاول هذا الفريق من المواطنين الإنحراف بسياسة ألمانيا الخارجية نحو المزالق الخطرة. لذلك وجدت أنه من الواجب علي أن أشرح لأعضاء الحزب وأنصاره أخطر قضية تواجهها الدولة العنصرية في الحقل الخارجي: موقف الرايخ من روسيا. وقبل أن أدخل في صلب الموضوع أوضحت في

www.ybu3.com

أكثر من خطاب ومحاضرة ومقال أن السياسة الخارجية للدولة العنصرية يجب أن تسعى إلى إيجاد مقومات البقاء للشعب وذلك بإقامة نسبة عادلة، ملائمة لقانون الطبيعة، بين عدد السكان وزيادته المطردة من جهة، وبين مساحة الأرض وقيمتها من جهة أخرى.

وقد سبق لي وشرحت في فصل سابق أن أقوى ضمانة لحرية الشعب وبقائه هو حصوله على المدى الحيوي الكافي، على أن تحافظ على سلامة هذا المدى دولة قادرة سياسيًا وعسكريًا ضمن إطار جغرافي ملائم، على الدفاع عن كيانها وحماية مصالح شعبها الحيوية.

حين ينظر الشعب الألماني إلى المستقبل، عليه أن يعتبر أن بلاده هي دولة عظمى مدعوة إلى تمثيل دورها على المسرح العالمي. فقد مثلت ألمانيا هذا الدور طيلة قرون، وكان نشاط شعبنا جزءً لا يتجزأ من التاريخ العالمي. فالحرب الأخيرة التي خضنا غمارها والتي كانت بالنسبة لنا صراعًا من أجل البقاء، هذه الحرب قد أطلق عليها الأعداء اسم "الحرب العالمية "معترفين بأهمية الدور العالمي الذي يمثله شعبنا.

لقد خاض الشعب الألماني الحرب بصفته قوة عالمية مزعومة. أقول "مزعومة" لأن ألمانيا عام 1914 لم تكن قوة عالمية، فقد حملت السلاح وهي غير مهيأة للحرب، فقد كانت تنقصها المواد الاحتياطية التي تدفعها إلى الثبات مدة طويلة، لأن الاراضي الألمانية ضاقت بالسكان وبات جهد الشعب مقصورًا على استنباط تربة الوطن الخيرة، لكن عطاءها قصر، مع

www.vnbus.com

مرور الأيام، عن سد حاجة السكان الآخذ عددهم في الازدياد.

وألمانيا اليوم لا تعتبر قوة عالمية، ولن تصبح كذلك حتى في حال بعث الجيش الألماني، لأن المانع الذي كان قائمًا قبل الحرب لا يزال كما هو، بل على العكس فقد ازداد وضعنا تدهورًا بخسارتنا لأجزاء هامة من الوطن الألماني، فقد ترتب على فقدان هذه الأجزاء مشاكل جديدة، فقد أصبح على ستين مليون من المواطنين والرعايا أن يتدبروا خبزهم اليومي في مساحة من الأرض لا تزيد على مليون كيلو متر مربع.

وإذا نظرنا إلى ألمانيا من حيث مساحة الأرض، نجد أنها في وضعها الحاضر، أي بمساحتها الحاضرة، دولة متوسطة عاجزة عن الوصول إلى مستوى الدول الكبرى، ولا يجوز الاستشهاد بصغر المساحة الأرضية الذي تشغله انكلترا للتدليل على خطأ هذه النظرية. فالواقع أن انكلترا تعتبر العاصمة الكبرى للامبراطورية الانكليزية المترامية الأطراف.

ويمكننا أن نعتبر دولاً عظمى كالولايات المتحدة الأمريكية وروسيا والصين. فمساحة كل واحدة منها تبلغ عشرة أضعاف مساحة ألمانيا بوضعها الحالي. وكذلك فرنسا يمكن اعتبارها من الدول العظمى لأنها تملك أقوى جيش في العالم وتعززه باستمرار، بفضل مواردها الخاصة وموارد امبراطوريتها الواسعة. كما أنها تسد النقص في المواليد باختلاطات عرقية ودموية إن لم يوضع لها حد نجم عن استمرارها لمدة قرن آخر قيام دولة أفريقية أوروبية مكان فرنسا اليوم.

www.vnbu3.com

لقد تنبهت الحركة الوطنية الاشتراكية لهذه الحقائق وندبت نفسها للقيام بجمع شتات الشعب الألماني وصهر شتى عناصره في بوتقة القومية الصافية، ثم الخروج به من الدائرة الضيقة ليضرب في آفاق جديدة واسعة، لأن بقاءه في مكانه يعني له الانقراض أو الخضوع لنير الاستعباد.

إن الحركة الوطنية الاشتراكية لن تقبل أن يعيش ستون مليون ألماني في بقعة من الأرض لا تزيد مساحتها عن نصف مليون كيلو متر مربع، وترى أن من أقدس واجباتها إزالة هذا الواقع الأليم وسد الثغرة التي أحدثتها السياسة الخارجية في العهد الأخير بين ماضينا التاريخي المجيد وحاضرنا الأليم.

ستعلم حركتنا الشعب الألماني كيف يعتني بنفسه كعنصر متفوق في الأصل، وتنبهه إلى وجوب الاعتناء بدمه لكي لا يدعه عرضة للاختلاطات المميتة، وتوجهه اتجاهًا يجعله جديرًا بحمل المشعل الذي حمله أجدانا.

*****

إن سياسة ألمانيا الخارجية خلال السنين العشر التي سبقت اندلاع الحرب العالمية لم تكن بأفضل من سياستها الحاضرة التي نحملها أخطاء جسيمة ارتكبتها لأنها عاجزة عن الوقوف حيث يملي عليها الواجب. فقد كانت لنا امبراطورية واسعة وكنا أقوياء نسبيًا، لكن قوة الدولة يجب أن تقاس بمقياس قوة باقي الدول، وألمانيا قبل الحرب ظلت مقصرة عن بلوغ

www.ynbu3.com

مستوى الدول المنافسة لها. لقد كنا نتقدم إلى الأمام ببطء شديد بينما كان الآخرون يسرعون الخطى. ولإن تكون التضحيات الكبيرة التي قام بها شعبنا والتي ذهبت سدى، فسبب ذلك يعود إلى عدم معرفة الحاكمين لاستعمال الطاقة الشعبية التي وجدت في متناولهم.

وإذا رجعنا إلى تاريخ ألمانيا واستعرضنا مآتيها العسكرية ودرسنا نتائج هذه المآتي النهائية كما تظهر لنا اليوم، نجد أننا تجاه واقع ناطق بمهارة الذين تولوا مقدرات شعبنا في ذلك العهد الذهبي .

فبفضل سياستهم الحكيمة توصلوا إلى النتائج التالية:

1- استعمار المناطق التي تعتبر الباب المؤدي إلى الشرق.

2- احتلال المناطق الواقعة شرقي نهر الألب.

3- نجاح آل هوهنزولرن في إنشاء نواة الامبراطورية حين تم لهم إنشاء الدولة البروسية.

لقد شدد المؤرخون الألمان على أهمية النتيجة الثالثة أي إنشاء الدولة البروسية ولم يحفلوا كثيرًا بالنتائج الأولى والثانية، مع العلم أن التوسع في الشرق كان خطوة عظيمة بل من أعظم الانجازات التي قام بها الأجداد، ولو أنهم لم يفعلوا ذلك لكنا اليوم مقاطعة تدين بالولاء لروسيا في الشرق، أو لفرنسا في الغرب. فبفضل الزحف شرقًا، الذي يعتبر المحاولة الوحيدة الناجحة من هذا النوع، أمكن تحقيق الانسجام المطلوب بين عدد السكان المتزايد وبين المدى الحيوي اللازم.

www.yabus.com

ولا يعتقد أن تشديدي على أهمية الزحف شرقًا واعتباري لها كخطوة موفقة قام بها أجدادنا، لا يعتقد أنني لا أقدر أهمية الخطوة الثالثة، أي إنشاء الدولة البروسية وما تلاها من قيام الجيش الألماني رمز وحدة الأمة. فبفضل الحدث التاريخي العظيم شعر كل ألماني أن ما كان يشغله في الدفاع الفردي قد زال وحل محله الدفاع عن الأمة كلها في محيط المؤسسة العسكرية التي تمثلت فيها جميع عناصر الأمة.

وهكذا أصبح للشعب الألماني نظام جديد يجمع شمله ويوحد كلمته ويوفر له التنظيم الذي كان ينقصه. ذلك أن التضامن الفطري القائم بين بقية الشعوب، والذي لا نجده في مجتمعنا نحن قد ساد إلى حد ما صفوف أمتنا بفضل التدريب العسكري. لذلك كان إلغاء الخدمة العسكرية الاجبارية وخيم العواقب في بلادنا التي لم تتخل بعد عن النزعة الفردية نهائيًا، والتي يساهم في تفريق كلمة أبنائها تعدد العناصر وانتشار المفاهيم الفلسفية المتناقضة.

من المؤسف القول أن أعداءنا يقدرون ويفهمون أكثر منا أهمية انتصاراتنا السياسية الحقيقية التي أحرزها شعبنا خلال ألف عام من النضال الشاق والكفاح المرير. لذلك وجب على حركتنا أن تعلم شعبنا كيف يميز بين الانتصارات السياسية الحقيقية وبين الحالات التي أهدرت فيها دماؤنا بدون طائل. ويمكننا القول دون أن نتجنى على الحقيقة ودون أن نغمط حقوق ساستنا: إن ألمانيا لم تكسب شيئًا من الخطوات التي خطتها

www.ynbu3.com

منذ قرن إلى اليوم في ميدان السياسة الخارجية، لأن المدى الحيوي لم يكن هدف هذه السياسة.

*****

ما أكثر المتشدقين في أيامنا هذه وما أكثر الزاعمين أن سياسة ألمانيا الخارجية يجب أن تقصر نشاطها على محو عار عام 1918 مقيمة بذلك الأدلة على زهدها في التوسع تطمينًا للجيران. أما أنا فأقول أن التفكير في إعادة الرايخ إلى الحدود التي كانت له سنة 1914 هو جريمة بحق الوطن. ولا أنكر أن حدود ما قبل الحرب لم تكن معقولة من الوجهة الاستراتيجية ولا منصفة من الوجهة الإنسانية لأن ملايين من الألمان كانوا يعيشون خارج تلك الحدود. وأذهب أكثر من ذلك فأقول أن حدود الرايخ لم تكن نتيجة عمل سياسي مدروس. إنها كانت مؤقتة بانتظار انتهاء من نزاع لا يزال قائمًا. ولكن المطالبة بإعادة هذه الحدود من شأنها اليوم إعادة الارتباط بين الحلفاء، لأن أكثر ما يخافه هؤلاء هو بعث "الخطر الألماني" حسب قولهم المائل في وحدة الأمة والتفاف أبنائها جميعهم حول رايتها.

لقد تناسى أعداؤنا عام 1914 ما بينهم من أسباب النزاع والقطيعة ليعقدوا العزم على محاربة ألمانيا القوية، ثم وجدوا بعد ذلك أن تقسيم ألمانيا هو الضمانة الوحيدة لمنع الرايخ من النهوض مرة أخرى، فعندما يعلن ساساتنا البورجوازيون أن سياستنا الخارجية يجب أن تقصر همها على إعادة حدود 1914، يقدمون إلى الأعداء السبب المطلوب للإبقاء على التضامن فيما بينهم، لعلمهم أن ألمانيا القوية تخافهم مجتمعين ولكنها

www.vnbu3.com

لن تتردد في الانقضاض عليهم حين يصبحوا متفرقين.

إن شعار عالمنا البورجوازي في إعادة حدود 1914 هو والحالة على ما ذكرت شعار في غير محله بالإضافة إلى أن وسائل تحقيقه غير متوفرة، وأنه في حاجة تحقيقه لا يستأهل منا هدر دماء أبنائنا في سبيله، باعتبار أن حدود ما قبل الحرب لا قيمة لها في حساب الذين ينظرون إلى أبعد من أنوفهم. فهي لم تكن غطاءً صالحًا في الماضي، ولا يمكن أن تشكل قوة في المستقبل، فهذه الحدود لم تحفظ لشعبنا وحدته الداخلية ولم توفر له قط أسباب العيش. أما من الناحية العسكرية فليس لتلك الحدود من قيمة دفاعية.

ليس بإعادة حدود 1914 يمكن لألمانيا أن تستعيد مكانتها السابقة. ونحن الوطنيين الاشتراكيين مقتنعون ببطلان كل تخطيط لسياستنا الخارجية لا يتضمن إعطاء الشعب الألماني الأرض التي يجب أن تعود إليه في هذا العالم. وبلوغ هذا الهدف يبرر هدر دمنا الألماني لأن أحفادنا الذين سيتوالدون على الأرض الجديدة سيغفرون لنا إرسال آباءهم إلى الموت في سبيل تأمين مداهم الحيوي.

يعترض بعض الكتاب العنصريين على هذا النوع من التوسع زاعمين أنه يشكل اعتداءً على حقوق البشر المقدسة. لا أعلم من أين استخلص هؤلاء نظريتهم السخيفة، ولكني متأكد بأن انتشار هذه النظرية لن تفيد أعداءنا في الداخل والخارج. ويتناسى أعداء التوسع أن ما من شعب في هذا العالم

www.ynbu3.com

تمكن من امتلاك شبر واحد من الأرض بفضل احترامه لحقوق الآخرين وتقيده بالقوانين المنزلة أو الموضوعة.

إن حدود الدول هي من صنع البشر وتبديلها يتم على أيدي البشر، وحدود ألمانيا الحالية ليست سوى نتيجة لنضال طويل لم ينته بعد وكذلك حدود فرنسا وبولونيا وايطاليا وغيرها.

إن حصول شعب من الشعوب على أراضي مترامية الأطراف، لا يعني بشكل من الأشكال أن الشعوب المحرومة لا يحق لها منازعته ملكية هذه الأراضي. وإن ما يقاسيه شعبنا اليوم من شظف العيش وما يعانيه من ضيق ضمن الإطار الأرضي الصغير، ليس من صنع القدر، كما يزعم الاتكاليون، وليس الكفاح في سبيل تغيير هذا الوضع تمردًا على هذا القدر. فأجدادنا لم يتلقوا الأرض التي نعيش عليها هبة من السماء، لكنهم أحرزوها بقوة السيف بعد أن سقوا تربتها بدمائهم الزكية. والمدى الحيوي الذي نفتقر إليه اليوم لن نتمكن من الحصول عليه بنعمة "العنصرية". فسبيلنا الوحيد إليه هو القوة.

إن تصفية حساب فرنسا خطوة ضرورية أولى لا بد لكل ألماني مخلص من إقرارها. لكن تظل خطوة عقيمة إن نحن اكتفينا بهذا القدر. فإزالة الشوكة التي تهدد ظهرنا في الغرب يجب أن تكون بداية الانطلاق نحو توسيع مساحة الأرض التي نعيش عليها .وقد أوضحت في جزء سابق أن توسعنا خارج أوروبا لا يقضي على المشكلة، فليس المطلوب اخضاع بعض

www.ynbu3.com

الشعوب الملونة للسيطرة الألمانية، إنما المطلوب الحصول على أراضي أوروبية تتسع بها رقعة الوطن الأم. وطبعًا هذا التوسع على حساب الشعوب الأخرى، ونحن الألمان إذ نفكر أن هذا التوسع على حساب الآخرين عمل غير مشروع نكون قد ابتعدنا عن المنطق وكذبنا التاريخ. إن حق الشعب بالاستيلاء على أراضي جديدة يصبح حقًا مقدسًا عندما يضيق الوطن بمن فيه ويوشك أبناؤه على الهلاك اختناقًا.

فإما أن تصبح لألمانيا قوة عالمية أو لا تكون. والشرط الأساسي للوصول إلى مستوى الدول العظمى هو في احرازها المدى الحيوي الذي يؤمن لشعبها مقومات البقاء.

*****

يجب علينا نحن الوطنيين الاشتراكيين أن نسعى لتبديل سياسة ألمانيا الخارجية وأن نبدأ حيث انتهى أجدادنا منذ ستمائة سنة. يجب أن نعمل على وقف الزحف الجرماني نحو الجنوب ونحو الغرب لنتجه بأنظارنا نحو الشرق .

أجل إن حركتنا ستسعى إلى الحد نهائيًا من السياسة الاستعمارية والتجارية لتؤمن لشعبنا مداه الحيوي في أوروبا نفسها، ونحن إذ نهدف إلى ذلك لا يفوتنا أن اتساع الأرض التي نعيش عليها لن يتم إلا بالتوسع على حساب روسيا والبلدان المجاورة لها.

إن القدر نفسه يشير بإصبعه إلى روسيا، فهو حين رمى بها في أحضان

www.ybus.com

البلشفية قد انتزع من الشعب الروسي تلك الفئة من المفكرين الذين أقاموا صرح الدولة وتولوا مقدراتها. ذلك أن تنظيم الدولة الروسية لم يكن بفضل جهود الصقالبة ومقدرتهم على الخلق والإبداع. بل كان ثمرة جهود العنصر الجرماني المتمتع بعبقريات منظمة حيثما وجد وأين ما حل. لكن روسيا لم تعرف كيف تحافظ على النواة الجرمانية التي خلقت الدولة، لذلك اضمحلت هذه النواة مع مرور الأيام، وظهر إلى حيز الوجود اليهودي في الوقت المناسب ليأخذ محلها.

قد تحاول روسيا التخلص من الكابوس اليهودي لكنها لن تقوى على التخلص منه بأساليبها الخاصة. ولا يفوتنا أن اليهود أضعف من أن يستمروا باخضاع دولة كبيرة لسيطرتهم لمدة طويلة، لأنهم عنصر مخرب لا يحب النظام والبناء. لهذا فنحن نعتقد أن الدولة الجبارة في الشرق تقف على شفير الهاوية، وأن نهاية السيطرة اليهودية على روسيا تعني نهاية روسيا نفسها كدولة. وقد اختارنا القدر لنشهد هذه الكارثة التي تعتبر أحسن دليل على صحة نظرياتنا العنصرية فيما يتعلق بموضوع الأعراق البشرية.

*****

من البديهي أن يعارض اليهود هذه السياسة بكل ما لديهم من قوة ونفوذ لأنها تتنافى ومبادئهم وخططهم ودسائسهم. ويكفي أن يقف اليهود في وجه هذه السياسة الحكيمة لنقنع الذين يشعرون بالقضايا القومية بفائدة هذا الاتجاه الجديد الذي وضعته حركتنا. ولكن مع الأسف، لم تختمر فكرة الاتجاه والزحف نحو الشرق في أذهان الكثيرين من القوميين الألمان

www.ybus3.com

وبعض "العنصريين" النظريين. فهم يستشهدون، كلما أعوزتهم الحجة وخانهم المنطق، بالاتجاه الذي رسمه بسمارك الذي حرص دائمًا على قيام علاقات ودية بين ألمانيا وروسيا. وكان حرصه في محله. وينسى الذين يستشهدون بما فعله بسمارك أنه كان يعلق أهمية كبرى على صداقته مع ايطاليا لكي يفرض إرادته على النمسا وهي في شبه عزلة. فلم لا ينادي المعجبون بسياسة بسمارك بنهج المنهج الذي اعتمده المستشار الحديدي تجاه ايطاليا الحالية؟ سيقولون أن ايطاليا اليوم ليست ايطاليا القرن التاسع عشر. ونحن نجيب أن روسيا اليوم ليست روسيا التي حرص بسمارك على كسب صداقتها. إن القضية ليست ماذا فعل بسمارك؟ بل القضية هي: ترى لو كان بسمارك حيًا فما هي الخطة التي سيتبعها؟ لا شك أن هذا الرجل البعيد النظر ما كان يمد يده إلى روسيا البلشفية المشرفة على الموت.

لا يسهى عنا أن بسمارك تبنى الرأي القائل بالاستعمار وغزو الأسواق العالمية كما أن قضية التنظيم الداخلي كانت شغله الشاغل. فمن الطبيعي والحالة هذه أن يعتبر وقوف روسيا على الحياد في خصامه ضد الغرب انتصارًا كبيرًا لسياسته. ولك ما كان صالحًا في ذلك الوقت لألمانيا هو اليوم في غير مصلحتها.

في عام **1921** جرت محاولات لخلق الروابط بين حركتنا التحررية وبين بقية الحركات التحررية في البلدان الأخرى، واقترح الوسطاء إنشاء "عصبة الأمم المضطهدة" وقد اجتمعت عدة مرات مع رجال ادعوا أنهم

www.vnbus.com

ممثلين عن بعض الدول البلقانية والهند ومصر، فأعربوا لي عن رغبتهم في إيجاد تعاون وثيق بين الحركات الاستقلالية في بلادهم وبين الحركة الوطنية الاشتراكية، ولكني لم ألتفت إلى أقوالهم ولم أهتم بها، لأنهم تكشفوا لي عن كونهم ثرثارين وأدعياء لا يفقهون ما يريدون.
إلا أن هؤلاء "الاستقلاليين" وجدوا من يسمع لهم ويتحمس لآرائهم في صفوف القوميين الألمان الذين اعتقدوا محدثيهم من تلاميذ هنود ومصريين، بأنهم الممثلين الحقيقيين لمصر والهند. وقد فاتهم أن هؤلاء التلاميذ لا يمثلون إلا أنفسهم وبالتالي فالحديث معهم والدخول معهم في مفاوضات يعتبر مضيعة للوقت. وحتى لو كان هؤلاء معتمدين رسميًا من قبل بلادهم فالمشروع بحد ذاته لا قيمة له ويعود بالتالي على القومية الألمانية بأضرار فادحة.

لقد جربت ألمانيا التعاون مع دول لا قيمة عسكرية لها حين قامت بالتحالف مع تركيا والنمسا لتواجه أقوى الدول عسكريًا وصناعيًا، فكانت النتيجة الكارثة التي لا نزال نقاسي من ذيولها.
ويبدو أن هذا الدرس القاسي لم يكن كافياً بدليل تحمس المهووسين من المواطنين لمشروع "عصبة الأمم المضطهدة" اقتناعًا منهم أن هذه العصبة ستجرد المنتصرين الأقوياء من سلاحهم.
لقد قاومت هذه الفكرة وبينت سخف هذا المشروع لأنهما يحولان شعبنا عن امكاناته الحقيقية ويحملانه على الاستسلام إلى الأوهام والأحلام.

ما أقرب الشبه بين الألماني اليوم وإنسان مجهول مشرف على الغرق،

www.vnbus.com

فهو يتشبث بعود من الكبريت يجده طافيًا على الماء لكي يتفادى الموت غرقًا، وهكذا وضعنا اليوم فإننا نجد في أوساط المثقفين أنفسهم أشخاصًا يتحمسون لمشاريع وهمية كمشروع "عصبة الأمم المضطهدة" و"عصبة الأمم المضطهدة" و"عصبة الأمم" وما شابهها.

وأذكر حادثات شغلت منظماتنا "العنصرية" لعدة أشهر. فقد جاء إلى أوروبا عام 1921 طائفة من الهند واستطاعوا اقناع الناس بأن الامبراطورية البريطانية مشرفة على الانهيار لأن الهند، وهي حجر الزاوية في هذه الامبراطورية، على أبواب ثورة هائلة. وقد وقف "العنصريون" في ألمانيا بانتظار انهيار الامبراطورية، شأنهم شأن الأطفال في عيد الميلاد. فبرهنوا بذلك عن قصر شديد في النظر وجهل فاضح لتاريخ الفتح الانكليزي.

إن استمرار خضوع الهند للسيطرة الانكليزية هو أمر حيوي بالنسبة لهذه الدولة. فلا يعقل والحالة هذه أن تتخلى انكلترا عن الهند أو تترك "جوهرة التاج" تفلت من أيديها. وهذا لن يصير إلا إذا أدرك الانكليز الانحلال العنصري وهذا غير محتمل، أو إذا قضي على انكلترا بضربة قاصمة من عدو أقوى منها. أما الزعم بأن قيام الهنود بثورة سيسبب انهيار الامبراطورية، فهذا زعم باطل ويجوز أن يصدقه أبناء أمريكا الجنوبية مثلاً، ولكن لا يجوز أن يصدقه الألمان الذين اختبروا مقدرة الانكليز وتأكدوا أنها أمة قوية شديدة المراس.

ولم يكن "العنصريون" الذين تأملوا الخير من الحركة الاستقلالية في مصر أعقل من الذين قعدوا ينتظرون انهيار بريطانيا لأن الهنود أرادوا القيام

www.vnbus.com

بثورة فالحركات الاستقلالية في مصر قد تزعج بريطانيا ولكن لن تتمكن هذه الحركات من زحزحة الكابوس البريطاني، ولن يقدموا على التضحية بأنفسهم وأرواحهم في سبيل "إخوانهم" الألمان كما يعتقد الخياليون من المواطنين.

إن المؤمنين بالكفاح المشترك أي الكفاح الألماني المصري الهندي لم ينظروا إلى حاضرهم الأليم. فهل من المعقول لحلف يضم ثلاثة مقعدين من مهاجمة عملاق يقظ لا يتورع عن استعمال أشد الأساليب للدفاع عن كيانه والحفاظ على ممتلكاته، وأنا كعنصري أتخذ من الأعراق ميزاناً أزن به القيمة البشرية، لا أسمح لنفسي ولو بالتفكير بربط مصير شعب كالشعب الألماني بمصير شعوب تحتل، من حيث التسلسل العنصري، مرتبة وضيعة.

لا يمكننا أيضًا الاعتماد على روسيا في كفاحنا من أجل تحرير أمتنا. فهي أيضًا ينطبق عليها ما سبق وقلته في "الشعوب المضطهدة" خاصة بعد أن أصبحت الأمور بين أيدي جماعة من المغامرين الدوليين. ولو تم هذا الحلف فلن تفيد ألمانيا منه شيئًا، من الناحية العسكرية، لأن القتال سيدور ضمن الأراضي الألمانية دون أن نتلقى أية معاونة مهمة من روسيا ضد أوروبا الغربية، باعتبار أن بولونيا تقف في طريق الجيش الروسي حين يزحف نحو الغرب لأن بولونيا اليوم هي حليفة ثمينة لفرنسا. فيتوجب بالتالي على روسيا لتتمكن من نقل قواتها إلى أراضي المعركة الرئيسية أن تصفي حساب بولونيا أولاً.

www.ybus.com

هذا مع العلم أن ألمانيا ستكون بحاجة ماسة إلى الوسائل التكتيكية أكثر من حاجتها إلى الرجال، في حال نشوب الحرب بينها وبين الدول الغربية . وقد سبق لألمانيا أن تحملت وحدها عبء الحرب التكتيكية أثناء الحرب العالمية لأنها لم تحسن اختيار حلفائها. لذلك لن تتمكن من مقابلة الدولة الغربية المجهزة بوسائل تكنيكية ممتازة ستقرر مصير الحرب، مع العلم أن روسيا لا يعتمد عليها من هذه الناحية لافتقارها إلى تلك الوسائل. كذلك يمكن القول بالنسبة لألمانيا التي لا تملك المعدات التكنيكية اللازمة خاصة وأن امكاناتها محدودة جدا. وخلاصة القول أن دخولنا الحرب معتمدين على روسيا سيعني الخسارة المحتمة.

يقول مؤيدي التحالف مع روسيا لا يعني بالتالي ضرورة قيام الحرب. فيمكننا عقد الاتفاق اليوم ومن ثم الاستعداد والتجهيز للغد. فإلى هؤلاء أقول أن هذا الحلف الذي يدعون إليه لا قيمة له. لأننا إذا رضينا وأقمنا التحالف مع روسيا وابتدأنا تجهيز أنفسنا منذ اليوم إلى الحرب التي قد تنشب، فالأعداء الذين يتطلعون ويراقبون نشاطاتنا لن يعطونا الفرصة الكافية لاستكمال التجهيز والاستعداد للحرب. فسرعان ما سيستدرجونا إلى ميدان الصراع ونحن لم نكمل بعد استعداداتنا ومن ثم يحملونا مسؤولية النزاع كما حدث سابقًا.

بالإضافة إلى كل هذا هناك حقيقتان هامتان:

1- إن نظرة الحكام الحاليين في روسيا إلى المعاهدات والاتفاقات لا قيمة

www.vnbus.com

لها ولا هم يقيمون لها أي وزن.

إن حكام روسيا الحاليين هو مجرمون لا تزال أيديهم مخضبة بالدماء. إنهم حثالة البشر التي استغلت غفلة القدر لتنقض على دولة جبارة كبيرة وتصرعها وتفتك بالملايين من أبناء الطبقات الموجهة لتبني على الأنقاض دكتاتوريتها المطلقة. فحكام روسيا اليوم هم أبناء الشعب الذي أتقن النفاق والكذب، أبناء الشعب الذي يدعي أنه سيسيطر على العالم، إن حكام روسيا اليوم هم اليهود وأذنابهم.

فاليهودي الذي يملك زمام الأمور في روسيا لن ينظر إلى ألمانيا كدولة حليفة يمكن التعاون معها، بل ينظر إليها كضحية جديدة سينقض عليها حين تسنح له الفرصة المقبلة. فكيف يمكننا والحالة هذه أن نحالف شريكاً تقوم مصالحه على خرابنا؟ وكيف يريد البعض أن نعقد الاتفاقات مع شعب شعاره الكذب والتلفيق والسرقة؟

2- إن المرض الخبيث الذي قضى على روسيا اليوم، هو نفس المرض الذي يهدد ألمانيا بالذات، وليثق الذين يتغاضون عن هذا الخطر الداهم أن بلشفة روسيا هي خطوة أولى نحو اخضاع العالم لسيطرة اليهود. فاليهود كالانكلو ساكسون، قد يتحولون عن أهدافهم لفترة محدودة ولكنهم لا يتخلون عن هذه الأهداف .

إن ألمانيا هي ضحية البلشفية المقبلة، ولن تتمكن من الخلاص من براثنها إلا بواسطة فكرة قوية تجمع حولها المخلصون وتؤدي بالتالي إلى

www.ynbu3.com

النهوض بشعبنا. والقول أن ألمانيا بحاجة إلى من تستند إليه في سعيها إلى تحرير نفسها وأن روسيا هي الحليف الصالح، هذا القول يدل على جهل وقصر في النظر إلى الأمور أو يدل على سوء النية. فكيف يجوز لنا الاعتماد على دولة يحكمها أعداءنا الألداء؟

إن مكافحة البلشفية تتناقض والتفاهم مع روسيا السوفياتية، فإذا تحالفنا مع السوفيات نكون قد تحالفنا مع ابليس لنطرد به الشيطان.

ذكرت في فصل سابق أنه كان على الحكام في ألمانيا قبل عام **1914** أن يحالفوا انكلترا ليتمكنوا من التوسع شرقًا وهم مطمئنون، أو أن يتحالفوا مع روسيا ليأمنوا شرها ولكي لا يضطروا إلى الحرب على جبهتين. أما اليوم فالتحالف مع روسيا أصبح لا قيمة له، بعد أن رسمت حركتنا لألمانيا سياسة خارجية مستوحاة من الواقع ومتفقة مع مصالح أمتنا وهي تأمل أن يتمكن الحكام من الحفاظ على هذه المصالح والتقيد بالسياسة المرسومة التي تصلح أن تكون وصية سياسية.

أما الخطوط الرئيسية لهذه السياسة فهي كالتالي:

لا تسمحوا أبدًا بقيام دولتين بريتين كبيرتين في القارة الأوروبية، وفي كل محاولة لإنشاء دولة كبرى قريبة من الحدود الألمانية تكمن محاولة خبيثة لتهديد بلادنا، ويجب عليكم اعتبار أية محاولة من هذا النوع كاعتداء مباشر على حدودنا كما يجب عليكم أن تمنعوا قيامها بكل الامكانيات والوسائل التي تملكون .واحرصوا على أن يكون مصدر قوة ألمانيا في أوروبا ضمن الأراضي الألمانية، ولا تطمئنوا إلى وضع الرايخ ومصيره

www.vnbus.com

قبل أن توفروا للشعب الألماني المدى الحيوي الذي يحتاج إليه.
*****

أعود إلى موضوع التحالف بيننا وبين انكلترا وايطاليا لأركز على أهمية هذا التحالف من الوجهة العسكرية.
فالتحالف مع انكلترا وايطاليا يعطي نتائج عسكرية هامة، عكس ما يعطيه التحالف مع روسيا. فتحالفنا مع انكلترا وايطاليا لن يؤدي إلى نشوب الحرب .فالدولة الوحيدة التي تعارض هذا الحلف هي فرنسا. وهي لن تتمكن من افتعال الحرب لأنها تعلم بأنها أضعف من أن تحارب هذه الدول الثلاث. يضاف إلى ذلك أن التحالف مع الانكليز والايطاليين يعطينا الوقت الكافي للتأهب والاستعداد لمعركة الثأر التي يجب أن نخوضها ضد فرنسا بعد أن تتمكن الدبلوماسية الألمانية من عزل فرنسا وانتزاع المبادرة منها عسكريًا وسياسيًا.

وهناك أهمية تكتيكية للحلف الثلاثي هذا .فألمانيا لن ترهق نفسها بأعباء الحرب ومتطلباتها، باعتبار أن حليفتيها قادرتان على تجهيز أنفسهما تكتيكيًا بفضل اقتصادهما المنظم ومواردهما الضخمة.

أشرت في جزء سابق إلى العقبات التي تعترض تحقيق هذا المشروع، ولكن هذه العقبات يمكن تدليلها. فقد قام تحالف ودي بين فرنسا وانكلترا أيام أدوار السابع بالرغم من العداء والنفور المستحكمين بين الدولتين المذكورتين. ونحن بإمكاننا الخروج من هذه الحلقة التي ندور فيها منذ

www.vlibu3.com

عشرات السنين، يوم نتحرر من أوهامنا وننتهج في الحقل الخارجي سياسة حكيمة تطلق أيدينا في الشرق، بعد أن نكون قد قلمنا أظافر فرنسا في الغرب.

وليعلم الحاقدون أن الاستمرار في معاداة أعداء الأمس سيزيدهم تكتلاً وقوة، فالمنسية الألمانية لا يمكن أن تكسب إلا من تفريق كلمتهم. لذلك يجب أن نفهم أن كل دولة لا ترضى عن تزايد نفوذ فرنسا في القارة الأوروبية هي حليفة طبيعية لألمانيا، وأنه لا يجوز لنا أن نحجم عن استمالة هذه الدولة خاصة وإن كان هذا التفاهم أو التحالف يمكننا من سحق فرنسا التي تريد إبادتنا؟

www.ybus.com

حق الدفاع المشروع

هناك أكثر من دليل تاريخي على أن الشعوب التي تلقي السلاح وهي لا تزال قادرة على الجهاد، تفضل بالتالي أن تتلقى الصفعات والإهانات والذل على معاودة القتال.

والظاهر أن الموجهين لسياسة ألمانيا، من وراء الستار، يحاولون منذ تشرين الثاني عام 1918 التدني بشعبنا إلى المصير المحتوم الذي يصير إليه كل شعب يقبل بالإهانات والذل وهو مطمئن الرأس لا يجسر على الدفاع .

وقد تركت دعوات الخضوع والاستسلام التام للمنتصرين التي يبثها بكل خبث الخونة والعملاء، أثرًا سيئًا في عقلية الساسة وفي تصرفات الشعب. ولما كان اليهودي وراء سياسة ألمانيا الخارجية منذ عام 1918، فمعنى ذلك أن الأخطاء التي نتخبط بها في حقل السياسة الخارجية ليست دائمًا وليدة قصر النظر أو الجهل والارتجال. فالمؤامرات التي يحيكها اليهود هي التي تتلاعب بمقدرات شعبنا وتحاول منذ عدة سنوات إهلاك الأمة. لذلك يمكننا التأكد بأن جميع الخطوات الغير موفقة التي خطتها بلادنا منذ عام 1918 حتى الآن لم تكن وليدة الإهمال أو الخطأ، بل كانت نتيجة حتمية للخطط التي رسمها اليهود.

عندما دحرت جيوش نابليون بروسيا عام1806 ، اعتقد الجميع أنه لن تقوم أية قائمة لدولة بروسيا بعد تلك الهزيمة. لكن بروسيا استعادت قوتها خلال سبع سنوات وشهرت السلاح في وجه الأعداء.

أما ألمانيا فقد ازدادت ضعفًا خلال السبع سنوات التي مضت منذ هدنة تشرين الثاني 19918 .والدليل على ذلك أنها قبلت بالأمس القريب أحكام معاهدة لوكارنو الظالمة.

لقد ألقت ألمانيا سلاحها وهي لا تزال قادرة على الدفاع. وقبلنا بشروط المنتصر وضعفت

www.vnbu3.com

عزائمنا وأصبحنا عاجزين عن المقاومة. فقام الأعداء بسلسلة تدابير قاسية لإذلالنا وتعذيبنا ولم نكن في وضع يدفعنا إلى مقاومة التدابير. وقد عرف هؤلاء الأعداء كيف يخدرون عزة نفسنا وكبرياء شعبنا الألماني العريق، فقاموا بفرض تلك التدابير ببطء وحذر لعلمهم أن هذه الطريقة أسلم عاقبة فاستطاعوا أن يحققوا أهدافهم دون أن يضطروا إلى استفزاز شعورنا واستثارة نقمتنا وكان نصيرهم في ذلك حكومتنا المستسلمة.

وهكذا استدرجنا المنتصرون إلى التوقيع على معاهدات الصلح والرضوح لشروط وتسويات مرهقة جردتنا من الكرامة ومن أسباب البقاء .

وقد بلغ بنا الاستسلام حدًا كبيرًا جعل البعض يعتقد أن مشروع وايغز هو حدث بارز ومعاهدة كوكارنو نصر مبين.

*****

ظهرت نيات فرنسا الحقيقية بوضوح في شتاء عام 1922- 1923 بعد أن حاولت كتمانها عن حلفائها في المؤتمرات التي عقدت قبل الحرب العالمية وبعدها مباشرة. فقد ظهرت المقاصد الخفية لفرنسا التي جازفت بمقدراتها وخاضت حربًا قاسية طيلة أربع سنوات ونيف، وبانت الحقيقة بأن فرنسا لم تكن تطمح بالحصول على مليارات الماركات لتعوض بها خسائر الحرب والدمار أو لتقتطع الألزاس واللورين وتضمهما إلى أراضيها. كلا، فقد قامت فرنسا بهذه المجازفة الخطرة التي تعتبر من أخطر المجازفات في تاريخها لأن اليهودية العالمية التي توجه سياسة فرنسا الخارجية أرادت انسجامًا مع مخططها أن تقسم ألمانيا لتجعلها مقدونيا ثانية.

لقد تأملت فرنسا أن تبلغ هدفها بتقسيم ألمانيا أثناء الحرب وحاولت أن تنقل المعركة إلى داخل الأراضي الألمانية لكي يسهل على الحلفاء تقسيم البلاد وإنشاء دويلات متضاربة الاتجاهات مختلفة الأهداف، بحيث لا تقوم أية قائمة لألمانيا الموحدة.

ولو قدر للفرنسيين أن ينجحوا في محاولاتهم هذه وتمكنوا من نقل المعركة إلى الروهر والراين والألب بالقرب من هانوفر ولايبزغ ونورمبرغ وغيرها، لما كانت هناك أية

www.vnbu3.com

صعوبة لدى الحلفاء لتنفيذ مخطط فرنسا في تقطيع أوصال الرايخ الحديث العهد بالنظام الفدرالي .لكن جيشنا الباسل صمد في حصونه، واستمرت حرب الخنادق طيلة الأربع سنوات في الفلاندر وأمام فرصوفيا وريعا وكوفنو. ويعود الفضل بنجاة بلادنا من ويلات الحرب ومن مؤامرات فرنسا واليهود إلى الجيش الألماني الباسل وحده، لهذا يمكننا القول أن دم جنودنا الذين سقطوا في ميادين الشرف لم يذهب هباءً.

كانت جيوشنا قد احتلت، بعد انهيار ألمانيا، قطعًا كبيرة جدًا من أراضي الأعداء، لذلك كان اهتمام فرنسا منصبًا على جلاء جيوشنا عن أراضيها وعن الأراضي البلجيكية، وما إن تم لهم ذلك حتى باشروا بتنفيذ مخططهم الأساسي وهو تقسيم الرايخ الألماني الكبير إلى دويلات مجزأة، لكن انكلترا اعترضت على هذا المشروع واكتفت بالنصر الذي حققته. لأن همها الوحيد كان إزالة ألمانيا الاستعمارية من طريقها والحد من منافستها لها في الميادين التجارية .فانكلترا لم تفكر قط بالقضاء على ألمانيا قضاءً مبرمًا، لأن في ذلك ما يتعارض ومصالحها وسياستها التقليدية في منع قيام أية دولة أوروبية قادرة على اخضاع القارة لسيطرتها.

كانت معارضة الحلفاء كافية لإيقاف فرنسا عند حدها، فتراجعت عن موقفها مرغمة، ولكن كليمنصو عبر عن أفكار مواطنية بكلمته "السلم بالنسبة لنا هو استمرار الحرب" وقد عمل الفرنسيون منذ ذلك الحين على إضعاف بلادنا مستعملين شتى الوسائل والطرق الممكنة، فتارة كانوا يحاولون الضغط علينا وتارة أخرى يلجأون إلى تشجيع النزعات الانفصالية في بعض المناطق. وكانت هذه السياسة التي لجأوا إليها ذات أثر فعال في الوصول إلى النتيجة التي توختها فرنسا، إذا استمرت بضع سنوات أخرى.

أدرك المخلصون خطورة ما تهدف إليه فرنسا وأيقنوا أنها ستصل إلى هدفها إن لم تقف الإرادة الألمانية في وجهها وتمنعها من تنفيذ مخططها هذا. وقد أدرك المخلصون أيضًا أن التصدي في وجه فرنسا يجب أن يسبقه نسف الحلف الذي مكن فرنسا من النصر، وإلا سيكون هذا التصدي ضربًا من ضروب الانتحار.

www.vnbu3.com

وقد حاولت أنا في خطاباتي المتكررة أن أركز على هذه الناحية بالذات، وقلت أن فرنسا لن تغير مخططاتها تجاهنا لأنها تعلم أن بقاءها كدولة مرهون ببقائنا نحن أمة ضعيفة مفككة الأوصال. ولو كنت أنا فرنسيًا لنظرت إلى ألمانيا النظرة ذاتها.

يقول البعض أن الحل يكمن في قيام حكومة فرنسية معتدلة. وأنا أقول أن هذا الرأي هو كالمخدر لأعصابنا المريضة، ومن يعتقد ذلك يكون موجهًا من قبل أعداء ألمانيا الداخليين من يهود وديمقراطيين .فكل فرنسي مخلص هو كليمنصو أو بوانكاري. ولن نستفيد شيئًا من السلبية التي ينادي بها بعض "العنصريين" القائلين باللاعنف، لأن عدونا المتربص بنا لن تخيفه احتجاجاتنا وشكاوينا.

لن يخلصنا من فرنسا إلا ساعدنا القوي وتفكيرنا السليم، وحين نستطيع أن نتفاهم مع حلفائنا بالأمس، يمكننا بالتالي عزلها جانبًا ومناقشتها الحساب على انفراد. لكن القضاء على فرنسا لن يكون أكثر من وسيلة لبلوغ غاية لا حياة لنا بدونها: يجب القضاء على فرنسا، التي تهددنا بظهرنا، أن نتوسع في الشرق لنؤمن لأنفسنا المدى الحيوي الذي يجعل ألمانيا دولة كبرى وقوة عالمية ضخمة.

*****

في كانون الأول من عام 1922 قامت فرنسا باحتلال حوض الروهر إمعانًا منها في إذلالنا وتحطيمنا اقتصاديًا ومعنويًا، لكن هذا الاحتلال الذي ضرب ألمانيا ضربة قاصمة، كان عاملاً رئيسيًا في إذكاء الشعور الوطني. كما أن هذا الاحتلال قد أثار غضب انكلترا حكومة وشعبًا لأن هذه المنطقة غنية بمناجم الفحم والحديد. واستيلاء الفرنسيين عليها يعني تفوق فرنسا سياسيًا وعسكريًا واقتصاديًا جاعلاً منها الدولة الأوروبية الأولى، فتتمكن من منافسة انكلترا في جميع الميادين. وقد ذكرت إحدى الصحف الانكليزية الشبه رسمية أن احتلال فرنسا للروهر قد انتزع من انكلترا كل مكاسبها.

www.vnbu3.com

كان لاحتلال فرنسا للروهر صدى غير مستحب في ايطاليا والولايات المتحدة الأمريكية. وبدا على حلفاء الأمس التذمر الشديد مما فسح المجال لنشوب الخلافات وتفريق الشمل. لكن إذا كان حلفاء الأمس لم يتحولوا إلى أعداء اليوم كما حدث بعد الحرب البلقانية الثانية، فمرد ذلك إلى افتقار بلادنا إلى رجل كأنور باشا، الذي يعرف كيف يستغل الخلافات الناشبة بين أعداء بلاده.

عندما دخل الفرنسيون منطقة الروهر اتجهت الأنظار إلى السلطات الألمانية وكان التساؤل يدور حول ردة الفعل المترقبة من الحكومة الألمانية. ولم يكن ثمة مجال للتردد، فالإعتداء الذي قامت به فرنسا يشكل خرقًا فاضحًا لمعاهدة فرساي، بالإضافة إلى النقمة التي أثارها هذا الإعتداء لدى الرأي العام الانكليزي والايطالي، وقد حملت حكومة لندن على هذا الإعتداء السافر وصرح مجلس العموم البريطاني بأن حكومة فرنسا لم تراعي شعور حلفائها ولا مصالحهم باحتلالها منطقة المناجم في ألمانيا السفلى.

كان على حكومة ألمانيا أن تستغل هذا الخلاف بين الحلفاء وتوسعه بشكل يضمن لها عدم قيام تعاون جديد بين هؤلاء الحلفاء إذا قاومت ألمانيا هذا الغزو الفرنسي. كان على حكومتنا أن تجعل الروهر ما كانت موسكو بالنسبة إلى نابليون، معتمدة على الشعور الوطني الذي أثاره العدوان الفرنسي.

www.vnbu3.com

لم يكن باستطاعتنا وقف الزحف الفرنسي على الروهر باللجوء إلى التدابير العسكرية. ولم تكن المفاوضات لتجدي نفعًا. فبقي لنا اللجوء إلى كسب الوقت وإلهاء القوات الغازية باصطدامات بسيطة تقوم بها العصابات ريثما ننظف الجبهة الداخلية من الخونة، ونضمن في الخارج تأييد الانكليز والايطاليين.

لكن حكومة المستشار "العبقري" كونو لجأت إلى حل آخر، فقد اكتشف هذا المستشار أن احتلال فرنسا لمنطقة الروهر لم يكن إلا لأن المنطقة غنية بالفحم، وبالتالي تريد فرنسا الاستيلاء على هذا الفحم. لذلك فقد قرر هذا "العبقري" أن الوسيلة الوحيدة لاخراج المحتلين من الروهر هي إعلان الإضراب العام في المنطقة، فتكون النتيجة توقف حركة العمل لاستخراج الفحم. وبذلك لا يتمكن الفرنسيون من الاستيلاء على الغنيمة فيجلون عن المنطقة يجرون أذيال الخيبة.

وقد نالت هذه الخطة اعجاب الأحزاب البورجوازية، ولكنها وجدت أن الإضراب لن يعطي نتائج حسنة إلا بوجود الماركسيين، أساتذة التحريض والإضرابات، فوافق البورجوازيون على ضم الحمر إلى "الجبهة الوطنية". ومد المستشار كونو يده إلى التعاون مع المغامرين الدوليين الذين باركوا هذه الخطوة التي تعتبر بمثابة اشتراكهم في الحكم حين تتسلم "الجبهة الوطنية" مقاليد الحكم.

www.vnbu3.com

وهكذا واجه المستشار كونو الفرنسيين بحلف ضم الثرثارين والمحتالين الذين فتحت لهم الدولة طريق العمل لإشاعة الفوضى وتخريب الاقتصاد القومي.

لقد سعى المستشار كونو إلى تحرير الشعب الألماني بتشجيعه على التقاعس والكسل. ولكن بدلاً من دعوة الناس إلى الإضراب العام، كان عليه أن يدعوهم إلى العمل لمدة ساعتين اضافيتين يوميًا لتزويد الشبيبة المتحمسة بالعتاد اللازم. وبذلك تتمكن ألمانيا من كسب أفضل النتائج في الداخل والخارج وتكسب لقضيتها عطف العالم الخارجي الذي وقف يرقب مدى الإنتفاضة الألمانية.

أما النتيجة فكانت معروفة مسبقًا فالمقاومة السلبية لم تصمد طويلاً، والإضراب لم يمنع الفرنسيين من احتلال الروهر وتثبيت أقدامهم فيه.

أما موقفنا نحن الوطنيين الاشتراكيين فكان معروفًا وواضحًا من المقاومة السلبية و"الجبهة الوطنية". فقد سفهنا الأولى وحاربنا الثانية. وقد أثبتت الحوادث صحة نظريتنا. فقد قررت العناصر الوطنية في البلاد بعد أسابيع من إعلان الإضراب العام في منطقة الروهر تنظيم حركة مقاومة فعلية ضد الغزاة كما دعت المضربين إلى التعاون معها. فقام بعض العمال المخلصين وقرروا الانضمام إلى المناضلين وحملوا السلاح وساهموا في حرب العصابات. أما الماركسيون فكان جوابهم على ذلك انسحابهم من" الجبهة الوطنية". ولم يلبثوا أن خضعوا لمشيئة الغزاة بعد أن خربوا مصالح البلاد

www.ynbus.com

والاقتصاد القومي تحت ستار المساهمة في المقاومة السلبية.

وأدى انهيار" الجبهة الوطنية" إلى تسليم السلطة بشروط الفرنسيين.
ونبهت هذه الخيانة ملايين الألمان إلى أهمية الحركة الوطنية الاشتراكية وأهدافها الوطنية الصميمة وتحقق لديهم أن مصير ألمانيا مرتبط بنجاح الحركة وبنمو مبادئها العنصرية.

وانتهت الحوادث البغيضة التي أدت إلى حل الحزب الوطني الاشتراكي بعد اعتقال أركانه وأعضائه والكثير من مؤيديه وأنصاره .

وهنا لا بد لي من القول أن ما قمنا به لم يكن بسبب رغبتنا بالحكم كما أراد أعداء حركتنا القول، قد أثبتت حوادث 8 تشرين الثاني 1923 ما كان يجيش في صدور ملايين الألمان. وهنا أذكر كلمتي التي ختمت بها دفاعي في اليوم الأخير لمحاكمة حزبنا .

فقد قلت متوجهًا بكلمتي إلى القضاة:
"يمكنكم أيها القضاة إدانتنا من أجل ما فعلناه. ولكن التاريخ سيمزق ذات يوم هذا الحكم، ويحلنا جميعًا من خطيئة لم نرتكبها."....

سيذكر الجميع هؤلاء الرجال الذين سلكوا طريق الموت ليمهدوا لوطنهم طريق الخلاص.

انتهى

www.ybus.com